



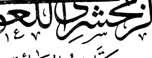
وكتابه الفائق

الأستاذ الدكتور
رشيد عبد الرحمن العبيدي

منشورات المجمع العلمي

مطبعة المجمع العلمي
١٤٢١هـ - ٢٠٠١م





الزمخشري اللغوي

وكتابه الفائق

الأستاذ الدكتور

رشيد عبد الرحمن العبيدي

منشورات المجمع العلمي

مطبعة المجمع العلمي

١٤٢١هـ - ٢٠٠١م





الاهـــداء

الى الذين يؤمنـون بما للعربية من حق عليهم أن يحفظوها ، ويصونوها من عبث الحانقين ، ودسائس المخربين ، الى الذين يقرؤون كل يوم قوله — تعالى — :

« لِسَانُ الَّذي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وهـذا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ » • فيعملون على احترام هذا اللسان والحفاظ على سلامتـه •

الـى أولئـك أهـدي

هـذا البحـث

بغـداد — الاعظميـة

د • رشيد العبيدي

المقدمـــة

يتميز الامام جارُ الله محمود بن عمر الزمخشري العـالم النحـوي اللغوي المفسّر بصفاتٍ علمية ، قلما يتصف بها الآخرون . ويمكن للباحث عن شخصية هذا العالم أن يُلِم ّ بروائع الخصائص العلمية إذا ما قـرأ أي مصنف من مصنفاته الكثيرة في علوم العربية والدين .

ويعد كتابه « الفائق » في غريب الحديث ، من الكتـب الممتعة النافعة في علم اللغة ، والحديث النبوي ، فهو على الرغم من تخصصـه بغريـب لغة الحديث والأثر ، وبيان دلالة الألفاظ ، وما وراء نص الحـديث من غرض تشريعي أو توجيهي ، فقد حفل الكتاب بمباحث وفنونٍ لغويـة ، وفوائد علمية ، ومعارف مختلفة في شتى القضايا والأمـور الدينية والدنيوية ، فمن متعة أدبية ، الى فائدة معرفية ، ومن تفسير دلالة الى بحث في ظـاهرة لغوية ، ومن حيوان الى نبات الى مواضع وبلدان ، ومن بحثٍ في تراكيب الكلام العربي الى بحث صوتي ، وتفسير تأثير الأصوات بعضها في بعض .

ولقد وقَر في نفسي أن ّ أحداً لو تجرّد لبحـث الجوانب التنظيميـة للجملة العربية في كتاب الفائق من خلال الحديث النبوي لمـا خـاب في استخراج كتـاب ممتع مفيد . ولو فعل ذلك في بحـث عناية المـؤلف بالدلالة وعلاقتهـا بالحقيقة والمجاز ، وتطورها ، وعلاقتهـا بالسياقـات والهيئـات والأحـوال ، وتراكيب الكـلام لـوجد في ذلك متسعـاً ، ولخـرج بمـا يثبت أن كتـاب الفائـق جديـر بالعنايـة ، والـدرس والتتبـــع . وسيجـد الباحـث أن المـؤلف لا يكتفـي بالعـرض من الكلام ، وانما هو مستقصٍ مُسْتَكثِرٌ ، الى أقصى الحدود ، ثـم هو لايني يأتي برأي هذا ، ويسنده برأي ذاك ، أو يُلغيـه ، ليثبت ما هـو أجدر بالاثبات وأحق ّ بالأخذ .

ومن هنا كان الفائق مظنة لآراء اللغويين والنحويين والبلاغيين ، ونقلة الحديث ، والفقهاء والأصوليين والمفسرين والقراء ، فضلاً عما اجتهد فيه المؤلف نفسه من تفسيرات وتأويلات وتخريجات تدل على سعة في العلم ، وقدرة على التحليل ، والتصرف الواعي .

لقد تناولت في هذا البحث بشكل مختصر موجز ، الزمخشري الرجل ، وأشرت الى جهوده في عامة العلوم ، وما ذكر له من مؤلفات مختلفة في صنوف المعرفة . لأن الزمخشري رجلا ، قد تناوله باحثون قبلي بما يعطي صورة كاملة عن شخصيته[1] وعلميته .

ثم تناولت كتاب الفائق ، وحاولت من خلاله أن أقف على أهم المعارف والفنون التي تناولها المؤلف بالبحث ، ولقد تركز البحث على الاهتمام بجانبين مهمين هما الظواهر المنهجية ، والظواهر العلمية ، وهما مسألتان تُعْنَيان بدراسة داخلية لمادّة الكتاب . وأهملت الدراسة الخارجية التي تعنى – عادة – بتأريخ تأليف الكتاب ونُسَخه المخطوطة ، وتأثير الكتاب في الآخرين ، أو تأثره هو بمن سبقه –، لأن مثل هذه

---

(1) انظر كتاب : الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري للدكتور فاضل السامرائي . وأثر البلاغة في تفسير الكشاف للدكتور عمر ملا حويش ، وأساس البلاغة للزمخشري (دراسة في المنهج والمادة) (فلاح محمد علوان) رسالة ماجستير جامعة الموصل . وأثر غريب الحديث في بناء المعجم العربي لعثير بدر البدر – رسالة ماجستير – المستنصرية – ١٩٩٧م . والفائق في غريب الحديث لبسماء ملا حويش رسالة ماجستير في كلية الآداب : ١٩٩٣ بغداد ، وهذا البحث قد وضعته الباحثة بعد أن انجزت بحثي بثلاث سنوات . وتأخر نشر البحث الى هذا الحين ، جعلني أشير اليه في هذا المكان طلبا للامانة العلمية واعطاء الحق للسابق .

وهناك دراسة بعنوان (كشاف الزمخشري – دراسة صرفية) لمها ابراهيم عبيد – ماجستير في تربية ابن رشد ، وهي – ايضا – متأخرة عن بحثي . وكذا رسالة (الكشاف للزمخشري دراسة نحوية) لأحمد جمعة الهيتي – ماجستير في تربية ابن رشد .

العنايات هي من اختصاص المحققين وناشري النصوص ، وليس هذا من شأني في هذه الدراسة •

فالكتاب محقق بعناية اثنين من محققي التراث العربي هما محمد أبو الفضل ابراهيم ، وعلي محمد البجاوي[٢] ، وقد قدما له بمقدمة ألمّا فيهما بعملهما وبالمؤلف الزمخشري ، وبأهمية الكتاب من بين كتب التراث اللغوي ، وألحقا الجزء الرابع بفهارس تغني الباحث عن المراجعة الطويلة ، وبذل الجهد المضني اذا ما احتاج الى شيء من الاطلاع على مضمون الكتاب •

وبعد فاني أرجو أن أكون قد وضعت بين يدي القراء بحثاً يكشف عن شخصية عالم لغوي موضوعي ، يمثل عصره خير تمثيل ، ويقدّم لرواد العربية متعة لغوية وأدبية من حقبة يعتقد الكثيرون أنها بداية العصر التقليدي لعلوم المتقدمين ، أو بداية الاجترار والإعادة لما وصل اليه علماء القرنين الرابع والخامس الهجريين •

انّ الذي سيقرأ عن الزمخشري وموقفه وجهوده من خلال الفائق سيجد عقلية ناضجة ، قادرة على أن تعطي الجديد ، وأن تقرّ مبادىء وقيماً لغوية فتجعل منها نظريات لغوية ، بعد أن مرّ عليها المتقدمون فلم يُشبعوها ، ولم يطيلوا التأمل والتدقيق والتمحيص فيها •

والله ــ تعالى ــ هو الموفق ، والحمد لله رب العالمين •

الاعظمية / ١٩٩٢م : ١٤١٢هـ • د• رشيد العبيدي

---

(٢) طبع الكتاب بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، طبعتين وباربعة اجزاء •

الفصل الأول
الزمخشري والفائق

أولاً : الزمخشري
حياته وأعماله[1]

(٤٦٧هـ – ٥٣٨هـ)

اسمه ونسبه :

هو أبو القاسم جارالله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري . وزاد صاحب هدية العارفين : « عمر بن محمد بن أحمد بن عمر الأديب النحوي اللغوي الفقيه الشافعي الشهير بالزمخشري»[2] .

* * *

مولده ونشاته :

قال ابن أخته أبو عمرو ، عامرُ بن الحسن السمسار : ولد خالي بزمخشَر من أعمال خُوارزم، يوم الأربعاء السابع والعشرين من رجب سنة : ٤٦٧هـ »[3] .

(١) ترجمته بشكل مفصل وواسع في المصادر الآتية :
نزهة الألباء : الانباري : ٣٩١ ، ومعجم الآدباء : ياقوت الحموي : ١٤٧/٧ ، وانباه الرواة : القفطي : ٢٦٥/٣ ، ووفيات الأعيان : ١٦٨/٥ ، والروض المعطار في خبر الأمصار : الحميري : ٢٩٣–٢٩٤ . والبداية والنهاية : ابن كثير : ٢١٩/١٢ . والبلغة في تاريخ ائمة اللغة : الفيروز آباري : ٢٥٦ . وبغية الوعاة : السيوطي : ٢٧٩/٢ ، وشذرات الذهب : الحنبلي : ١١٨/٤ . وهدية العارفين : البغدادي : ٤٠٢/٢ – ٤٠٣ .

(٢) هدية العارفين : ٤٠٢/٢ . وانظر : طبقات المعتزلة : ٢٠ .

(٣) معجم الأدباء : ١٤٧/٧ ولسان الميزان : ٤/٦ ومرآة الجنان : ٢٦٩/٣.

نشأ ميالاً الى أخذ العلم ، وملازمة علمائه ومشايخه في زمخشر ونيسابور وغيرهما .

وزمخشر : قرية من قرى خُوارزْمَ ، اكتسبت شهرة به ، وخلدها على الدهر ، فقال الأمير أبو الحسن علي بن حمزة العلوي يمدح الزمخشري ، ويذكر هذه القرية وأثره فيها :

وكم للامام الفردِ عنديَ من يدٍ
وهاتيكَ مما قد أطاب وأكثرا

أخي العزمةِ البيضاء والهمةِ التي
أنافَتْ بها علامةَ العصر والورى

جميع قُرى الدنيا سوى القرية التي
تبَوَّاها داراً فِداءاً زَمَخْشَرا

فلولاه ما طَنّ البلاد بذكرها
ولا طار فيها مُنْجِداً ومُغَوّرا

فليس ثناها بالعراق وأهله
بأعرف منها بالحجاز وأشْهَرا[٤]

وكثر مشايخه منذ حداثة سنه ، فذكر له المترجمون جملة ، منهم ، وهم:

- أبو مضر محمود بن جرير الضبي الأصبهاني ، أخذ الأدب عنه .
- أبو الحسن علي بن المظفر النيسابوري ، سمع منه الحديث والقرآن .
- شيخ الاسلام أبو منصور نصر الحارثي ، سمع منه الحديث .
- أبو سعد الشقاني ، سمع منه الحديث والأدب والأخبار .

(٤) وفيات الاعيان : ٤٦٧ وذكر صاحب الروض المعطار بيتين الثالث منهما .

وغير هؤلاء ، حتى أصبح كما يقول ياقـوت : « إماماً في التفسـير والنحو واللغة والأدب ، واسع العلم ، كبير الفضل ، متفننا في علوم شتى ، معتزليّ المذهب مجاهراً بذلك»[٥] .

* * *

ثقافته الدينيـة :

من المعروف ـ كما سبقت الاشارة ـ أن الزمخشري قد تثقف بـآراء المعتزليين ، حتى اتضح ذلك في بعض كتبه ، كتفسيره المعروف (بالكشاف) الذي تنـاوله بالرد عليـه أحمـدُ الاسكنـدري (٦٨٣هـ) في كتـابه « الانتصـاف »[٦] .

ونسبه صاحب الهدية الى «المذهب الشافعي» ، وهـو وهم ، لأنـه « حَنفيّ المذهب » ، كما ذكرت المصادر الأخرى[٧] .

* * *

رحلاته وتطوافه في الآفاق :

طوّف الزمخشري في الآفاق ، فترك زمخشر صغيراً يافعاً ومرّ ببغداد ، وقصـد الحجـاز فأقام بها زمنـاً ، وجاورَ بيـت الله الحـرام ، فـعرف بـ «جار الله» قال في الروض : « دخل خراسان عدة نوب »[٨] .

وحين كانفي طريقه الى الحج لقيه ببغداد هبةالله بن الشجـري[٩] ، يهنئه بقدومه ، فلما جلس اليه أنشده :

---

(٥) معجم الأدباء : ١٤٧/٧ .
(٦) انظر : حاشية الكشاف : ط : دار الكتاب العربي ـ بيروت / لبنان .
(٧) أسماء الكتب : ٢٨ .
(٨) الروض المعطار : ٢٩٣ .
(٩) الخبر في مصادر الترجمة المذكورة .

كانت مُساءلةُ الركبانِ تخبرني
عن أحمدَ بنِ دؤادٍ أطيبَ الخبرِ
حتى التقينا فلا واللهِ ما سمعتْ
أذني بأحسنَ مما قد رأى بصري

وأنشد — أيضاً —:

واستكبر الأخبار قبل لقائه
فلما التقينا صغّر الخبرَ الخُبْرُ

وأخذ يثني عليه ، فلم ينطق الزمخشري حتى فرغ ابن الشجري فلما أتم كلامه ، قال الزمخشري : « ان زيْد الخيل دخل على رسول الله — فلما بصُر بالنبي — ص — رفع صوته بالشهادتين،فقال له النبي—ص— يا زيدَ الخيل ، كل رجل وُصف ، وجدتُه دون الصفة ، إلا أنت ، فإنك فوق ماوُصفتَ ، وكذلك — سيدنا الشريف ، ثم دعا له وأثنى عليه » .

تدل هذه الحكاية على مقام الزمخشري في نفوس علماء عصره ، وعلى تواضعه وسمته ووقاره ، وذيوع صيته قبل أن يخرج من بلده .

وطلب منه أبو طاهر السِّلفي من الاسكندرية ، وهو مجاور بمكة إجازته في مسموعاته ومصنّفاته . فرد الزمخشري جوابه بما لا يشفي الغليل . فكتب اليه — مرة أخرى ، بعد مرور عام يستجيزه ويذكّره بما كتب إليه في العام الماضي . فأجابه الزمخشري بما يعطي صورةً واضحة عن تواضعه : « ما مثلي مع أعلام العلماء إلا كمثل السُّها مع مصابيح السماء ، والجهام الصُّفر والرهام مع الغوادي الغامرة القيعان والآكام ، والسُّكّيت المخلف عن خيل السباق ، والبُغاث مع الطير العتاق.. »[10]

(١٠) أنظر : الوفيات : ٤٦٧ .

واستخرج ياقوت من كتابه : « الأطواق » نصاً أدبياً يدل على علو كعبه ، وابداعه من اللسان العربي المبين[11] •

* * *

وفاته :

اتفق المترجمون على سنة وفاة الزمخشري فقالوا : توفي سنة ٥٣٨هـ • عند رجوعه الى المشرق في جرجانية خوارزم • وأوصى بكتابة أبيات ثلاثة على قبره وأولها :

يا من يرى مد البعوض جناحها
في ظلمة الليل البهيم الأليل[12]

* * *

علمه وادبه :

الزمخشري عالم كبير ، وأديب شاعر ، اعترف له معاصروه بالمكانة العلمية الكبيرة ، وبقدرته على نظم الشعر الجيد ، والنثر العالي •

ومن الأقوال التي قيلت في علمه ، وأدبه :

ـ قال السمعاني[13] : « كان ممن يضرب به المثل في علم الأدب والنحو واللغة لقي الأفاضل الكبار •• وما دخل بلدة إلا اجتمعوا اليه وسلموا له ، واستفادوا منه ، وكان علاّمة الأدب ونسّابة العرب ، أقام بخوارزم تضرب اليه آباط الابل ، وتحط بفنائه رحال الرجال »[14]

ونقل ياقوت من كتابه « أطواق الذهب » شذرات حكمية ، منها :

---

(١١) معجم الادباء : ١٤٨/٧ ــ ١٤٩ • وهو من كتابه اطواق الذهب •

(١٢) ذكر الابيات في تفسيره الكشاف في الجزء الأول منه •

(١٣) تحت من نسب الى « زمخشر » •

(١٤) انظر : الروض المعطار : ٢٩٣ •

« الكريم اذا ريم على الضيم نبا ، والسريّ متى سيم الخسف أبى ، وقلما عرفت الأنفة والاباء في غير من شرفت منه الآباء ، ـ عزة النفس وبعد الهمة ، الموت الأحمر والخطوب المدلهمة ، ولكن من عرف منهل الذّل فعافه ، استعذب نقيع العز وذعافه ».[15]

وللزمخشري شعر كثير ، أورد بعض مقطعات منه في تصانيفه ، وكان ينسبها لـ « بعض العصريين » ـ أحيانا ـ دون أن يصرح بنسبتها اليه ، أو لبعضهم » ومن ذلك قوله : « ولبعضهم » :

لا تحْسَبوا أن في سِرباله رجلاً
ففيه غيْثٌ وليث مسبل مُشبل[16]

وقوله : « وأنشدت لبعضهم :

يا من يرى مدّ البعوض جناحها
في ظلمة الليل البهيم الأليل
ويرى عروق نياطها في نحرها
والمخ في تلك العظام النّحل
اغفر لعبد تاب من فرطاته
ما كان منه في الزمان الأول[17]

وهي الأبيات التي أوصى بكتابتها على قبره ، وقال المعلق على تفسيره في هذه الابيات « للزمخشري ، وكانت عادته في الكتاب أنْ لا ينسب شعره لنفسه » .

وله في رثاء شيخه أبي مضر :

وقائلة ما هذه الدرر التي
تساقط من عينيك سمطين سمطين

---

(١٥) معجم الادباء : ١٤٩/٧ .
(١٦) انظر : الكشاف : ٧٧/١ .
(١٧) الكشاف : ١١٦/١ .

فقلت : هو الدر الذي قد حشا به
أبو مضر أذني تساقط من عيني[١٨ أ]

كتبه ومصنفاته :

خلف أبو القاسم جارالله محمود بن عمر الزمخشري جملة كبيرة من المصنفات الضخام ، والرسائل والمتون في جميع أنواع علوم العربية والدين ، ويمكن ان نشير الى ما ذكرته المصادر منها :

١ ــ الأجناس : ذكره ياقوت الحموي باسم : (كتاب الأجناس)[١٨] وهو في اللغة ، وللأصمعي كتاب بهذا الاسم كذلك .

٢ ــ أساس البلاغة : وهو المعجم المطبوع المتداول بين أيدي المعنيين باللغة ذكره صاحب كشف الظنون وأثنى عليه بما هو أهله[١٩] ، وسماه عبداللطيف زاده : « أساس اللغة »[٢٠] ، ولي عليه بحث في شواهده أسميته : (شواهد الزمخشري في أساس البلاغة » نشرته في مجلة المجمع العلمي العراقي[٢١] .

٣ ــ أساس التقديس : قال اسماعيل باشا : هو في التوحيد ، وأوله : (الحمد لله الواجب وجوده وبقاؤه .. »[٢٢] . ولم أجد من يذكره غيره .

٤ ــ أسرار المواضع : ذكره اسماعيل باشا في هدية العارفين في ترجمته ولعله الكتاب الذي ذكره زاده باسم : « اسماء الأودية والجبال»[٢٣].

(١٨ أ) الروض المعطار : ٢٩٣ .
(١٨) معجم الأدباء : ١٥١/٧ .
(١٩) الكشف : ١١٧/١ .
(٢٠) أسماء الكتب : ٤٣ .
(٢١) مجلة المجمع العلمي العراقي : جـ١ / مج : ٤١ ص ٢٩٤ . عام ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م .
(٢٢) ايضاح المكنون : ٦٧/١ .
(٢٣) أسماء الكتب : ٢٨ . ونكتفي بذكره هنا مع (أسرار المواضع) لاحتمال ان يكون العنوانان لكتاب واحد .

٥ ـ أطواق الذهب : ذكره أكثر من مترجم له • وفي الكشف : « هو مختصر مشتمل على مئة مقالة ، كالمقامة ، أوله :«الحمد لله أحمده على ما أدرج لي من آلائه ••» خاطب في كل صدر مقامة نفسه ، بقوله « يا أبا القاسم •••»[٢٤] •

٦ ـ أعجب العجب ، وهو في شرح لامية العرب ، طبع اكثر من مرة • وذكره صاحب الكشف في موضعين : « الهمزة » و « اللام » •

٧ ـ الامالي : وهو في النحو ، كما ذكر ياقوت الحموي • وذكره صاحب الكشف باسم : « أمالي جار الله »[٢٥] • وقال « من كل فنّ » أي : متنوع الفنون •

٨ ـ الأنموذج : وهو كتاب في النحو ، وهو مختصر لكتابه : (المفصل)، ذكره خليفة والبغدادي وزادة[٢٦] •

٩ ـ تسلية الضرير : ذكره اسماعيل باشا البغدادي في الهدية[٢٧] •

١٠ ـ جواهر اللغة : ذكره خليفة[٢٨] واسماعيل باشا • وتظمه محمد الحوافي شعراً •

١١ ـ حاشية على المفصل في النحو : ذكره ياقوت[٢٩] • والمفصّل له •.

١٢ ـ خصائص العشرة الكرام البررة : طبع في بغداد بتحقيق د• بهيجة الحسني •.

١٣ ـ ديوان التمثّل : كما سماه خليفة [٣٠] واسماعيل باشا • وسماه ياقوت : « ديوان التمثيل »[٣١] وهو في الأدب •

---

(٢٤) الكشف : ١١٧/١ و زادة : ٥٢ •
(٢٥) الكشف : ١٦٤/١ •
(٢٦) أنظر : أسماء الكتب : ٧٠ والهدية : ٤٠٣/٢ •
(٢٧) هوية العارفين : ٤٠٢/٢–٤٠٣ •
(٢٨) الكشف : ٦١٦/١ •
(٢٩) المعجم : ١٥١/٧ •
(٣٠) الكشف : ٧٨١/١ •
(٣١) المعجم : ١٥١/٧ •

١٤ـ ديوان الخطب : ذكره ياقوت ، وسماه عبـدالطيف زاده : « ديوان الأدب »[٣٢] .

١٥ـ ديوان الرسائل : هو في الكشف مذكور مع ديوان شعره[٣٣] ، ولم يذكره خليفة تحت هذا العنوان في موضعه ، فقد ذكر ثلاثـة كتـب وليس فيها ما ينسب للزمخشري ، ولكن صاحب الهديـة ذكره في مَسْرد كتبه[٣٤] .

١٦ـ ديـوان شعر الزمخشـري : ذكـره خليفـة باسـم : « ديـوان الزمخشري »[٣٥] .

١٧ـ الرائض في الفرائض : ذكره خليفة[٣٦] ، وأكـد ذكره اسماعيل باشا في الهدية . وعبداللطيف زاده في (أسماء الكتب) في موضعين[٣٧] .

١٨ـ ربيع الأبرار ، ونصوص الأخبار في الادب والنوادر ، وهـو كتاب في الأدب والأخبار والموعظة والحكمة والنـوادر ، حققـه الدكتور سليم النعيمي ، وطبع في العراق . ووصفه ياقوت بأنـه كتـاب في « المحاضرات » . وذكره صاحب الكشف ونوّه بأهميته[٣٨] وقال : « هو في المحاضرات » ناقلاً عبارة ياقوت الحموي .

١٩ـ الرسالة المبكية : لم يرد ذكر هذا الكتاب إلا في مسـرد كتبـه في هديـة العارفين . ويـدل اسمها على أنهـا في التصوف والزهـد والـوعظ[٣٩] .

---

(٣٢) أسماء الكتب : ٤٣ .
(٣٣) الكشف : ٧٩١/١ .
(٣٤) هدية العارفين : ٤٠٣/٢ .
(٣٥) الكشف : ٧٩١/١ .
(٣٦) نفسه : ٨٣١/١ .
(٣٧) أسماء الكتب : ٢٨ و ٤٣ .
(٣٨) كشف الظنون : ٨٣٢/١ .
(٣٩) هدية العارفين : ٤٠٣/٢ .

٢٠- رسالة الأسرار : ذكره اسماعيل باشا في الهدية[٤٠] بهذا الاسم .
ولعله الكتاب الذي سبق ذكره باسم (أسرار المواضع) أو يكون ذلك الكتاب المذكور قد صحف من (أسماء المواضع) الى أسرار وأن هذا الكتاب هو موضوع آخر لا علاقة له بأسماء المواضع المذكور . ويغلب أن تكون هذه الرسالة في التصوف .

٢١- رسالة المسأمة - هكذا بالسين - كما في معجم ياقوت[٤١] . ولم يذكره غيره .

٢٢- الرسالة الناصحة : قال صاحب الكشف : « للعلامة جارالله »[٤٢] ونسبها في الهدية اليه .

٢٣- رؤوس المسائل : وهو في الفقه : ذكره ابن خلكان في ترجمته[٤٣] . وذكره خليفة في الكشف[٤٤] .

٢٤- روح المسائل : ولعله الكتاب الذي قبله ، وجاء مصحفاً عند ياقوت[٤٥] .

٢٥- زيادات النصوص : ذكره اسماعيل باشا[٤٦] ، ولم أجد أحداً يذكره غيره .

٢٦- سوائر الأمثال : ذكره خليفة البغدادي[٤٧] والمعروف أن للزمخشري كتاب المستقصى في الأمثال ، ولعله غيره . ويريد بـ (سوائر) جمع : سائرة ، وهي صفة للأمثال التي تشيع في الناس ، فيقال : أمثال سائرة ، وجمعها : سوائر .

---

(٤٠) نفسه : ٢/٤٠٢-٤٠٣ .
(٤١) المعجم : ١٥١/٧ .
(٤٢) الكشف : ٨٩٥/١ .
(٤٣) وفيات الاعيان : ١٦٨/٥ .
(٤٤) الكشف : ٩١٥/١ .
(٤٥) المعجم : ١٥١/٧ .
(٤٦) الهدية : ٤٠٢/٢ .
(٤٧) الكشف : ١٠٠٩/٢ .

٢٧ـ شافي العيّ من كلام الإمام الشافعي • وفي معجم ياقوت : « •• من كلام الشافعي » • وكذا في خليفة[٤٨] •

٢٨ـ شرح أبيات الكشاف : ذكره البغدادي في الهدية ، وذكره عبداللطيف زادة باسم : « شرح أبيات الكتاب » ولعله هو الصحيح ، لأن للزمخشري كتاباً في شرح كتاب سيبويه ، على أن ذلك لايمنع من أن يكون الزمخشري قد شرح أبيات كتابه الكشاف في تفسير القرآن الكريم[٤٩] •

٢٩ـ شرح كتاب سيبويه : ولعله هو الذي أراده عبداللطيف زادة باسم : « شرح أبيات الكتاب» • وذكره صاحب الهدية •

٣٠ـ شرح كتاب المفصل : وهو شرح لكتابه في النحو ، وقد ذكره عبداللطيف زادة باسم : « شرح بعض مشكلات المفصل »[٥٠] • وذكره صاحب الهدية •

٣١ ـ شرح مختصر القدوري في فروع الحنفية[٥١] • ذكره اسماعيل باشا البغدادي في الهدية • والمعروف أن الامام الزمخشري حنفي المذهب • وله كتاب في مناقب الامام أبي حنيفة أسماه (شقائق النعمان) سيأتي ذكره •

٣٢ـ شرح المقامات : ذكره ياقوت في المعجم[٥٢] • وقد سبق أن ذكرنا ان له كتاباً باسم (أطواق الذهب) جعله على تأليف المقامات •

---

(٤٨) نفسه : ١٠٢٢/٢ وانظر المعجم : ١٥١/٧ •

(٤٩) انظر : أسماء الكتب : ٢٨ والهدية : ٤٠٣/٢ •

(٥٠) أسماء الكتب : ٢٨ •

(٥١) هدية العارفين : ٤٠٣/٢ •

(٥٢) المعجم : ١٥١/٧ •

٣٣ـ شقائق النعمان في مناقب الامام أبي حنيفة النعمان • وورد في كشف الظنون باسم : « شقائق النعمان في حقائق النعمان » وقال : « ألفه في مناقب الامام الاعظم »[٥٣] •

٣٤ـ صحيح العربية : هكذا سماه ياقوت وحاجي خليفة وعبداللطيف زادة ، ولكن اسماعيل باشا أسماه : « صميم العربية »[٥٤] •

٣٥ـ ضالة الناشد : كذا في الكشف والهدية[٥٥] • ومن الكتاب منتخب للزمخشري أيضاً وسيأتي ذكره •

٣٦ـ طلبة العفاة في شرح التصرفات • كذا في الهدية •

٣٧ـ عقل الكلّ : ذكره ياقوت باسم : « كتاب عقل الكل » •

٣٨ـ الفائق والنسيم الرائق كما ذكره صاحب الهدية ، والمعروف ان الفائق كتاب في تفسير غريب الحديث ، وهو مطبوع متداول ، وقد ذكره خليفة باسم : « الفائق في غريب الحديث » ، وأسماه زاده بـ « الفائق في تفسير الاحاديث »[٥٦] ، وهو الكتاب الذي تقدم دراستنا هذه عن منهج المؤلف فيه ، وجهوده في تفسير المفردات الحديثية • وربما يكون هذا الكتاب كتاباً آخر •

٣٩ـ فصوص الأخبار هكذا ذكره زادة والبغدادي[٥٧] • ولعل الصواب : (نصوص •••) •

٤٠ـ فصوص النصوص : هكذا ذكره صاحب الهدية[٥٨] •

٤١ـ القسطاس في العروض ، وهو مطبوع متداول • وعليه شروح كما ذكر خليفة •

---

(٥٣) الكشف : ١٠٥٦/٢ •

(٥٤) انظر : اسماء الكتب : ٤٣ والهدية : ٤٠٣/٢ • ونكتفي بهذا العنوان في هذا الموضع على احتمال أنهما كتاب واحد •

(٥٥) الهدية : ٤٠٣/٢ • (٥٦) أسماء الكتب : ٢٣٧ •

(٥٧) أسماء الكتب : ٢٤٣ • (٥٨) هدية العارفين : ٤٠٣/٢ •

٤٢ـ كتاب الاسماء في اللغة : ذكره ياقوت في ترجمته •

٤٣ـ كتاب الأمكنة والجبال والمياه • وفي ياقوت : (الجبال)[٥٩] •

٤٤ـ الكشاف عن حقائق التنزيل[٦٠] : وهو تفسيره الكبير للقرآن الكريم مطبوع أكثر من مرة •

٤٥ـ الكلم النوابغ في المواعظ : ذكره ياقوت وزادة باسم (كلم النوابغ)[٦١] وهو مطبوع •

٤٦ـ كتاب كلمات العلماء : أسماء في الهدية (كلمات العلماء) ، ولم أجد له ذكراً •

٤٧ـ متشابه أسامي الرواة : وفي ياقوت : « أسماء ••• »[٦٢] • وفي زادة : « متشابه الاسماء في علم الحديث » •

٤٨ـ المحاجاة ، ومتمم مهام أرباب الحاجات : وهي في الأحاجي والأغلوطات • وقال ياقوت : « في الاحاجي والألغاز » وما أثبته من الكشف والهدية[٦٣] وقد حققته الدكتوره بهيجة الحسني في بغداد ونشرته عام : ١٩٧٣ •

٤٩ـ مختصر الموافقة بين أهل البيت والصحابة : والأصل : هو كتاب « الموافقة بين •• » لأبي سعيد اسماعيل الرازي وذكره زادة : في أسماء الكتب ص : ٣٢٨ •

٥٠ـ المستقصى في الأمثال : وهو مطبوع • ذكر له خليفة قصة[٦٤] •

---

(٥٩) كشف الظنون : ١٣٩٨/٢ وياقوت : ١٥١/٧ والكتاب طبعه الدكتور ابراهيم السامرائي محققا عام ١٩٦٨ ببغداد بعنوان « الجبال والامكنة والمياه » .

(٦٠) انظر ما ذكر عنه خليفة من تفصيلات كثيرة في الكشف ١٤٧٥/٢ – ١٤٨٤ .

(٦١) اسماء الكتب : ٢٦٤.

(٦٢) معجم ياقوت : ١٥١/٧ وفي الكشف كما أثبتنا : ١٥٨٤/٢ واسماء الكتب : ٢٨ .

(٦٣) الكشف : ١٦٠٧/٢ وسماه زادة (الاحاجي) : ٢٨ .

(٦٤) الكشف : ١٥٩٨/٢ وزادة : ٢٩٠ . والمطبوع بعنوان : « .. في أمثال العرب » . انظر طبعة:دارالكتبالعلمية ـ بيروت عام:١٣٩٧هـ/١٩٧٧ـالثانية.

٥١ـ معجم الحدود : هكذا ذكر[٦٥] ويبدو أنه في تعريفات الحدود والمصطلحات .

٥٢ـ المفرد والمركب في العربية .

٥٣ـ المفرد والمؤلف ، في النحو[٦٦] : ذكره خليفة وزادة ولم يذكرا الذي قبله ، ولعلهما واحد .

٥٤ـ المفصل في النحو ، وهو متن في علم النحو مطبوع متداول وشرحه ابن يعيش (٦٤٣هـ) في عشرة أجزاء وشرحه ابن الحاجب باسم (الايضاح) وقد حققه موسى بناي العليلي ونشرته وزارة الاوقاف وعليه شروح وحواشٍ كثيرة أخرى ذكرها خليفة في الكشف[٦٧] .

٥٥ـ المقامات ، وهو في المواعظ . وذكره خليفة[٦٨] وعبداللطيف زادة في : أسماء الكتب .

٥٦ـ مقدمة الأدب : وهو في اللغة ألفها لأبي المظفر ابن خوارزم شاه[٦٩] .

٥٧ـ مناسك الحج : ذكره في الهدية ، وفي الكشف نسب مثله لابن جريج (١٥٠هـ) .

٥٨ـ المنتخب من : ضالة المنشد . وضالة المنشد هو كتاب له ـ أيضاً ـ كما مرت الاشارة .

٥٩ـ المنهاج : وهو في الأصول . ذكره خليفة[٧٠] والبغدادي .

---

(٦٥) الهدية ٢/٤٠٢ والكشف : ٢/١٧٣٤ .
(٦٦) الكشف : ٢/١٧٧٤ .
(٦٧) انظر : ٢/١٧٧٤ فما بعد وانظر : أسماء الكتب : ٣٠٤ .
(٦٨) الكشف : ٢ / ١٧٩١ . وأسماء الكتب : ٣٠٤ .
(٦٩) الكشف : ٢/١٧٩٨ .
(٧٠) الكشف : ٢/١٨٧٧ .

٦٠- نزهة المستأنس[٧١] وذكر اسماعيل باشا البغدادي أنه : في أيا صوفيا

•• يعني : نسخه المخطوطة .•

٦١- نصائح الصغار •

٦٢- نصائح الكبار •

٦٣- نصائح الملوك•

٦٤- نكت الأعراب في غريب الإعراب : يعني غريب اعراب القرآن كما ذكر ياقوت[٧٢] •

٦٥- نوابغ الكلم : قال فيه خليفة في الكشف(*) : « شرحه مؤيد الدين بن الموفق (٦٤٠هـ) وبايزيد القونوي (٩٨٣هـ) ومحمد المنشي شيخ الحرم في المدينة (١٠٠١ هـ) •

قال المترجمون : « وغير ذلك » •

---

(٧١) في الهدية : المتانس .

(٧٢) معجم الادباء : ١٥١/٧.

(*) كشف الظنون : ١٩٧٨/٢.

ثانيا : الفائق

كتاب الفائق في غريب الحديث ، للامام جارالله محمود بن عمر الزمخشري من أجل الكتب التي عنيت بجمع الغريب من لغة الحديث والأثر .

وأكاد أزعم أن هذا الكتاب هو ثمرة جهود العلماء اللغويين الذين تناولوا هذا الموضوع منذ القرون الأولى للتأليف العربي في غريب لغة الحديث ، حتى مطلع القرن السادس ، إذ ظهر فيه هذا الكتاب . يضم بين دفتيه فوائد جمة ، ومنافع غزيرة ، ورواية متقنة ، وفنوناً من الأدب ، وأصنافاً من العلم اللغوي ، لم تتوافر لغير الزمخشري ، فهو موسوعة لغوية علمية وفقهية حفل بها القرن السادس الهجري .

لقد أتم الزمخشري تأليف هذا الكتاب في «أوائل شهر ربيع الآخر، الواقع في سنة ست عشرة وخمسمئة ، وهي السنة الرابعة»[٧٣] . وقد وصف عمله هذا بقوله :

« وهو كتاب جليل ، جم الفوائد ، غزير المنافع ، مَن أتقن ما فيه رواية ، وعلقه بفهمه حفظاً ودراية ، نبغ في أصنافٍ من العلم ، وبرع في فنون من الأدب »[٧٤] .

وهذا الذي يقولهفي كتابه يصدّقه ما أودعه من معارف وفنون ضَربتْ اسهُمها النافذة في البلاغة ، والنحو ، وفقه اللغة ، وأحكام

(٧٣) خاتمة الجزء الرابع من الفائق : ص ١٣٢ . ولعلها السنة التي نذر نفسه فيها للحج .

(٧٤) الفائق : ٤/١٣٢ ، ومما يحقق مكانة هذا الكتاب واهميته اعتماد المشتغلين بلغة غريب الحديث من بعده ، عليه ، ولعل ابرز من اعتمده مصدراً ، ابن الاثير في كتابه « النهاية في غريب الحديث » . وهو كتاب مطبوع متداول بين أيدي الناس .

الشرع والأصول ، وتاريخ الرجال ، والأنساب ، والامثال ، وأقوال البلغاء والفصحاء ، حتى لم يدع شيئاً من علم العربية إلا تناوله بالشرح والتبسيط، ومثل له بأفصح الكلام من القرآن والحديث والشعر والأمثال وسجع الكهان ، وأقوال أئمة البيان العربي ، مما يعسر أن نجد مثله في كتب المتقدمين .

وإنما فعل ذلك ، وحرص على أن يأتي بما يقصّر عنه غيره ، لأنه قد تناول موضوعاً خطيراً ، ومبْحثاً جليل القدر ، وهو لغة رسول الله – ص – وصحابته ممن رووا الحديث ، وتابعيهم ممن نقلوا هذه الآثار الى الأمة ، وبلّغوها بأمانة وصدق .

ولقد أوتي النبي – ص – جوامع الكلم ، فكان ذا بيان عربي ، ألقى الله – عزّت قدرته – زبدته « على لسان محمد – ع – » فما من خطيب يقاومه إلا نكص متفكك الرجل ، وما من مِصقع يُناهزه إلا رجع فارغ السّجل وما قُرن بمنطقه منطق إلا كان كالبرْذَوْن مع الحصان المطهّم ، ولا وقع من كلامه شيء في كلام الناس إلا أشبه الوضح في نقْبة الأدهم .

قال – عليه السلام – أوتيتُ جوامع الكلم » وقال : أنا أفصح العرب ، بيد أني من قريش ، واسْتُرْضِعتُ في بني سعد بن بكر »[٧٥] .

وأعطى الزمخشري سبب تأليف هذا العمل الجليل ، فحصره في جانبين :

الأول : كشف ما غرب من ألفاظ الآثار واستبهم .

الثاني : بيان ما اعتاص من الأغراض واستعجم[٧٦] .

(٧٥) الفائق : ١١/١ . (٧٦) نفسه : ١٢/١ .

فهو — إذن — ملزم نفسه تفسير غريب المفردات — أولاً — ثم تبيين ما يتضمن الأثر من حكم ، أو توجيه ، وما يهدف اليه من غرض ارشادي أو تشريعي .

وهذان الغرضان ليسا جديدين في علم غريب الحديث لدى الأئمة المتقدمين ممن عنوا بلغة الحديث والأثر ، فقد تضمنت كتبهم هذين الاتجاهين — أيضا — ولكنهم انما شاركوا في التأليف تبركاً بحديثه — صلى الله عليه وسلم — واظهاراً لما يتميزون به من قدرات في علم اللغة ، وغريب الحديث ، ومن هنا جاءت الكتب المؤلفة في هذا العلم كثيرة ، على مر العصور ، فقد قيل : أن أبان بن تغلب من علماء القرن الثاني له كتاب في غريب الحديث ، تبعه من بعده جملة من العلماء كأبي عبيدة معمر بن المثنى (٢١٠هـ)[٧٧] ، وضع كتاباً صغير الحجم ، قال فيه حاجي خليفة : « لم تكن قلته لجهله بغيره ، وانما ذلك لأمرين ، أحدهما : ان كل مبتدىء بشيء لم يسبق اليه يكون قليلاً ، ثم يكثر .

والثاني : أن الناس كان فيهم — يومئذٍ — بقية ، وعندهم معرفة ، فلم يكن الجهل قد عم »[٧٨] .

ولقطرب (٢٠٤هـ) كتاب « غريب الآثار » ، وللنضر بن شميل : (٢٠٤هـ) وألف — أيضا — أبو عمرو والشيباني (٢١٣هـ) فيه ، والأصمعي : (٢١٥هـ) وأبو سعيد أحمد بن خالد الضرير (٢١٤هـ) كتباً في غريب الحديث .

ثم كان أبو عبيدالقاسم بن سلام الهروي (٢٢٤هـ) الذي وضع كتابه « غريب الحديث » فكان القدوة في هذا العلم ، قال فيه مؤلفه : « اني جمعت كتابي هذا في أربعين سنة ، وربما كنت أستفيد الفائدة

(٧٧) كشف الظنون : ١٢٠٣/٢ .

(٧٨) نفسه : ١٢٠٤/٢ ومعجم ياقوت : ٢٣٥/٢ و ١٦٣/٦ و ١٠٦/٧ .

من الأفواه ناضعها في موضعها ، فكان خلاصة عمري »[79] . وادّعى يافوت أن أبا عبيد ــ في كتابه هذا ــ اعتمد « على كتاب أبي عبيدة » ، وأنه حين أهداه الى عبدالله بن طاهر قال فيه ابن طاهر : « إنّ عقلاً بعث صاحبه على عمل هذا الكتاب لحقيق الا يحوّج الى طلب معاش »[80].
فهو ــ إذن ــ كتاب لايستهان به في بابه ، وكان حقاً ــ قدوة المؤلفين في الغريب ، يقول فيه ابن الأثير ، بعد أن عرض لجملة من كتب « غريب الحديث » بدءا من أبي عبيدة ، وانتهاءا « بالفائق » : « .. والأعمار تفنى ولا تنقضي إلّا عن تصنيف في هذا الفن الى عهد الإمام أبي القاسم محمود ابن عمر الزمخشري الخوارزمي ــ رحمه الله ــ فصنف كتابه المشهور في غريب الحديث ، وسماه : « الفائق » ، ولقد صادف هذا الاسم مسمى وكشف عن غريب الحديث كل معنى ، ورتبه على وضع اختاره مقفى على حروف المعجم ، ولكن في العثور على طلب الحديث منه كلفه ومشقة ، وان كان دون غيره من متقدم الكتب ، لأنه جمع في التقفية بين ايراد الحديث مسروداً جميعه ، أو أكثره ، أو أقلّه ، ثم شرح ما فيه من غريب ، فيجيء شرح كل كلمة يشتمل عليها ذلك الحديث في حرف واحد من حروف المعجم ، فترِدُ الكلمة في غير حرفها ، واذا تطلبها الإنسان تعب حتى يجدها ، فكان كتاب الهروي أقرب متناولاً ، وأسهل مأخذاً ، وان كانت كلماته متفرقة في حروفها ، وكان النفع به أتمّ ، والفائدة منه أعم »[81] . فهذا هو رأي ابن الأثير في غريب أبي عبيد ، وهو رأي معظم علماء هذا الفن ، فقد جعلوه مقياساً للجودة والرداءة لما يضعون من تصانيف فيه يقول الضبي في كتابه « غريب الحديث » للقاسم بن ثابت : « رواه عنه ابنه ثابت ، وله فيه زيادات » قيل فيه : « ما شأه أبو عبيد ، إلا بتقدّم عصْرِه »[82] .

---

(79) غريب الحديث : لأبي عبيد : ٣/١ .
(80) معجم الادباء : (ط : مارجليوث) : ٦ / ١٦٣ .
(81) النهاية : ابن الاثير : جـ١ / ص ٩ .
(82) جذوة المقتبس : العدد : ١٣٠٠ ومعجم ياقوت : ١٥٤/٦ .

وكثر التصنيف بعد كتاب الهروي فشارك جملة من علماء اللغة فيه، من أمثال: علي بن المغيرة الأثرم: (٢٣٢هـ)[٨٣] وأبي جعفر محمد بن حبيب (٢٤٥هـ)[٨٤]، وأبي عثمان المازني: (٢٤٨هـ)[٨٥]، ومحمد بن عبدالله بن قادم: (٢٥١هـ)[٨٦]، وأسماء (غرائب الحديث) • وشمر بن حمدويه الهروي: (٢٥٥ هـ) الذي كان كتابه أحد مصادر تهذيب الأزهري•

وأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة: (٢٧٦ هـ)[٨٧] •

وسلمة بن عاصم (٢٧٩هـ) شيخ ثعلب (٢٩١ هـ)[٨٨] •

وابراهيم بن إسحاق الحربي: (٢٨٥ هـ) •

وأبي العباس محمد بن يزيد بن عبدالاكبر الثمالي الأزدي المعروف بالمبرد: (٢٨٥هـ) •

وأبي العباس أحمد بن يحيى الشيباني ـ ثعلب ـ[٨٩]: (٢٩١هـ)، وأبي محمد القاسم بن محمد بن بشار (٣٠٤ هـ أو ٣٠٥هـ)[٩٠] وابن كيسان محمد بن أحمد (٢٩٩ أو ٣٢٠هـ)[٩١] • قال فيه ياقوت: هو كتاب حسن: « نحو أربعمئة ورقة » •

وعمر بن محمد القاضي (٣٢٨ هـ)[٩٢] ووصفه المترجمون « بأنه لم يتم »[٩٣] • وأبي بكر بن الأنباري (٣٢٨هـ)[٩٤]، قال فيه ياقوت، يقع

---

(٨٣) الفهرست لابن النديم: ١٠٦ ومعجم ياقوت: ٤٧٦/٦ .

(٨٤) معجم ياقوت: ٤٢١/٥ . (٨٥) نفسه: ٢٢٢/٧ .

٨٦ نفسه: ١٦/٧ .

(٨٧) انظر مقدمة تهذيب اللغة: ٢٣/١ ومعجم ياقوت: ٣٦٣/٤ و ٨٣/٣ .

(٨٨) المعجم: ٢٤٩/٤ .

(٨٩) انظر: الكشف: ١٢٠٤/٢ ـ ١٢٠٥ و ١٢٠٦ والمعجم: ٣٧/١ .

(٩٠) الكشف: ١٢٠٥/٢ ومعجم ياقوت: ١٩٦/٦ ـ ١٩٧ والفهرست: ٧٥.

(٩١) الكشف: ١٢٠٥/٢ . والمعجم: ٢٨١/٦ .

(٩٢) الكشف: ١٢٠٥/٢ .

(٩٣) ياقوت: ٥٢/٦ ونشوار المحاضرة للتنوخي: ١١٨/١ .

(٩٤) ياقوت: ٧٦/٧ والكشف: ١٢٠٥/٢ .

في « خمسة وأربعين ألف ورقة ، أملاه من حنظه »[٩٥] والقاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف بن ناصح البياني (٣٤٠ هـ)[٩٦] وسماه : « غرائب حديث مالك » • وأبي عمر الزاهد غلام ثعلب : (٣٤٥هـ)[٩٧] • وعبدالله بن جعفر بن درستويه : (٣٤٧هـ) ، قال حاجي خليفة بعد أن ذكر كتاب ابن درستويه : واسماعيل بن عبدالغافر ، راوي صحيح مسلم المتوفى سنة : (٣٤٩ هـ) ، وكتابه جليل الفائدة ، مجلد مرتب على الحروف ، واستمرت الحال الى عهد الإمام أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي البستي المتوفى سنة : (٣٨٨هـ) ، فألف كتابه المشهور ، سلك فيه نهج أبي عبيد ، وابن قتيبة ، فكانت هذه الثلاثة فيه أمهات الكتب ، إلا أنها لم يكن كتاب صنف مرتباً يرجع الإنسان عند طلبه إلا كتاب الحربي ، وهو على طوله لا يوجد إلا بعد تعب وعناء ، فكما كان زمان أبي عُبيد أحمد بن محمد الهروي (٤٠١هـ) صاحب الأزهري (٣٧٠هـ) ، وكان في زمن الخطابي •• ألف كتابه المشهور في الجمع بين غريبي القرآن والحديث ، ورتبه على حروف المعجم ، على وضع لم يسبق فيه وجمع ما في كتب من تقدّمه ، فجاء جامعاً في الحسن ، إلا أنه جاء الحديث مفرقاً في حروف كلماته •• وما زال الناس يتبعون أثره الى عهد الإمام •• الزمخشري فصنف الفائق ورتبه على وضع اختاره مقفى على حروف المعجم •• »[٩٨] •

وتتابع بعد الزمخشري جملة من الأئمة المعنيين بهذا الفن لم تر بنا حاجة الى ذكرهم ـــ هنا ـــ ولكن الذي يهمنا منهم هو ابن الأثير صاحب

---

(٩٥) معجم الأدباء : ٧٦/٧ •

(٩٦) جذوة المقتبس : العدد : ١٢٩٨ والمعجم : ١٥٤/٦ •

(٩٧) معجم ياقوت : ٢٩/٧ •

(٩٨) كشف الظنون : ١٢٠٥/٢ ـــ ١٢٠٦ • وانظر معجم ياقوت : ٨٣/٢ • ويمكن استيفاء كتب غريب الحديث في مقدمة تحقيق عبدالله الجبوري لغريب الحديث لابن قتيبة ، والفهرسة التي عملتها الدكتورة فاطمة الراضي لكتب الغريب : (٩٩) المعجم : ٢٤١/٦ •

النهاية : (٥٤٤هـ - ٦٠٦هـ)[٩٩] لأنه عرض للزمخشري بالنقد - أحياناً - والاعتماد عليه في معظم كتابه ، ونقل عباراته بتمامها ، مرة بـ (قال الزمخشري) ، ومرة - باسم الكتاب (الفائق) .

ولقد ذكر الزمخشري باسمه ما يزيد على مئة وثمانين موضعاً ، وأكثرها نقل بأمانة من غير تغيير أو نقص ، نحو قوله : « قال الزمخشري الطرف لا يثنى ولا يجمع ؛ لأنه مصدر ، لو جمع فلم يسمع جمعه أطراف ولا أكاد أشك انه تصحيف ، والصواب : « غض الإطراق » ، أي : يغضضن من أبصارهن مطرقات راميات بأبصارهن الى الأرض »[١٠٠] والعبارة بتمامها في الفائق.ومن ذلك قوله : في صفة الرسول-عليه السلام-:«كان منخوض الكعبين ، الرواية : منهوس بالسين المهملة - قال الزمخشري : «وروي : منهوش ومبْخوض والثلاثة في معنى المعروق »»[١٠١]

وقد تتواصل النقول من الفائق لصفحات[١٠٢] على الرغم من أنه كان قد رأى في منهجه في عامة ترتيبه ما يعد مأخذاً عليه كما سبقت الاشارة .

مما تقدم يتبين لنا أن كتاب الفائق في غريب الحديث يعد انعطافاً مهماً في تاريخ التأليف في المعجمات الخاصة ، التي تعنى بجانب من جوانب اللغة ، ولما تميز به هذا الكتاب من بين سائر المعجمات التي تقدمته ، من حيث المنهج ، والموضوعات التي عني بها خلال تفسيراته وشروحه من ظواهر اللغة ، وخصائصها العامة ، والنظرات الذاتية التي تدل على طول الباع والقدرة على التحليل ، والتصرف العارف ببواطن الأمور ودقائق الأسرار ، كان كتاب الفائق موسوعة لغوية ، ومصدراً خطيراً من مصادر البحث اللغوي في القرن السادس الهجري ، ولقد أشار مؤلفه في مقدمته الى هذه الخصائص والسمات المميزة ، فقال : « يعود لمقتبسه بالنصح ، ويرجع

(١٠٠) النهاية ٣/١٢٠ والفائق : (سدد) : ٢/١٧٠ .

(١٠١) النهاية : ٥/٣٣ والنص في الفائق (نهش) : ٤/٣٣ .

(١٠٢) انظر النهاية : المواد : طرر : ٣/١١٨ وطرطب ٣/١١٩ وطرف٣/١٢٠.

الى الراغبين فيه بالنجح ، ١ ـ[١٠٣] : من اقتضاب ترتيب سلمت فيه كلمات الأحاديث نسقاً ونضدا ، ولم تذهب بددا ولا أيدي سبا وطرائق قدداً .

٢ ـ ومن اعتماد فَسْرٍ موضح ، وكشف مُفصح ، اطلعت بـه على حاق المعنى ، وفصّ الحقيقة اطلاعاً مؤداه طمأنينة النفس ، وثلج الصدر .

٣ ـ مع الاشتقاق غير المستكره .

٤ ـ والتصريف غير المُتَعَسَّف .

٥ ـ والإعراب المحقق البصري الناظر في نص سيبويـه (١٨٠هـ) وتقرير الفسوي ـ أي : أبي علي (٣٧٧هـ)[١٠٤] .

ولعلّي لا أغالي اذا قلت : ان هذا الذي ذكره الزمخشري ينسلك في نظام تواضعه الجمّ ، وخلق العالم المتسامح ، وإلا فانه لم يخل كتابـه من التنبيه على الأساليب البلاغية ، وطرق التعبير ، والعناية باللغات واللهجات والفوائد العلمية والتأريخية الكثيرة .

ثالثاً : منهج الزمخشري في الفائق

لقد سبق لأن أشرنا الى أن أبا القاسم قد وضع كتابه على حروف المعجم، آخذاً بترتيـب : ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ، ك ل ، م ن و هـ ي . وخالف في تقديم « الواو » على «الهـاء» ، وهو ترتيب معروف أيضاً عند المشتغلين في اللغة ، ولا سيما أهل المغـرب ، وبعض المشارقة ، وقد عمل به هو في « الاساس » وحـاجي خليفـة في الكشف ـ مثلا ـ[١٠٥] . في حين قدم ابن منظور الهاء على الواو واليـاء في ترتيبه اللسان[١٠٦] .

(١٠٣) وضعت هـذا التقسيـم بالعـدد لتوضيـح الجوانب المميزة لعمل الزمخشري في كتابه ، ولبيان خصائصه المنهجية والعلمية .

(١٠٤) الفائق : ١٢/١ .

(١٠٥) انظر ترتيب المؤلفات في حـ٢/ص ١٩٩٤ فقد انتقل من النون (نيـل المرام) الى باب الواو ـ مباشرة ـ : (الوابل الصيب) ثم تناول الهاء .

(١٠٦) انظر لسان العرب : الأبواب والفصول ، وحروف الحشو .

والذي يهمنا من منهج الزمخشري في كتابه ــ الفائق ــ أنه غير مقلد ولا متابع ، وانما هو صاحب قرار ، يقول ما يراه ، وينتهي إلى ما يجد أنه هو الصحيح والصواب ، اذا لم يخالف الأصول العامة للأحكام والقواعد الكلية التي جاء بها الذكر الحكيم وأكدتها السنّة المطهرة ، وأجمعت عليها الأمة • ومن هنا كان حريصاً على نقل النص من مصادره الأساسية فيؤكد الحديث بالقرآن ، ويؤكده بالحديث ، ويؤكده بكلام الفقهاء والعلماء ، ثم يعضده ــ في الدلالة والمعنى ــ بأقوال الفصحاء والبلغاء ــ شعرهم ونثرهم ــ • فكان لهذا كله قد وضع بين أيدي المعنيين كتاباً متكاملاً في فوائده اللغوية والعلمية ، لايطغى جانب اللغة على المعارف والعلوم ، ولا يكون للمعارف العامة طغيان على ما وضع الكتاب من أجله وهو تفسير غريب الحديث •

إن جرأته في إعطاء الرأي ، وابراز موقف خاص له من بين الآراء التي يعرض لها سمة واضحة في منهج أبي القاسم ، ولكي يُعطي صورة واضحة عن تميُّزه في هذا الاتجاه نورد بعض النصوص التي أدلى فيها دلوه :

يقول في (فند)[١٠٧] : « الفند : الشمراخ من الجبل ، أو الجبل العظيم » ثم أورد لها معنى آخر ، وهو قولهم للجماعة : « فند » تشبيها لهم : بفند الجبل ، ثم قال : «وعندي وجه ثالث ، وهو أن يكون التفنيد بمنزلة التضمير من الفند ، وهو الغصن المائل ، قال :

من دونها جنة تَقْرُو لها ثَمَر يُظِلُّهُ كل فَنَدْ ناعم خضل ــ

ثم فسر البيت ، وعضد قوله بما يؤكد اتجاهه اللغوي •»

ويقول في الحديث : « إقرأوا القرآن ما اتفقتم ، فإذا اختلفتم فقوموا عنه » فظاهر هذا الحديث يخالف ما ينبغي أن يكون عليه علماء الأمة من العناية بالقرآن ؛ لذلك كان صارماً في اعطاء الرأي في هذه المسألة التي

(١٠٧) الفائق : ١٤٣/٣ (فند)

ظاهر معناها ترك المناظرة والنقاش ، والمباحثة في القرآن : « لايجوز توجيهه على النهي عن المناظرة والمباحثة ، فإن في ذلك سداً لباب الاجتهاد ، واطفاء نور العلم ، وصداً لما تواطأت العقول والآثار الصحيحة على ارتضائه والحث عليه . ولم يزل الموثوق بهم من علماء الأمة يستنبطون معاني التنزيل ، ويستثيرون دفائنه ، ويغوصون على لطائفه .. ومن ثم تكاثرت الأقاويل ، واتّسم كل من المجتهدين بمذهب في التأويل يُعزى اليه .. »[١٠٨] .

ويقول في (لهق) : « التلهُّوق » : هو أن يتزين المرء بما ليس فيه من خلقٍ ومروءة .. » .

« وعندي : أنه تَفَعْوُلٌ من اللهق ، وهو الأبيض ، فقد استعملوا الأبيض في موضع الكريم ، لنقاء عرضه مما يُدنّسه من ملامات اللئام[١٠٩] وقد يعبر عن موقفه بألفاظ وعبارات من نحو : « وليس بثبت »[١١٠] أو « لا أحقّه »[١١١] . أو « لعل الحديث »[١١٢] . ولقد قرر مذهبه في القبول والرفض بعبارة محكمة حين ردّ على الأصمعي خلافه لسيبويه قال : « واذا صَحّت الرواية مع وجود النظير في العربية ، فقد انسدّ باب الرد»[١١٣] .

ويتحكم في القبول والرفض مبادىء وقيم منهجية يلتزمها في غالب الأحيان – فضلاً عما قرره في انتصاره لسيبويه السابق – فمن ذلك : المعرفة العامة ، والوقائع التأريخية ، والوجادة ، والنقل عن الأئمة ، فمن ذلك – مثلاً – رفضه ما نسب الى أبي عبيد[١١٤] من رواية الحديث : « حرّم – ص – ما بين عير إلى ثور » : هما جبلان بالمدينة .

---

(١٠٨) نفسه : ٣٥٧/٣ (مرأ) .
(١٠٩) نفسه : ٣٣٥/٣ – ٣٣٦ (لهق) .
(١١٠) نفسه : ٧١/١ (بين) .
(١١١) نفسه : ٢٧٠/٣ (كفح) . (١١٢) نفسه : ٢٧/٣ .
(١١٣) الفائق : ١٦٩/٣ (قذف) . (١١٤) انظر : معجم ياقوت : ٢٧/٣ .

قيـل : « لا يعرف بالمدينة جبل يسمى ثوراً ، وانما ثـور بمكـة ، ولعـلّ الحديث : ما بين عَيْرٍ الى أحُدٍ »(١١٥) • وأمثـال ذلـك كثير سنأتي عليها إن شاء الله ، في مواضع أخرى من هذا البحث •

ولعلنا نستطيـع أن نشخّص أمرين مهمين من منهـج الزمخشـري خلال كتابه الفائق ، وهما :

أولاً : الظواهر التنظيمية في المنهج •

ثانياً : الظواهر العلميـة والمعرفية •

ونعني بالظواهر التنظيمية مسيرة أبي القاسم في ترتيب المواد وتناولها بالفَسْر وتوضيح الدلالة ، وربط أجزاء المواد بعضها ببعض ، وما يتصل بذلك كله من محاسن تحسب له ، ومآخذ تحسب عليه(١١٦) •

أما الظواهر العلمية ، فما تميز به الكتاب من عنـايات واهتمـامات بظواهر اللغة وخصائصها ، وقوانينها ، وما أضاف الى ذلك من فوائد علمية ومعرفية كالآداب والتاريخ والأنساب ، ولغات الأمم مما لايُسْتَغنى عنه •

الظواهر التنظيمية في منهج الزمخشري في الفـــائق

أشار ابن الأثير (٦٠٦هـ) في مقدمة النهاية الى أن الزمخشـري قـد رتّب معجمه (الفائق) على حروف المعجم ، ولكنه أخفق في تيسير الطريق لاهتداء القـارىء الى المفردات الحديثية التي يتضمنها حديث الباب ، فالحديث الواحد يتضمن بضع كلمات تحتاج الى تفسير ، فيضطر المـؤلف الى تفسير تلك المفردات في موضع ذلك الحديث ، فلا يجد المراجـع بغيته إلا بعد عناء وتعب •

---

(١١٥) الفائق : ٤٢/٣ (عير) .

(١١٦) وقد أشار ابن الأثير في مقدمة النهاية الى ذلك : ٩/١ .

وهذه مشكلة وقع فيها الفائق — حقاً — ، وهي تتطلب من القارىء أن يكون عارفاً بألفاظ الحديث جميعها ، ليستطيع الإهتداء الى تلك الكلمات مع تفسيرها • وذلك أمر غير يسير •

وكان إلى جانب هذه المشكلة مشكلات أخر نتجت عن تصرف الزمخشري في إيراد الحديث على ثلاثة أوجه :

١ — إيراده كاملا ، مهما بلغ طوله •
٢ — إيراد أكثره •
٣ — إيراد أقله[١١٧] •

ولتكون الصورة واضحة نودّ أن نفرد لكل ظاهرة من هذه الظواهر مبحثاً موجزاً ممثلين لها بما يزيدها بياناً •

أولا : المادة اللغوية والحديث :

أساس المادة اللغوية — عند الزمخشري — في الحرفين : الأول والثاني أما الأول ، فهو حرف الباب ، وأما الثاني ، فلترتيب الباب ، فالهمزة — مثلاً — هي الباب ، وتترتب على الشكل الآتي :

الهمزة مع الباء ، والهمزة مع التاء ، والهمزة مع الثاء ، والهمزة مع الجيم ، والهمزة مع الحاء •• الى الهمزة مع الياء ، فإن شذ عن هذا الترتيب شيء أهمله ، كاجتماع الهمزة مع الظاء ، فليس هناك مفردة في العربية اجتمع فيها هذان الحرفان ، فأهمل ذكرها[١١٨] • وعند انتهاء الباب الذي يسميه — الكتاب — قال : « هذا آخر كتاب الهمزة ••»[١١٩] • ويتمم الحرفين الأول والثاني ، حرفٌ ثالث — أو رابع — ، لتكون منهما مادة المفردة التي أورد الحديث من أجلها ، والذي يتأمل عمل الزمخشري في هذا الحرف ، يجده قد أخلّ بجانب تنظيمي مهم لو التزمه لكان

---

(١١٧) انظر مقدمة النهاية : ٩/١ وكشف الظنون : ١٢٠٦/٢ •
(١١٨) الفائق : جـ١ / ص ١٣—٦٩ • (١١٩) نفسه : ٦٩/١ •

مثالاً في الدقة المعجمية ، فلقد رأيناه في « أساس البلاغة » حريصاً على التزام الدقة ، وصحة الترتيب ، فإذا عقد الباب مثلا على « الطاء والباء » كان الحرف الثالث كفيلاً بإيراد المواد مرتبة على حروف المعجم ، نحـو : طبب[120] — طبخ — طبع — طبق — طبل — طبن — طبي •• ولكنـه في « الفائق » أهمل هذا التنظيم فجاءت مـواده مبعثرة ، يتقـدم حـرف ، ويتأخر آخر ، ويتكرر في مواضع من الباب .•

فمن التقديم والتأخير ما نـراه — مثـلاً — في باب (الـواو واللام)[121] :

وله — ولي — واق — ولغ — ولول — ولي — ولث — ولد •

ولو وضع المواد على الترتيب المعجمي لكانت على الشكل الآتي :

ولث — ولد — ولغ — ولق — (وله أو ولول على تنظيمه الخاص)، ولـي •

أما التكرار في جذور المواد ، فنحو[122] :

وري — ورع — وري — ورك — ورد — ورع

وره — ورك — ورد — ورع — ورق — •

فيلاحظ تكرار (وري) مرتين ، و (ورك) مرتين و (ورع) ثـلاث مرات ،و (ورد) مرتين ، ولم تأت في حالة الافراد إلا : (وره) و (ورق)•

وقداضطرهذاالمنهج الى أن يتبع كـل فصل مـن فصول الكتاب بإشارة الى ما يرد من مواد اللغة في مواطن أخرى من الكتاب ليتمم بـه ما كان ينبغي له أن يفسره مع مواد البـاب نفسـه ، من ذلك — مثلاً — فَسَّر مواد باب (الجيم مع اللام) وهي : جال — جلهم — جلب — جلس — جلخ — جلج — جلا — جلل — جلز — جلل — جلب — جال — جلد —

(١٢٠) أساس البلاغة : باب الطاء : ٥٧٣ فما بعد .

(١٢١) الفائق : ٧٩/٤ . (١٢٢) نفسه : ٥٣/٤ .

جلفظ ــ جلل ــ جلبب ــ جلا ــ جلع ــ جلد ــ جلح ــ جلعب ــ جلاء ــ جلجل ــ جلحاء ــ .

ثم قال في آخر تفسير هذه المواد :

لا أجلنظي في (بج) . أجلى في (زه) ـ مجلّلا في (حي) أجلّوا الله في (حل) . ولا جلحاء في (عق) من جلابها في (عس) فجلد بالرجل في (رت) ، جلعدا في (قص) على أجالدهم في (قس) و جليل في (صب) . جلال في (لق) ذا الجلب في (لب) جلحاء في (قذ) جليل المشاش في (مغ)[133] .

ومن الملاحظة اليسيرة السريعة يجد المرء ان (جلحاء) ــ مثلا ــ قد فسرت في بابها ، ولكنها فسرت في موضعين آخرين من الكتاب ، كما أشار الزمخشري في باب (العين والقاف)[134] وفي باب (القاف والذال)[135].

ولهذا كان انتقاد ابن الأثير على الزمخشري صحيحا ، حين قال : « يجيء شرح كل كلمة يشتمل عليها ذلك الحديث في حرف واحد من حروف المعجم ، فترد الكلمة في غير حرفها ، واذا تطلبها الإنسان تعب حتى يجدها »[136] .

ومما لاشك فيه ان دلالات الكلمات ــ على الرغم من تكرارها في أكثر من موضع من النصوص الحديثية ، والآثار ، تختلف من موضع لآخر ، فليست جميعها واحدة الدلالة ، بل : ان دلالاتها تتلون بتلون السياقات والأحوال والهيآت ، كما تتلون بتلون الصيغ والأبنية .

فمادة (كفر) ــ مثلا ــ وردت مفرداتها المشتقة على طول المواد الحديثية بالصور الآتية : « كُفُرّى » : قشر الطلع[137] « يكفّره ما يكفّر اليمين » : أي : يكفّر قوله ونذره[138] .

(١٣٣) الفائق : ٢٣١/١ . (١٣٤) في مادة (عقص) : ١٣/٣ .
(١٣٥) مادة (قدر) : ١٦٩/٣ . (١٣٦) النهاية : ٩/١ .
(١٣٧) الفائق ٢٠٨/١ (جرمز) . (١٣٨) الفائق : ٣٥/٢ ــ ٣٦ (رتج) .

و « كافر » وهو ضد المسلم[١٢٩] .

وجاءت المفردات : « كفرة »و « كوافر » و « تُكَفّر » و « كفاراً » « اكفّر » « تكفرونهم » بمعنى الكفر والخروج عن الاسلام[١٣٠] . وهو موطن المادة الحقيقي و « مكفّر » أي : مرزأ[١٣٠] .

و « تَكَفّر للسان » : أي : تتواضع وتخضع ، من تكفير الذمي[١٣١] .

« الكَفْر » : القرية ، « كفرتوثى » و « كفر طاب » و « كفر تعقاب » .

« الكفور » : القبور . و « كفرانك » أي : اكفر بك ولا أسبحك[١٣٢] .

« اكْتَفَره » نسبة الى الكفر[١٤] .

فهذا التلون في الدلالات سببه ، نوع الصيغة ، وما يتطلبه السياق من الحديث ، غير أن أصل الدلالة ، هو التغطية والالباس .

وكان الزمخشري دقيقاً في توضيح هذه الدلالات ، وما يتعلق بها من تغيرات في مواضع الاستعمال حقيقة أو مجازاً . كما سنرى عند تناولنا موضوع المجاز في تفسيره للكلام .

ثانيا : طول الحديث :

تتراوح الأحاديث التي تناولها الفائق بين أن تكون مفردات ، تمثل جزءاً من حديث طويل ، أو أن يسرده كاملاً ، ثم يجزئه الى مفرداته بعد أن يشرح المفردة التي أورد الحديث من أجلها في الحرف .

---

(١٢٩) نفسه ٢٦٥/٣ (كفأ) . (١٣٠) نفسه ٢٦٦/٣ (كفر) .
(١٣١) نفسه ٢٦٧/٣ (كفر) .
(١٣٢) نفسه ٢٦٨/٣ — ٢٦٩ (كفر) .
(١٣٣) نفسه ٢٧٠/٣ (كفر) . و ٢٨٢ .
(١٣٤) نفسه ٧٠/٤ . (وطد)

وليس ثمة تعليل واضح لإطالة بعض الأحاديث وسردهـا بشكل كامل إلا كونها تحصر جملة صالحة من المفردات الغريبة التي تحتـاج الـى شرح وتبسيط ، ولذلك نجد أبا القاسم يفيض في تفسـير المفردات ، ويسود صفحات كثيرة فيما يسرد من شواهد وأمثلة ، ففي حديث لقمان بن عاد حين خطب امرأة قد خطبها إخوته قبله ؛ نقل الحديث كله بما جرى بـين المرأة، وأخوة لقمان ، ولقمان من المحاورة والمناورة ، وقد تضمن الحديث مفردات غريبة تعدت العشرين مفردة ، في حين أورد الحديث بطوله لمفردة واحدة ، وهي (البجل) ، وذو البجل ، بمعنى : ذي الضخامة[١٣٥] .

وفي حديث عمر ـ رضي الله عنه ـ : «وفع اليه شيخ توسَّن جاريةً فجلده وهم بجلدها فشهدوا أنها مقهورة ، فتركها ، ولـم يجلدهـا . » توسنها : أي تغشاها ، وهي وسنى ـ على القسر[١٣٦] .

هذا هو كل الحديث ، مع تفسير مفردة « توسَّنَ » وكان هذا كافياً لو انتقل المؤلف الى غيره من الأحاديث ، ولكنه رأى ان يتمم قصـة هـذه المرأة ، والحالة التي اعتدى فيها ذلك الشيخ عليهـا ، فـروى الحـادثة بسلسلة إسناد طويلة بدأها من شيخه الاستاذ الأمين ابي الحسن علي بن الحسين بن بردك ـ باري ـ قال : « أخبرنا الشيخ الزاهـد الحـافظ أبو سعيد اسماعيل بن علي بن الحسين السمان ، قال : حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن الحسين بن أحمد بن يحيى بن إياس البزاز ، ويعرف بجميلـة ابن إياس ـ بدير عاقول ـ بقراءتي عليه ، قال ...» وتنتهي هذه السلسلة الطويلة بأبي موسى قال :

« أتيت ـ وأنا باليمن ـ بامرأة ، فسألتها ، فقالت ...» ويسرد رواية المرأة نفسها ، ثم كتاب أبي موسى ـ رضي ـ الى عمر ـ رضي ـ بشأنها ، ثم قضاء عمر ـ رضي ـ كما سبقت الاشارة[١٣٧] .

(١٣٥) الفائق : ١/ص ٧٤ ـ ٧٨ (بجل) . (١٣٦) نفسه : ٦٠/٤ .
(١٣٧) نفسه : ٦١/٤ (وسم) .

هذا التوثيق الذي يرسمه أبو القاسم الزمخشري في هذا الحديث وفي غيره من الأحاديث يدل على حرصه على الامانة والتثبت فيما يروي من أحاديث وآثار في « فائقه » •

وقد يُعْنى المؤلف بسرد الحديث ، وان كان طويلا ، لأهميـة متنه وتوفره على أحداث خطيرة في حياة الأمة ، ولعل مصداق ذلك في حديث الهجرة ، حين خرج الرسول – ص – ورفيقه أبو بكر ، وما جرى لهما في طريقهما في اختبائهما في الغار ، وخروجهما ، وزيارتهما خيمة أم معبد ، وما لقيا من الرزق فيها[١٣٨] • فقد استغرق الحديث مع تفسير مفرداته ست صفحات ، أورد خلاله ما قيل من الشعر ، وسرد أقوالا ، وأمثالا عربية ، وكأن الفائق – كتاب حديث ، لا كتاب غريب ألفاظ على أن هذا المنهج لم يكن مطرداً في كل ما أورد من حديث أو أثر ، فقد يأتي النص مقتطعاً من حديث طويل ، وقد يشير الى أصله ، وقد يكتفي بعبارة ذات حكم مستقل من حديث طويل ، كما سنرى •

ثالثا : تجزئة الحديث :

يرد الجزء من الحديث على نوعين في :

أ – أصل الباب

ب – خلال الشرح •

أما النوع الأول ، فهو كثير ، يضع الجزء من الحديث في أول المادة ، ويكون هذا الجزء متضمناً اللفظ الذي يريد تفسيره ، ومن هذا النوع قوله :

– النبي – ص – « نهى عن بيع حبل الحبلة »[١٣٩] •

– يخرج من النار رجل قد ذهب حبره وسبره[١٤٠] •

---

(١٣٨) نفسه : ١/٩٤–٩٩ •

(١٣٩) الفائق : ١/٢٥١ (صل) •

(١٤٠) نفسه / والصفحة والجزء •

ـ قال في السقط : يظل محبنطياً على باب الجنة[١٤١] .

ـ في صفة الدجال : رأسه حبك[١٤٢] .

ـ في ليلة الاسـراء[١٤٣] : انطلق بي الى خلق من خلـق الله كثير موكّل بهم رجال يعمدون الى عرض جنب أحدهم فيحذون منه الحذوة » .

ـ كان كتاب فلان مخربشاً[١٤٤] .

ـ قال ـ ص ـ : لاتزول حتى يزول أخشباها[١٤٥] .

ـ في ذكر المسيح ـ عليه السلام ـ : كثير خيلان الوجه : كأنه خرج من ديماس »[١٤٦] .

ـ في قصة ابراهيم وابنه اسماعيل ـ ع ـ[١٤٧] كانا يثْنيان البيت فيرفعان كل يوم مدماكاً .

أما النوع الثاني من الأحاديث المجتزأة ، فهو الحديث الذي يورده دعماً لحديث ، أو استطراداً في تفسير مفردات ذات صلة بالحديث المشروح ومن هذا النوع حديث عدي بن حاتم ـ رضي الله عنه ـ في قول الله ـ تعـالـى ـ : « حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر»[١٤٨] . قـال عدي :

« أخذت عقالاً أسود ، وعقالاً أبيـض ، فوضعتهمـا تحت وسادي ، فنظرت فلم أتبين ، فذكرت ذلك للنبي ـ ص ـ فقال : إن وسادك ـ إذن ـ لطويل عريض ، انما هو الليل والنهار .. ويلخصه ما جاء في حديث آخر : قلت : يا رسول الله ، ما الخيط الأبيض من الخيط الأسود ، قال : ... »[١٤٩] وربما أكّد معنى الحديث المسوق بالباب بأكثر من حديث مُجتـزأ كمـا فعل في مادة (جدف) فقد سرد ثلاث مقطوعات قصيرة من أحـاديث يـؤكد بعضها بعضـاً ، وبألفاظ مختلفة ، ذكر خلالها « التجـديف ، مجـدوف ،

---

(١٤١) نفسه : والجزء والصفحة . (١٤٢) نفسه / والصفحة والجزء .
(١٤٣) الفائق : ٢٧٠/١ . (١٤٤) نفسه : ٣٦٦/١ .
(١٤٥) نفسه : ٣٦٩/١ . (١٤٦) نفسه : ٤٣٨/١ .
(١٤٧) نفسه : ٤٤٠/١ .
(١٤٨) البقرة : ١٨٧ . (١٤٩) الفائق : ٦٠/٤ (وسد) .

لا تجدّفوا ، التجديف ـ أيضاً ـ »[١٥٠] ، وقد يكتفي بذكر لفظ أو لفظين من الحديث المؤكد ، فيشير اليه ، إذا كان قد مرّ به فيما تقدم من الألفاظ ، أو يشير الى المادة المفسرة في الحديث السابق ، ومن هاتين الصورتين حديث عبدالله بن مسعود ـ رضي ـ : « أتي بسكران ، فقال : تلتلوه ومزمزوه » : أراد حركوه وا وقعوه • وهذا كقوله « يُهزّ بالأيدي »[١١٥] وحديث « البهز » ذكره في باب (الباء والهاء)[١٥١] •

ومن النوع الثاني في مادة « خضرم » كان قد فسر معنى الخضرمة فلما وردت اللفظة في مادة « دجا » بمعنى الخضرمة بقوله ـ ص ـ منذ دجت الاسلام •• أرادوا خضرمة الاسلام وذلك ان أهل الجاهلية كانوا يخضرمون نعمهم ، فلما جاء الاسلام أمر رسول الله ـ ص ـ بأن يخضرموا في غير الموضع الذي خضرم فيه أهل الجاهلية • وقد فسرت الخضرمة في الخاء مع الضاد »[١٥٣] • والحديث الذي يشير اليه ـ هنا ـ هو قوله ـ ص ـ : « خطب الناس يوم النحر ، وهو على ناقة مخضرمة »[١٥٤] • ففي هذا الموضع استوفى معنى الخضرمة ، وأورد لها أمثلة على مدلولاتها المختلفة •

وفي مبحث شواهد الزمخشري في الفائق سنورد صوراً أخرى من تعضيد الحديث بالحديث •

رابعاً ـ طريقة تناوله اللفظ المفسر :

يورد الزمخشري الحديث ـ طويلا كان أو قصيراً ـ في موضع الحرف الذي يريد تفسيره ، ويعطي ـ مباشرة ـ بعد انتهاء لفظ الحديث معنى اللفظ الوارد فيه من غير أن يضع المفردة أمام شرحه نحو قوله : « أفضل الناس مؤمن مزهد » هو القليل المال ، لأن ما عنده يُزهد فيه لقلته »[١٥٥] •

---

(١٥٠) نفسه : ١٩٨/١ (جدف) • (١٥١) الفائق : ١٥٣/٣ـ١٥٤ •
(١٥٢) نفسه : ١٣٥/١ •
(١٥٣) الفائق : ٤١٢/١ (دجا) • وانظر : ١٥٧/٣ (قتت) •
(١٥٤) نفسه : ٣٧٦/١ (خضرم) • (١٥٥) نفسه : ١٣٧/٢ (زهد) •

وقوله ــ : « كان لايحيي من شهر رمضان إلا ليلة سبع عشرة فيصبح كأن السخَد على وجهه » هو الماء الغليظ الأصفر ..[١٥٦] .

وقوله : « كان ــ ص ــ إذا قام للتهجد يشوص فاه بالسواك » هو هو ترك الهجوع للصلاة بالليل[١٥٧] .

والذي يتأمل تفسيره الوارد بعد نص الأثر يجد أن المؤلف لم يثبت صورة اللفظ المفسر أمام نص عبارته ، وقد يؤدي ذلك الى اللبس في معرفة أي الألفاظ هي المقصودة بالتفسير ، غير أن الباب هو الذي يتكفل للقارىء الشيء الكثير من ذلك ، كما أن استطراد الزمخشري في تناول سائر ألفاظ الأثر يوضح المراد من عبارته المباشرة ، فالحديث المذكور « إذا قام للتهجد يشوص .. » فسّر معنى « التهجد » ؛ لأن الباب هو باب « الهاء والجيم » من الالفاظ الغريبة ــ ايضاً فيه حاجة الى فسره وتوضيحه ، ولذلك أضاف الى عبارته الأولى قوله:«يشوص فاه ، أي : ينقّي اسنانه ويغسلها»[١٥٨].

وقليلا ما يجمع الزمخشري بين اللفظ المقصود بالحرف ، وما يصاحبه من الالفاظ الغريبة ــ ايضاً ــ فيه حاجة الى فسره وتوضيحه،ولذلك أضاف بن جَحْش : « كان يمر بالمسلمين ، فيقول : فقّحنا وصأصأتم » أي : أبصرنا ولما تبلغوا حين الإبصار ، من صأصأ الجرو .. » فقد فسر « فقّحنا بـ : أبصرنا » ــ أولا ــ ثم أتم العبارة بقوله : « ولما تبلغوا » واستطرد الى بيان معنى « صأصأ » بشكل مُستفيض[١٥٩] ، فأورد له أقوالا ، وشواهد .

يحاول الزمخشري أن يفسر الفعل بالفعل ، والاسم بالاسم والصيغة بالصيغة المناظرة ، وهذا هو المنهج الواضح في تناول المفردة ، ودلالتها ، وقد يعطي نقيضها ، أو رديفها . وقد يتصرف بغير هذا النهج ، فيبين نوع الصيغة

(١٥٦) نفسه : ١٦٦/٢ (سخد) . (١٥٧) نفسه : ٩٣/٤ (همد) .
(١٥٨) الفائق : ٩٣/٤ (هجد) . (١٥٩) نفسه : ٢٧٦/٢ (صأصأ) .

التي وردت بها اللفظة ، ومن ذلك قوله : « كان يترّب الى الصبيان تَصْبِيحَهم » هو في الأصل مصدر « صبَّح » القوم ، اذا سقاهم الصبوح، ثم سمي به الغداء ، كما قيل للنبات : التنبيت ، وللنّور التنوير »[١٦٠]•

ومن تفسير المصدر الصريح بالمصدر المؤول قوله يفسر « صَبْرًا » في الحديث : « هو أن يُمسَكَ ثم يُرْمى حتى يقتل»[١٦١] • وعكسه في تفسير « أن يَتَهَبَ » بالانتهاب ، وقد يفسر المصدر بالفعل ، وذلك نحو قوله في حديث : « انهم سمعوا صلصلة » : « يقال : صلصل اللجام والرعد •• إذا صوت »[١٦٢] •

أما تفسير المصدر بما يرادفه من المصادر فنحو قوله : يفسر : « طلاع الأرض » قال : « ملؤها»[١٦٣] • وتفسير الفعل بالفعل نحو قوله : « حدثتني امرأة من بني سليم ولدت عامة أهل دارنا » : أي « قَبَّلَتْهُمْ » ، والمولدة القابلة »[١٦٤] •

وقد يعطي المفردة — اذا كانت صفة أو اسماً — معناها ، ثم يردفه بنقيضها في الدلالة ، وذلك نحو تفسير الكلمة « العوراء » قال : « هي الكلمة الشنيعة • ونقيضها : العيناء»[١٦٥] ، فالعوراء نقيض العيناء ، في المعنى •

وقد يؤكد معنى اللفظ بعموم معناه ، في مترادفات تدل على الاتفاق في الدلالة « فتفشغ » فعل يدل على الانتشار والكثرة والعلو ، فلم يفسره بمرادف واحد بل جمع له أكثر من فعل يسير على وفق هذه الدلالات فقال : « ان هذا الأمر قد تفشّغ » : أي : ظهر وكثر وعلا ، ومدار التأليف على معنى العلو ، يقال : تَفَشَّغَهُ دين إذا ركبه »[١٦٦]•

(١٦٠) الفائق : ٢٧٧/٢ (صبح) .
(١٦١) نفسه : ٢٧٦/٢ (صبر) و ١٨٣/٤ (وهب) .
(١٦٢) نفسه : ٣١٠/٢ (صلصل) .
(١٦٣) نفسه : ٣٦٧/٢ (طلع) .
(١٦٤) نفسه : ٨٢/٤ (ولد) .
(١٦٥) نفسه : ٤٠/٣ (مور) .
(١٦٦) نفسه : ١١٩/٣ (فشغ) .

والزمخشري ــ هنا ــ أعطى الدلالة العامة « لفشغ » : الاستعلاء ، فيحين نجده في « الأساس » قد أعطاه معنى التَّفَشِّي والاحاطة ، قال : « فشغ ــ تفشغ • فيك الشيب : تَفَشَّى ؛ قال ابن الرقاع :

أما تـرى شيبـاً تفشغ لمتـي حتـى علا وضح" يلوح سوادها

ومنه الفشّاغ : الذي يلتوي على الشجر »[١٦٧] •

والتزام الزمخشري تفسير الصيغة بما يناسبها هو منهج عـام نجده في معظم المفردات المفسرة ، غير أنه قد يستخدم أسلـوب « الالتفات » أو « الانتقال » من التكلم الى الغيبة ، أو من الخطاب الى الغيبـة ، ذلك أن القصد هو تفسير اللفظ ، واعطاء دلالته وذلك لا يكـون إلا بأسلـوب الإخبـار عن معنى اللفظ ، ولذلك نـرى ان لفظة «وجف» التي وردت في حديث مجمع بن جارية ــ رضي الله عنه ــ «فحر جنامع الناس نوجف» • قد جاءت فعلاً" مسنداً للمتكلمين ، فلما فسرها أخبر عنهم ، فقال : « أي يحثونها ويدفعونها »[١٦٨] •

قد ينتقل من الغيبة الى التكلم، وذلك نحو تفسيره قول علي ــ رضي الله عنه ــ : « فلما مضت" هُتْكة من الليل » ، قال : «يقال : سرنا هُتْكة من الليــل •• »[١٦٩] •

ويكتفي الزمخشري في بعض تفسيراته للمفردات ببيان صيغـة المفردة اذا كانت معروفة الدلالة ، ومن ذلك قوله في لفظ « مُهاجر » في حـديث الزبير بن العوام ــ رضي ــ قال : « المهاجَر : « يكون مصدراً وزمـاناً ، ومكاناً »[١٧٠] واكتفى بهذه العبارة ولم يزد عليها • وأراد بالزمـان : اسم الزمان ، وصيغته مُفاعل ، وكذا اسم المكان وصيغته ، وأهمل دلالة اللفظة ، لأنها مفهومة معروفة •

---

(١٦٧) اساس البلاغة / ٧١٥ (فشغ) (١٦٨) الفائق : ٨٣/٤ (وهز) .
(١٦٩) نفسه : ٩١/٤ (هتك) . (١٧٠) نفسه : ٩٢/٤ (هجر) .

ولا يقتصر المؤلف على تفسير مفردات حديث الباب ، وانما يتناول مفرداته ، ومفردات سائر الأحاديث التي يسردها لتقوية حكم الحديث ، أو بيان معاني مفرداته وتأكيد اغراضها ، ويضم إليه – أيضاً – ألفاظ الروايات الأخرى للحديث نفسه ، وبذلك يتسع السرد وتطول النصوص وتتعدد الدلالات ، وتختلف المفردات ومن ذلك قوله في خبر دخول سيابة بن عاصم السلمي على الحجاج ، وسؤاله : من أيّ البلاد أنت ؟ ، فأجابه – في خبر طويل – « فلبدّت الدماث ، وأسالت العزاز ، وصدعت عن الكمأة أماكنها ، وجئتك في مثل وجار الضبع »[171] .

قال الزمخشري : « وروي : فلبدت الدماث ، ودحضت التلاع ، وملأت الحفر ، وجئتك في ماء يحر الضبع ، ويستخرجها من وجارها فقاءت الأرض بعد الريّ ، وامتلأت الإخاذ ، وأفعمت الأودية » .

« أراد بالدماث : السهول ، والعزاز : الأرض الصلبة ، ودحضت التلاع ، أي صيّرتها مزالق ، الإخاذ : المصانع أفعمت ملئت .. الخ »[172].
فجمع بين مفردات الروايتين ولم يترك منها مفردة لم يفسرها .

ومثل ذلك اختلاف رواية الحديث : « مثدون اليد » . قال : وروي : « مثدّن ، ومودون ، ومودن ، ومؤتن ، ومخدج .. » وفسرها جميعها »[173] .

وربما يختلف لفظ الحديث في روايتين ، ولكنّ دلالتي اللفظين واحدة ، فالزمخشري ينبّه على ذلك دون أن يخل بشيء من ذلك ، ومن هذا القبيل ما جاء في الحديث : « فجاض الناس جيْضةً » قال : وروي :

---

(171) نفسه : 1/111 .
(172) الفائق : 1/113 وانظر : 1/13-14 (أبن) .
(173) نفسه : 1/164 (ثدن) . وانظر كذلك : 1/115 (بضع) و 1/116 (بضع) .

« فحاص الناس حَيْصة » . اقل : « ومعنى الكلمتين واحد » ، وهو الجيدودة حذراً »[١٧٤] .

لقد تميز منهج الشرح عند الزمخشري بظواهر منهجية أخرى غير ما ذكر في الصفحات الماضية ، طبعت الكتاب بالعمق والدقة والاستقصاء ، والاستطراد والتفريع ، والاكثار من الأمثلة والنظائر ، والحرص على تثبيت الحقيقة ، وصحة المروي . ومن هنا نستطيع أن نمر ، ولو بشكل موجز على أهم هذه الخصائص المنهجية في شرح المؤلف .

١ ـ البحث عن الصحيح ، والشك في المتن أو اللفظ :

يبيّن الزمخشري ـ غالباً ـ رأيه في متن النص الأثري ، وصحة روايته أو معناه ، وغالباً ـ ما يعطي رأيه هو دون أن يعتمد على قول لغوي ، وقليلاً ما ـ ينقل مثل قول أبي سعيد الضرير (١٩٥هـ) : « فأما أن تكون اللام ـ في كاهل ـ مبدلة من النون ، أو أخطأ سمع السامع فظن أنه باللام »[١٧٥] .

ومنهج الشك في اللفظ ليس مقصوداً لذاته ، وانما تفرضه الحالة التي يرد اللفظ فيها خلال النص ، فقد يظهر المعنى خلاف ما ورد الحديث من أجله ، وقد تكون غرابة اللفظ مدعاة للشك ، وقد يكون الحديث مسموعاً ومحفوظاً بلفظ ، يعارض الرواية الجديدة ، وهذه صور من الحالات التي تجعل الزمخشري شاكاً في رواية لفظ الحديث .

رُوي حديث معاوية ـ رضي ـ « إنها ضميلة » ، وقيل : هي الزمنة »[١٧٦] فوقف الزمخشري بين رأيين هما :

---

(١٧٤) نفسه ١/ ٢٥٠ (جيض) .

(١٧٥) الفائق : ٣/ ٢٨٨ (كهل) . وفي الحديث ـ ص ـ : « هل في أهلك من كاهل » . وانظر مثله عن ابن الاعرابي : (٤/ ١٢٢ (هيت) وتصحيح الأزهري له .

(١٧٦) الفائق : ٢/ ٣٤٨ (ضمل) .

ـ إما أن تكون اللفظة : « ضمينة » بالضاد والنون ، وفي ذلك يقول : « فإن صحت الرواية بالضاد ، فاللام بدل من النون » وشبـه ذلك بقولهم : « أصيلان : اصيلال » بإبدال النون لاماً .

ـ وإما أن تكون الرواية بالضاد ، فتكون المفردة : « ضميلة » وعبَّر عن هذا بقوله : « وإلا فهي صميلة ـ بالصاد ـ » . والصميلة : الشديدة[١٧٧] .

وتَطَلُّبُ المعنى ـ أو الغرض ـ للفظ ـ بصيغة ما ـ هو الاساس الذي بنى عليه الزمخشري اكثر شكوكه ، وذلك واضح في نحـو شكه في الحديث المروي عن عمر ـ رضي ـ وفيه لفظ : « وقد تفشغوا » أي لبسوا : أخسَّ ثيابهم .

فنظر الزمخشري في اللفظ ، وقرنه بالمعنى ، وهو خسة الثياب فلم ير مناسبة قويّة بينهما ، لذا قال :

« وأنا لا آمـن أن يكون مصحفاً مـن ـ تقشفـوا ـ ، والتقشف : أن لا يتعاهدَ الرجلُ نفسه ، ومنه عام أقشف ، وهو اليـابس ، فإن صح ما رووه ، فلعل معناه : أنهم يحتفلوا في الملابس ، وتثاقلوا عـن ذلك لما عرفوا من خشونـة عمر من قولهم : فشغه النوم ، اذا ركبه فكسّلـه ، وفتّره »[١٧٨] .

فأنت ترى أن المعنى كان هو الحكم الفصل في قبول اللفظ أو رفـضه والشك في صحة روايته ، ولما لم يجد بدّاً من الرواية الأولى ـ التي شـك فيها ـ حاول تخريج معناه على الشكل الذي يقرب مـن الغـرض ، ووجد

---

(١٧٧) انظر : الاساس : (صمل) : ٥٤١ .
(١٧٨) الفائق : ١١٩/٣ (فشغ) .

القرينة مناسبة بين « الفشاغ » ومعانيه ، وهي الركوب والظهور والاعتلاء»[179] .

ويرفض الزمخشري رواية الحديث بلفظ معين وبعدها من التصحيف ، إذا ثبت له سند أو جهة لروايتها ، ويتمسك بما يراه صحيحاً متْناً ومضموناً ، وقد حدث له أن اصطدم بأحدهم يروي حديث علي ــ رضي ــ وفيه لفظ « الضراح » ــ يرويه بالصاد ــ ، وكان الزمخشري ــ يومئذ ــ حدثاً صغيراً ، فلم يقبل روايته ، وأكّد ما كان يراه بالدليل اللغوي الصحيح، قال : « الضراح » « وفي رواية أخرى : « الضراع » « وفيه لغتان : الضراح والضريح»» وهو من المضارحة بمعنى المعارضة والمقابلة »» ومن رواه ــ بالصاد غير المعجمة ــ يعني الصراح والصريح ــ فقد صحف ، وسألني عنه بعض المشيخة المتعاطين لتفسير القرآن ، وأنا حدث ، فطفق يلاحيني ويزعم أنه ــ بالصاد ــ حتى رويت له بيت المعري[180] :

وقد بلغ الضراحوساكنيه   نثاك وزار من سكن الضريحا

وأريته كيف قصد الجمع بين « الضراح والضريح » ليجنّس فسكَّن ذلك مِنْ جماحه»[181] .

٢ ــ استقصاء الدلالات وتقليب وجوه المعاني :

ظاهرة الاستقصاء ، في سرد الأمثلة ، واعطاء التفسيرات من أجمل الظواهر المنهجية في « الفائق » ، وهي تعطينا مثلا واضحا عن قدرة المؤلف وسعة علمه اللغوي ، وليس الاستقصاء مقصوراً على التفسير ووجوه المعاني : والأمثلة والنظائر من المفردات والتراكيب ، بل يضاف الى ذلك كله « الاستقصاء » في سرد الروايات ، واختلافها ، والتعليق عليها ، أو اضافة

---

(١٧٩) الاساس : (فشغ) : ٧١٥ والمجمل ٣/٧٢١ (فشغ) .
(١٨٠) شرح سقط الزند : ٢٦٩ .
(١٨١) الفائق ٢/٣٣٦ (ضرح) .

وجوه أخرى يراها هو ، ففي الحديث : « ارنْ واعجلْ »[١٨٢] ، وقف على لفظ (أرن) فسرد كل ما قيل فيه من روايات ، وألحق بكل رواية ما يتعلق بهـا من معنى ، قال : « يجوز أن يكون : آران تعدية لران بالهمزة ، كما عدّيت بالباء في (ران به) وقيل : أرن ، من : أرن إذا نشط وخـف ، وقيل : أَرْنْ من الرنوّ ، وقيل : أرز ، أي شدّ يدك على المحز ، ولـو قيل : ارنّ ، أي اذبحنّ بالإرار وهو طرة ، أي : حجـر تحـدد يؤربها الراعي ثغر الناقة ـ كان ـ أيضاً ـ وجهاً »[١٨٣] .

ومن هذا القبيل استقصاؤه الوجوه الاستعمالية بتراكيب مختلفة لدلالة واحدة ، « فزُهاء » في اللغة : تعني : القَدْر ، فحين تقول : عندي زهـاء مئة ، أي قدر مئة ، قال ابن منظور (٧١١ هـ) : « وفي الحديث : قيـل لـه كم كانوا؟ قال : زهاء ثلاثمئـة ، أي قدر ثلاثمئـة من زهـوت القوم اذا حَزَرْتَهم »[١٨٤] .

فحاول الزمخشري أن يسرد في موضع تفسير «زهاء» كل ما يُراد فيها من العبارات بشكل استقصائي عجيب قال[١٨٥] : « هم جزاء مئة ، أي : قدرها ، وحزاء مئة ، من حزوت القوم اذا حزرتهم ، ولهاء مئة من : لاهـى الصبي من الفطام ونُهاء مئة ، من الانتهاء ، ورهاق مئـة من : راهقت إذا دانيت .

وزهاق مئة ، من : زهق الخيل ، إذا تقدمها .

ونهاز مئة ، من : ناهز الاحتلام اذا قاربه » .

وفي ضدّ هذا الاتجاه سرد دلالات اللفظ الواحد ، وتقليـب وجـوه الاحتمالات الدلالية ، ورد في حديث أنس ـ رضي ـ لفظ « تمعن عليه » ففسر الزمخشري هذا اللفظ ، على أنه من « المعان » وهو : « المكان»[١٨٦] ولكنه لم يكتف بهذا بل استوفى كل الوجوه المحتملة الأخرى فقال :

---

(١٨٢) الفائق : ٢/٩٦-٩٧ (ربن) . (١٨٣) نفسه : ٩٧/٢ .
(١٨٤) لسان العرب : ٨٣/١٩ (زهو) . (١٨٥) الفائق : ١٣٩/٢ (زهو) .
(١٨٦) الفائق (معن) : ٣٧٥/٣ وانظر كذلك ص : ٣٧٧ في أعطاء معاني (المطهم).

« أو من قولهم — للاديم — : معن ومعين •• أو من المعين ، وهو الماء الجاري على وجه الأرض ، أو من : أمْعَنَ بحقّه وأذعن اذا أقرّ أي : انقاد وخشع انقياد المعترف ، أو من المعن وهو الشيء اليسير ، أي : تصاغر وتضاءل » •

والزمخشري يعلم — جيداً — أنه انما يستقصي الوجوه ، ويستوفي المعاني طلباً للحق ، وتأكيداً لصحة التفسير ، يقول في (كذباك)و (كذبتك) و (كذب عليك العسل) •• الخ •

« هذه كلمة مشكلة اضطربت فيها الأقاويل ، حتى قال بعض أهل اللغة : أظنّها من الكلام الذي دَرَج ، ودرج أهله[١٨٧] ، ومن كان يعلمه • وأنا لا أذكر من ذلك إلا قول من هجّيراه التحقيق »[١٨٨] •

فنقل قول أبي علي من كتابه « القصريات » بشواهده وأمثلته ، ثم نقل قَوْلاً للغوي آخر يفسر معنى قولهم : « كذب عليك القت والنوى » • ثم عاد الى قول أبي علي ، وآخرين غيره ، ثم قال :

«هذا وعندي قول هو القول ، وهو : أنها كلمة جرَتْ مجرى المثل في كلامهم ، ولذلك لم تصرف ، ولزمت طريقة واحدة في كونها فعلاً ماضياً معلقاً بالمخاطب ، ليس إلا ، وهي في معنى الأمر ، كقولهم في الدعاء : رحمك الله » •• ويستمر في تفسير : « كذب عليك الحج » مستغرقاً في تفسيرها ثلاث صفحات •

أما الاستقصاء في سرد الأمثلة على الابنية والصيغ ، فواضح في جلّ تفسيراته للظواهر اللغوية ، قال في : « العُهَّيدي ، من العهد ، كالجهيدي والعجّيلي من الجهد والعجلة ، يقال لأبلغن جهيّداي في هذا الأمر ، وهو يمشي العجّيلي»[١٨٩] •

---

(١٨٧) يريد : كلاما قديما انتهى استعماله ، واميتت دلالته •

(١٨٨) الفائق : (كذب) : ٢٥٠/٣-٢٥٢ •

(١٨٩) الفائق : ١٧٠/٢ (سدد) •

وقال في « ثمة » : « الثمّ : الجمع ، والرمّ : الرمّة ، وأمّا الثمّ والرّمّ فلا يخلوان من أن يكونا مصدرين كالحُكم والشكر والكُفْر ، أو بمعنى المفعول كالذُّخر والعُرْف والخُبْر ، . . والعَسَم صفة : كشلل وسجج ، بمعنى العميم ، وهو التام الطويل ويجوز أن يكون جمع « عميم » كسرير وسُرر .. وأما التشديد فيه عند من شدّد فانها التي تزاد في الوقف من قولهم : « هذا عُمَرّ وفرجّ »[190] .

فالزمخشري لم يكتف بتفسير الظاهرة اللغوية ، بل أورد لكل منها أكثر من مثال ، ليؤكد صحة ما ذهب اليه من التفسير .

وهذا المنهج يتضح – اكثر مما سردنا – في ما أورد من أمثلة التبدلات الصوتية في كلام العرب ، ففي الحديث : « ألا ان الرجل تهم » قال : وروي : « تهن » فذهب الى أن الميم والنون متعاقبتان ، فحقق ذلك في امثلة ، تؤكد ذلك قال : « البنام في بنان .. وقاتن بمعنى قاتم » واستشهد لـ « قاتن » بشعر للطرماح[191] ومثل ذلك « جثث وجئف » و « جعف » واستشهد له بقول زيد الفوارس شعراً ، قال : « ومثله قولهم: فروغ الدلو وثروغ ، وفي أثاث : أثاف ، وعكسه : فمّ في ثم ، وجدف في : جدث »[192] .

وحاصل القول : إن الاستقصاء والتتبع ، واستيفاء الأمثلة على الظواهر اللغوية ، والصيغ والأبنية ، والتراكيب ، والدلالات ، والتبدلات الصوتية سمة منهجية ظاهرة تدل على سعة علم الزمخشري بفن اللغة ، وعلى معرفة

---

(١٩٠) نفسه : ١/١٧٥ – ١٧٦ (ثمم) . وانظر (ثنى) : ١/١٧٧ و ١/١٨٠ .
(١٩١) نفسه : ١/١٥٧ – ١٥٨ (تهم) .
(١٩٢) نفسه : ١/١٨٣ (جاث) . وانظر : امثلة اخرى على الابنية والصيغ والتراكيب : ١/٣٤ – ٣٥ (ارب) و ١/١٢٢ (بغي) . و ٣١ (آدى) و ٦٧ (آل) و : ٩٣ (برثت) .

تامة بقوانينها وأساليبها ، وانما كان هجّيراه ــ كما تقول عبارته ــ من وراء ذلك التحقيق ، وتثبيت الصحيح ، ونفي ما هو خارج عن أصول العربية وقوانينها .

٢ ــ الاستطراد والتفريع :

منهج الزمخشري في عرض مفردات الغريب من طراز يختلف عن الآخرين في غريبهم ، فصاحب النهاية ــ مثلاً ــ يعقد الباب على المفردة الواحدة ، فيفسرها في مواضعها ، ويبين دلالاتها من خلال الحديث ، ثم لايزيد على ذلك شيئاً من المفردات الاخرى ذوات العلاقة ، لأن منهجه كفيل بوضعها في مكانها من المعجم ، ثم إعطاء دلالاتها في ذلك الموضع ، وكان مأخذ صاحب النهاية على الزمخشري ، أنه أخلّ بهذا الجانب من المنهجية ، ففسر مفردة الحديث في موضعها ، وخرج عنها الى ايراد سائر ألفاظ الحديث، وبذلك عسّر على المتتبع لغريب الحديث أن يعثر على المفردة إلا بعد مشقة وتعب[١٩٣] .

إن هذا المنهج فرض على أبي القاسم ان يستطرد ، ويفرّع ويشجّر فيأتي بالفوائد ، والمعلومات ذات القيمة العلمية واللغوية التي يقل أن نجد مثيلها عند الآخرين من مؤلفي المعجمات .

والذي يؤكد لنا هذه الصورة من منهج المؤلف ، اننا في هذا البحث قد تناولنا جوانب مختلفة من علم اللغة ، أشبع الزمخشري فيها البحث ، واستفاض في الحديث عن فروع المعرفة ، من اشتقاق وتعريب وإعراب ، وظواهر لغوية ، كالاضداد والمشترك اللفظي والترادف والتضمين ، والبلاغة، والأدب والتاريخ .. حتى كان هذا الكتاب موسوعة معرفية نافعة على الرغم من وجازته .

---

(١٩٣) انظر : النهاية : ١/٩ .

فمن الصور التي تدل على استطراده ، واشباع البحث ، تفسيره لـ (تيّا) الواردة في حديث ـــ عمر ـــ رضي [١٩٤] : « تيا : تصغير : «تا» في الاشارة الى المؤنث » وكان يسكنه أن يكتفي بهذه الفائدة ، ولكن المفردة لها مساس بـ « ذا » وتصغيرها فقال : « كما قيل : « ذيّا » في تصغير «ذا» والألف في آخرهما مزيدة مجعولة علامة للتصغير ، كالضمة في صدر فليس وليست هي في آخر المكثر بدليل قولك : « اللذيّا ، واللتيا في تصغير « الذي والتي » وكذا المبهمات كلها مخالفة بها ما ليس بمبهم ومحافظة على بنائها » والذي يسكن ملاحظته من هذا النص :

أ ـــ انه لم يقصر حديثه على « تيّا » وانما ضم اليه « ذيّا » .

ب ـــ انه استطرد الى ذكر « اللتيّا و اللذيّا » .

جـ ـــ فرق بين المكبر والمصغر ، وأعطى لكل حكمه .

د ـــ أضاف الحكم العام الجاري على كل المبهمات .

وقد يخرّج المؤلّف من تفسير لفظ في ظاهرة معينة إلى لفظ آخر والجامع بينهما القانون اللغوي الذي يستخدمه اللغوي في تفسير الظاهرة وذلك نحو قوله في : « مَتيخة » : ذهب بعض اللغويين الى أنها من اصل واوي ، أي من : تاخ يتوخ ، فقال : « وليس بصحيح ؛ لأنها لو كانت منه لصحت الواو ؛ كقولك : مسورة ومروحة ، ومحوقة ، ولكنها من طيخه العذاب اذا ألح عليه ، وديّخه ، إذا ذلّله ؛ لأن التاء أخت الطاء والدال » وهذه حالة أظهَر فيها العلاقة بين «طيّخ وديخ» لأن الطاء والدال والتاء ، وهي مجموعة الأصوات النطعية وهي من مخرج واحد،وهو نطع الغار الأعلى من الفم[١٩٥] .

---

(١٩٤) الفائق : ١٥٩/١ .

(١٩٥) العين : ٧/١ ومقدمة التهذيب للأزهري : ٢٣/١ .

ووجد الزمخشري أن سيبويه (١٨٠هـ) قد فعل مثل ذلك في زعمه ان : « تربوت » من التدريب ؛ لتقارب التاء والدال ، فقال : « كما اشتق سيبويه قولهم : جمل تربوت من التدريب ، وليس لهذا الشأن إلا الحذاق من أصحابنا الغاصة على دقائق علم العربية ، ولطائفه التي يجفو عن ادراكها أكثر النـاس »[١٩٦] .

ويمكننا أن نتناول « مادة » من الفائق لنتبين من خلالها كيف يستطرد المؤلف من فائدة الى أخرى ، ومن نوع الى نوع آخر ، ففي حديث (أبان بن عثمان ـرحـ[١٩٧] : « مثل اللحن في السري مثلُ التفنين في الثوب » . فقد أورده في مادة «فنن» ، ولكنه لم يُدرِ كلامه على هذه المادة ـ وحدها ـ بل استطرد منها الى « اللحن » ، فنقل عن « بعض العرب » قوله : « اللحن في الرجل .. » في عبارة طويلة ، ثم شبه قوله بكلام أبي الأسود الدؤلي : « اني لأجد للحن غَمَرًا كغَمَر اللحم » .

ثم نقل حديثاً طويلا تضمن خبراً عن قيام عبدالأعلى ـ رضي ـ بخطبة أمام النبـي ـ ص ـ وتقصيره فيها ، ثم أبي بكر ـ رضي ـ فقصر ، ثم عمر ـ رضي ـ فقصر ، ثم قام رجل من الأنصار : « وفنَّ فنيننا وعنَّ عنيننا ، فقال رسول الله ـ ص ـ : إنّ من البيان لسحراً » .

ففسر « عنّ يعنّ » و « فنّ يفنّ » فأتى بمصدرهما « العنن والعنين » وصيغة المبالغة : « المِفَنّ والمِعَنّ » ـ بكسر الميم ـ ودلالتها « الذي يعارض كل شيء يستقبله » .

---

(١٩٦) الفائق : ٣٤٢/٣ (منخ) .

(١٩٧) نفسه : ١٤٤/٣ ـ ١٤٥ (فنن) .

ثم أشار الى الجمع : « مَعَانّ » .

ثم أشار الى صيغة « فعُول » ودلالتها من « فنّ » ، فقال : « يقال رجل فنون لمن لايستقيم على رأي وكلام واحد»[198] .

فالزمخشري ــ إذن ــ لم يكن همه أن يبين معنى المفردة في سياق الحديث وإنما وضع كتابه ليضم اليه كل شاردة وواردة من الفوائد اللغوية، فقد فسر ثلاث مواد هي : « فن ــ لحن ــ عن » ، وأضاف الى ذلك شيئاً عن « المصدر » وصيغة « مِفعل » ثم الجمع للفظة « مِعَنّ » ــ وهي ليست من ألفاظ الباب ، بل وردت عرضاً في الحديث ، ثم انتهى الى صيغة « فعُول » من « فنّ » .

واذا كانت هذه المادة قد تضمنت مثل هذه الفوائد فإن غيرها يتوافر على جملة أخرى من الفوائد العلمية واللغوية والمعرفية ، لسنا بحاجة الى الاطالة فيها ،ولكنها واضحة من خلال عناصر هذا البحث ، لأنه تناول جملة صالحة من هذه الظواهر في كتاب الفائق .

ويكفي القاريء أن ينظر في الحديث المشهور يوم السقيفة[199] فسيجد كيف فرّع المؤلف ، وشجّر في تفسير الالفاظ ، فمن « قَدّ » بمعنى شقّ الى « قطّ » ، ومن « قدّ الابلمة » الى « شق الابلمة » ثم انطلاقه من « شق » الى « قطع » وتناول لفظ « تنفس » بمعنى « تبخّل » وايراد الشواهد عليها ، وقوله ، تعالى : « فمن يبخل فإنما يبخل عن نفسه » ولو حاولنا الربط بين اول المادة وهي « قد » وآخر ما فسر وهو « بخل » لما وجدنا علاقة .

---

(١٩٨) الفائق : ١٤٥/٣ (فن) . وانظر : حديث اليهودي الذي قتل جويرية على أوضاح ، فقد فسر الزمخشري الوضح بالبياض وبه سمي الشيب والبرص واستطراده في شرحهما : ٦٦/٤ وضح .

(١٩٩) نفسه : ١٦٦/٣ ــ ١٦٧ (قدد) .

٤ ـ الضبط بالشكل والحرف :

عُني أبو القاسم الزمخشري بضبط الصيغ والأبنية ، وتبيين أبواب الفعل ، بأساليب الضبط المختلفة ، بذكر الحركة ، أو بإعطاء المثال ، او بذكر نوع الصيغة كاسم الفاعل واسم المفعول ، والآلة واسمي الزمان والمكان من المشتقات ، ولقد سبقت الإشارة الى قوله في : « مهـاجر » : يجوز ان تكون اسم مفعول زماناً ومكاناً .

فمن أساليب الضبط قوله : « الوافه : الحكم ، وقد وَفَهَ يَفِهُ على وزن وضَع يضَع »[٢٠٠] ، يريد : فتح العين في الماضي والمضارع ، وقد أشار الى وزن الفعل الشائع ، وهو « وضع » .

وأشار الى فعل آخر فعبر عن الوزن بقوله : « مثل » فقال : « وهـلَ يهِل ، مثل : وهِمَ يهِم ، إذا ذهب وهمُه الى الشيء وليس كذلك[٢٠١] ولم يكن مراد المؤلف بلفظ « مثل » الوزن ـ وحده ـ بل قصد الى الاشتراك في الدلالة ـ أيضاً ـ ، لأن من دلالات : «وهل» الوهم ، فيقال : « وهمت الى كذا ووهلت اليه ـ بالفتح ـ وأنا أهم اليه وأهِل ، اذا ذهَب وهمُك إليه ، ووَهْلُك : أي : ظنك[٢٠٢] ، أما المعاني الأخـرى « للوهل » فالفزع ، والغلط والسهو[٢٠٣] .

ـ وغالباً ما ـ يضبط بذكر الحركة ، ومثـل ذلك كثير منبث في تضاعيف الشرح ، وأمثلته كثيرة ، وذلك نحو .

« الفِحاء ـ بالفتح والكسر والضم ـ : واحد الأفحاء ، وهي التوابل نحو الفلفل والكمون واشبهها[٢٠٤] » .

---

(٢٠٠) الفائق : ٨٤/٤ (وهف) .
(٢٠١) نفسه ٨٥/٤ (وهل) .
(٢٠٢) الاساس ١٠٤٥ (وهل) .
(٢٠٣) انظر : اللسان : (وهل) .
(٢٠٤) الفائق : ٩١/٣ : (فحا) .

و « يقال : فَرَسٌ فَراسة وفروسةً ـ اذا حـذق بأمـر الخيـل ، الفاء مفتوحة ، وأما الفراسة ـ بالكسر ـ فمن التفرّس »[٢٠٥] •

و « يقال : ما على فلان طُحْرُبة ـ بضم الطاء والراء ، وكسرهما ، والحاء والخاء ••»[٢٠٦] • واضافته الاخـيرة « والحاء والخاء » يـريد : طحربة وطخربة •

وعالج بذكر الحروف قضية « التحريف والتصحيف » التي وقع فيهـا المحدّثون فحقق صحيحها ، واشار الى مصحّفها ومحرّفها ، وربما جمـع بين الروايات المختلفة ـ وهي صحيحة ـ لاتحادها بالدلالة ، أو لتقـارب معانيها ، ومن ذلك قوله : « وخفافهم مُقَرْطمة ـ بالفاء ـ من الفرطومة ، وهي منقار الخفّ ، وقيل : الصحيح ـ بالقاف ـ •• مقرطمين رواه ابن الأعرابي»[٢٠٧] •

ومن ضبطه للصيغ قوله في صيغة « فِعْلة » من « مهن » : « المَهْنَة ـبفتح الميم ـ : الخدمة ، ولا يقال : مِهْنة ـبكسرالميم ـ وكان القيـاس. لو قيل مثل : « جِلْسة ، وخِدْمة ، إلا انه جاء على فَعْلَة واحدة»[٢٠٨]•

ومن التنبيهات المهمة اشاراته الى المقصور والممدود ، وذلك نحو قوله في « الغراة » : «وهي القطعة من الغرا ـ بالفتح والقصر ـ : لغـة في الغِراء»[٢٠٩] • ويلاحظ انه اهمل الاشارة الى ان « الغراء » ممدودة ، لأن اشارته الى كون « الغرا » مقصوراً تُفْهِم ان صيغتها الثانية ممدوده ة

ومع هذا الاهتمام الواضح من الزمخشري في تمييز الصيغ والأبنيـة وضبطها ، فقد اهمل ـ في بعض نصوص كلامه ـ الاشارة الى نوع الحركة

(٢٠٥) نفسه : ١١٤/٣ (فرس) •
(٢٠٦) نفسه : ٣٥٦/٢ (طحرب) •
(٢٠٧) الفائق : ١١٤/٣ (فرطم) •
(٢٠٨) نفسه : ٣٩٤/٣ (مهن) •
(٢٠٩) نفسه : ٩٧/٣ (فرع) •

ومن ذلك قوله في «العفو» : « هو الجَحْش ، سُمِّيَ به ؛ لأنه يُعْفَى عن الركوب والاعمال ، وفيه خمسُ لغاتٍ : عِفْو وعَفو وعُفو ، وعفا وعفاً[٢١٠] » .

وقد يُعْتَذر له : أنّ ذكرَ (عَفْو) ثلاثَ مرات ، يعني تثليث الحركة على عَيْنه — أي : فاء الفعل — ، ولكنّ أهمال ذكر حركة «عفا» يوقع في اللبس ، لأن ثمة ثلاث حركات — الضم والفتح والكسرة ، وقد جاءتا مضبوطتين في اللسان بالفتح والكسر[٢١١] .

إن التزام الزمخشري الضبط بالحركة والحرف منهج علمي جنّبه كثيراً من المزالق والهفوات على الرغم مما وقع فيه من السهو والوهم في إهماله بعض الاشارات الضابطة وهي قليلة الى جنب الأغلب .

٥ — طرق الاستدلال :

يستخدم الزمخشري في التدليل على صحة الظاهرة اللغوية ، وتأكيد استعمال العرب لها أساليب منوّعة ، يحقق فيها مذهبه ، ويؤكد الرأي الذي يطرحه .

وللنحويين واللغويين مذاهب في تحقيق صحة آرائهم اللغوية منبثة في كتبهم ، حرص المؤلف — في « فائقه » أن يتخذ منها وسائل للتعليل والاستدلال .

فمن المألوف — مثلاً — أن باب التصغير ، وجمع التكسير ، وصياغة المصدر ، واشتقاق الفعل وغيرها هي طرق لمعرفة جذور الكلمات وأصول الحروف المنقلبة ، والمزيد منها على الأصل وغيرها من ظواهر اللغة المتعددة .

---

(٢١٠) نفسه : ٩/٣ (عفو) .
(٢١١) لسان العرب : ٣١١/١٩ (عفو) .

فالنسب كما يقول النحويون « باب تغيير » ، أي : يبيح للمتكلم : أن يزيد ، أو يرجع الحرف المنقلب الى أصله ، او ما اشبه ذلك ، ولـذا رأينـا الزمخشري يستعين بهذه المقولة ليثبت سبب زيادة الألف في « أثاوي » وهو نسب ، وأصل لفظه «أثوي» منسوب الى « الآثيّ » قال : « أثاوي منسوب الى « الأثيّ » ، وهو الغريب ، والأصل : أثويّ ، كقولهم في : « عـديّ » : عدويّ » ، فزيدت الألف ؛ لأن النّسب باب : تغيير ، أو لاشباع الفتحـة ، كقولـه : « بمنتزاح » وقولهم : «لاتهاله»[٢١٢] ، فاستعمل استـدلالين في موضع واحد ، الأول الاستدلال بالمثال في باب النسب ، والثاني الاستدلال بنقل الشاهد الشعري في كلام العرب ، وكلتا الحالتين غير قياسيـة وانما مجالهمـا السماع .

وقد تتعدد وجوه الاستـدلال في الموضـوع الواحـد ، لتترافـق ــ جميعها ــ في تأكيد ظاهرة ذهب الى قول فيها ، وذلك حين ذهب الـى أنّ « القاب والقيب » كالقاد والقيد عينهما واو[٢١٣] استدل على ذلك بثلاثة أوجه ،وهي:

١ ــ ان بنات الواو من المعتل أكثر من بنات الياء .

٢ ــ ان « قوب » موجود دون « قيب » .

٣ ــ انه علامة يعلم بها المسافة بين الشيئين من قولهم : « قوّبوا في هـذه الارض ، اذا أثـروا فيهـا بمـواطنهم ومحلهـم وبـدت عـلامات ذلـك »[٢١٤] .

---

(٢١٢) الفائق : ٢١/١ ، واشار بلفظ « منتزاح » الى قول ابن هرمة : «أساس البلاغة / نزح : ٩٤٨ » .

فـأنت مِن الفوائل حين ترمـى ومـن ذمّ الرجال بمنتزاح

وبلفظ « لاتهاله » الى أن الأصل : لا تهلَه » .

انظر : اللسان (هول) .

(٢١٣) في الحديث : « القاب قوس أحدكم ..» : ٢٣١/٣ . والقـاب ۏ اللغة بمعنى « القـدر » .

(٢١٤) الفائق : ٢٣٢/٣ (قوب) .

وأشار في « الأساس » الى هذا المعنى الأخير بقوله : « هو منّي قاب قوس ، وقوّب جلده الجرب : ترك فيه آثاراً ، وقوّب النازلون الأرض : أثروا فيها »»[٢١٥] مما يؤكد صحة استدلاله ، وسلامة رأيه .

وتصريفُ المادة والاشتقاق كفيلان بكشف حقيقة الصيغة ومعرفة أصلها، وكثيراً ما يعوّل الزمخشري على أصل اشتقاق اللفظ ليقرر حقيقــة أصل المفردة ، وما جرى فيها من تغيير ، بزيادة أو نقص أو صحة بنــاء ، فقــد ذهب الى أن « أفكل » همزته مزيدة ، قال « لدليل تصريفي ، لقولهم : رجل مفكول » سقطت الهمزة عند اشتقاق مفكول من أفكل[٢١٦] ولذلك وضعها في « الفاء والكاف » من أبواب الكتاب ، وقال في (علط ولعط) : « اذا استوى التصرف سقط القول بالقلب »[٢١٧] .

وذهب الى ان « الإلوة » ــ وهي ضرب من خيار العود وأجــوده ــ همزتها ، إما زائدة أو اصليــة » ولكنه يحتاج في كلتــا الحالتــين الى ما يصحح واحداً من الرأيين ، فاحتاج الى التدليل على كلا الرأيين ،فقـال : « فالأصلية كعرقوة وعنصوة ».« أو « زائدة كأُنملة أو أُبلُمّة » .

فالأول ــ عنده ــ مشتقة من : « ألا يألو » : لأن البناء مــوجود « والاشتقاق قريب جائز » ولكنَّ المانع من الأخذ به قولهم : « لــوّة وليّــة » .

ولذلك رجع عن الرأي الأول فقال : « والمعوّل عليه هــو الــوجه الثاني ، وهي مشتقّة من : لو للتمني »[٢١٨] .

ومن استدلالاته بالاشتقاق قوله في « أقيال وأعيــاد » : « والذي يصدق أصالة الواو قولهم :« فلان يعود ولده ، والاشتقاق من : عال الأمر

---

(٢١٥) أساس البلاغة : (قوب) : ٧٩٥ .

(٢١٦) الفائق : ١٧٣/٣ (فكل) .

(٢١٧) نفسه : ٥/٢ (ذبح) ومثله : « جذب وجبذ » .

(٢١٨) الفائق : ٣٢٣/٣ (لوي) .

عولاً اذا غلبه واثقله »[٢١٩] . وقوله : « عين العاهة ــ وهي الآفـة ــ واو لقولهم :أعاه القوم وأعوهوا .. »[٢٢٠] .

وقوله : « أعال و أعول ، إذا كثر عياله ، وعين الفعل واو ، واليـاء في عيل وعيال منقلبة عنها ، وقولهم : أعيل منظور في بنـائه الى لفظ عيال ، كقولهم : أقيال وأعياد»[٢٢١] . فهو في جميع هذه الصيغ مستدل على أن الياءات هي واوات بنظائرها في الكلام ، وباشتقاق الفعل من المصـدر ، أو بالمصدر نفسه ، مثل « عول»[٢٢٢] .

ومن أستدلاله بالتثنية قوله في ألف « المعى » : قال : هي « منقلبة عن ياء ، لقولهم في تثنية ــ معي ــ : معيَان ــ : معَيان ، ولما حكـى بعضهم انه يقال : مَعْيٌ ومِعْيٌ ، كإِنْيٍ وإِنيٍ وثنْيٍ وثنى»[٢٢٣] . ولم يكتف ــ هنا ــ المؤلف باستدلاله بالتثنية ، بل عضد ذلك بما هو مسمـوع في كلامهـم .

واستدل على كون « الذروة والثروة » ــ في أحد رأييه ــ من أصلين يلتقيان في معنـى « للعلو والزيادة»[٢٢٤] أو أن يكون من باب الاعتقـاب بين الذال والثاء ــ في رأيه الآخر[٢٢٥] .

ومن الأمثلة التي تعطينا صورة عن استدلاله بالتصغير والتكسير على أصل الحرف المنقلب قوله مستدلاً على أن عين «ماء» واو ولامه هـاء : « لذلك صغر وكسر بمويه وأمواه وقد جاء أمواه »(*) .

---

(٢١٩) نفسه : ٤٠/٣ (عول) .

(٢٢٠) نفسه : ٣٧/٣ (عوه) .

(٢٢١) نفسه : ٤٠/٣ (عول) .

(٢٢٢) وانظر ــ أيضا ــ في (الاغتيال) ــ من « غالته الغول تغوله غولا » ٨٠/٣ .

(٢٢٣) نفسه : ٣٧٤/٣ (معي) .

(٢٢٤) نفسه : ٧/٢ (ذرو) .

(٢٢٥) نفسه ، والمادة نفسها .

(*) الفائق : ٣٩٣/٣ (موه) .

وأغلب أساليب الاستدلال في منهج الزمخشري استعملها مع جـذر المادة اللغوية وما زيد عليها أو نقص منها ، ويكاد القارىء يلمس ذلك واضحاً في عظم أبواب المواد المفسرة ، ومن الأمثلة على ما أذكره ــ هنا ــ قـولـه في « طرطب » : اشتقاقه من الطرب ، وهو الخفة ، وقد كررت فيه الفـاء ــ وحدها ــ كما كررت مع العين في : مرمريس ، والدليل على زيادة الثانية مجيء : أطرب في معنى طرطب »[٢٢٦] .

وقوله في « الدَّحْسُمان والدحْمسان •• ولو قيل : إن الميم زائـدة لما في تركيب : دَحَس من معنى الخفاء ــ فالدحْس : طلب الشيء في خفاء، ومنه داحس ، والدحّاس : دويبة في التراب ، لكان قولاً »[٢٢٧] .

وقـوله في « الصنديد والصنتيت » : هو السيد : وهما « فنعيل من الصد والصت وهو الصرم والقهر •• ويقال للكتيبة : صنتيـت وصتيت ، فدلّ خلو أحد البناءين عن النون على زيادتها في الآخر • ويحتـمـل أن يقال في « الصَّنْتيت : بأنه من الإصنات ، وهو الانتقان ؛ لأن السيد يصلح في أمور الناس ويتقنها ، والتاء مكررة ، والزنـة : فعليل ، والـدال من الصنديد بدل من التاء ، والأول أوجه[٢٢٨] » .

وقوله في : « الشنظرة » : « ضرب أعراض القوم •• وفي معنـاه : شنذير وشنذارة ، وشيـذارة ، وفي : شيذارة : دليـل على أن النون في شنذير وشنذارة مزيدة ، ويسكن أن يتسلق بهذا إلى القضاء بزيادتهـا في : « الشنظيرة[٢٢٩] • وكذا قوله في زيادة النون في سَنْبُـل ، لعدمهـا في

---

(٢٢٦) الفائق : ٣٦٠/٢ (طرطب) .

(٢٢٧) نفسـه : ٤١٤/١ (دحسم) .

(٢٢٨) نفسـه : ٣/٣ (عظم) .

(٢٢٩) نفسـه : ١٠٢/٢ (زبر) .

(أسْبل) وفي «السنبل» : لعدمها في «السبل»[٣٣٠] • وحكمه على زيادة الميم في (ازمهر) لأنها من (زهر)[٣٣١] •

ففي هذه النصوص يتبين الباحث من خلالهـا أن اتحاد اللفظـين في الدلالة ، يبيح لنا أن نحكم بأنّ ثمة أصلاً ، وأن ثمة مزيداً على ذلك الأصل، وانا نستطيع أن نتخذ وسيلة للقضاء علـى زيادة الحرف إذا كـان المجرد والمزيد يحملان دلالة واحدة ، كما مَثّل •

والغرض من الزيادات ، معروف في العربيـة ، إذ ربما زادوا حرفاً للتأكيد أو لزيادة معنى ، أو لالحاق بناء بآخر أو غير ذلك ، وقـد أشـار في بعض تفسيراته الى شيء من ذلك •

قال في « العفر والعِفرية والعفريت والعُفارية ـ وهـو القـوي المتشيطن •• اليـاء في « عفريـة وعفارية » للالحاق بشرذمة وعُذافِرة ، وحرف التأنيث فيها للمبالغة والتاء في عفـريت للالحاق بقنديل »[٣٣٢] •

(٣٣٠) نفسه : ١٥٠/٢-١٥١ (سبل) •

(٣٣١) نفسه : ٤٢٧/١ (دمم) •

(٣٣٢) نفسه : ٤١٤/١ (دحسم) •

الفصل الثاني

شواهد الفائق وأمثلته

الشاهد والمثال في الفائق :

يتمتع الزمخشري بسعة الاطلاع ، ووفرة العلم ، والقدرةعلى ايراد المثل المناسب في الموضع المناسب ، وتعضيد الرأي اللغوي بالشاهد الفصيح من كلام العرب ، وهذه ميزة لاتتوافر إلا للمحققين البارعين في علم العربية .

ولقد سبقت الإشارة الى ان الزمخشري كثير التمثيل ، لقواعد اللغة ، وقياسات صيغها وأبنيتها ، وهو لايكتفي بايراد مثال واحـد ، بـل يكثر من تعدّد الأمثلة . ولسنا محتاجين هنا الى اثبات هذه الظاهرة المنهجيـة في الفائـق ، ولكن يكفي أن نعطي مثـالاً لها مما قاله في الفعل « يفيض » قال : « عينـه ياء ، على هذا ، وانْ صح ما روي من المفاوضة في الحديث ، وهي البيان ، ففي عينه لغتان ، نحو قولهم : قاس يقيس ويقوس ، وضـار يَضِير ويضور »(1) .

والشواهد في « الفائق » متعددة الجوانب ، يأتي بها ، لتأكيد دلالـة لفظ ، أو قاعدة لغوية ، أو تركيب عربي ورد في الحديث ، أو ظاهرة تتميز بها العربية من سائر اللغات ، وهذه الشواهد ترد بنسب متفاوتة بقدر ما لها من أهمية في موضع الاستشهاد ، ومن الطبيعي أن يكون الحديـث عضداً للحديث ، ولذلك كانت الشواهد الحديثية اكثر النصوص المستشهـد بهـا ظهوراً ، يليها الشعر ، فقد أحصيت ألفاً وأربعمئة وخمسة واربعين شاهـداً

---

(1) الفائـق : ١٤٩/٣ (فيـض) . وانظـر : ٤٩/٢ (رحـم) و ٣٨/٢ (رثع) و ٥٣/٢ (رد) و ١٢٢/١ (ثقي) وغيرهـا .

شعرياً بين الرجز والقريض ، نسب منها الى قائلها ما يزيد على تسعمئة وستين بيتاً وأهمل سائرها بلا نسبة ، وهو ما يمثل مقدار الثلث • أما الشــواهد القرآنية فقد تجاوزت المئتين والسبعين شاهداً قرآنياً تكرر بعضها — وهــو قليل جداً كما نرى في قوله : « عتى حين »[٢] فقد أوردها في قراءة عبدالله بن مسعود — رضي — وردّ عمر — رضي — بأن يقرىء الناس بلغة قريش ، لنزول القرآن بها •

أما الأمثال فقد ورد منها مئة وخمسةَ عشر مثلاً ، وهي نسبة لابأس بها في كتاب يعنى بلغةِ الحديث وغريبها •

وتأتي أقوال الفصحاء والبلغاء في الموقع الأخير من شواهد الزمخشري، وهي منبثة في تضاعيف الكتاب تعضيداً لظاهرة ، أو توكيداً لدلالة لفـظ ، كـما سنـرى •

١ — الشاهد الحديثي :

كتاب الفائق موضوع في تفسير لغة الحديث ، وكشف مشكلهـا ، وتوضيح غريبهـا •

وكتاب في الحديث ، يعني الاهتمام بكلام رســول الله — ص — أو صحابتــه ، لأنهم منه أخذوا وبه اقتدوا ، وعنه رووا ، فكان قـدوتَهم الحسنة ، ولهم به أسوة" في القــول والفعل • والذي يقف على ما أورد الزمخشري من النصوص يجد أنها موزعة بين :

أ — حديث الرسول — ص — •

ب — أقوال الصحابة — رضي الله عنهم — •

جـ — أقوال التابعين — رحمهم الله تعالى — •

(٢) الفائق : ٣٩١/٢ (عتى) و ٤١٦/٢ في معرض كلامه على ابدال الحـاء عيناً في لغة هذيل •

د ـ أقوال الأئمة الحسن والحسين وزين العابدين ـ ع ـ وأحفادهم .

هـ ـ أقوال من عاصر الرسالة ممن أسلم أو لم يسلم ، كمسيلمة الكذاب .

و ـ أقوال المتأخرين ممن عاصر التابعين ، كعيسى بن عمر النحوي المتوفى سنة : (١٤٩هـ) . وسنعطي امثلة لهؤلاء في عرض البحث.

ولقد ميّز الزمخشري بين هذه الشخصيات بما يقرن بها من الدعاء .

فاذا قال : قوله « صلى الله عليه وسلم ـ » علم أنه حديث رسول الله ـ ص ـ .

واذا قال : قوله ـ رضي الله عنه ـ أو صرح باسمه ، عرف أنه صحابي..

واذا ذكر الامامَ ـ علياً ـ أو أبناءه أو احفادَه ، قرنهم بـ (عليه السلام)[3] .

واذا ذكر التابعين ،قرنهم بالرحمة من الله ، فاذا قال : « قال الحسن رحمه الله عرف أنه تابعي[4] وليس الحسن بن علي بن أبي طالب (رضي) .

غير أن الزمخشري قد يخل بهذا النهج في مواضع نادرة في ضمن تفسيراته ، فقد ذكر « محمد بن الحنفية »[5] فقرنه بـ « رحمهما الله تعالى » . وذكر « الحسن بن محمد بن الحنفية » فلم يقرنه بدعاء[6] وذكر الإمام علياً ـ رضي ـ فقرنه بالصلاة عليه وعلى رسول الله ـ ص ـ فقال :وفي حديث آخر : أنّه قال لعلي ـ صلى الله عليهما »[7] .

---

(٣) انظر مثلا : ١٨٥/١ و ١٩١ و ٢٣٠ و ٢٧٨ وغيرها بالنسبة للحسن ـ ع ـ و ٦٦/١ و ١٨٥ و ١٩١ و ٢١٨ بالنسبة للحسين و ٢٣٨/١ و ١٥٢/٢ بالنسبة لعلي بن الحسين بن علي .

(٤) انظر مثلا في الحسن البصري : ١٧٨/٢ (سطو) .

(٥) ٢٢٢/٢ مادة (شث) .

(٦) الفائق : ٢٣١/٢ .

(٧) الفائق : ٢١٤/٢ .

وحين ذكر فاطمة ــ ع ــ قال : « الزهراء البتول ، عليها وعلى أبيهـا ، وبعلها أفْضل الصلوات وأشرف التمليمات .. »[٨] .

والحقّ أن دعاءه لعلي وأبنائه وزوجته ــ عليهم السلام جميعاً ــ ليس بدعاً ، وانما هو دليل دينه وتقواه ، وشدة حبه لآل بيت النبي الأكرمين . وهم أحقّ بالتجلة والتكريم ، رضيَ الله عنهم جميعاً .

لقد سنّ الزمخشري في فائقه نهجاً يستطيع القارىء به أن يعرف حديث رسول الله ــ ص ــ من الآثار والأقوال للصحابة والتابعين ، وهـو نهـج سليم يدل على الدقة والتحري في إعطاء كل ذي حقٍ حقه ، ووضـع الشيء في مكانه الصحيح .

والذي يلفت النظر أن جملة النصوص التي ثبّتها الزمخشري في مطلع المادة لم تكن من الأحاديث ، ولكنها قيلت في رسول الله ، أو في وقته على ألسنة أناس لم يكونوا قد أسلموا ، أو أسلموا ثم ارتدوا ومن ذلك قـول أبي لهب : « لهَدّ ما سحركم صاحبكم »[٩] وفسر « لهد » بـ « لنعـم » . وأبو لهب مشرك ، آذى رسول الله ــ ص ــ بلسانه وفعله[١٠] .

ومن الأمثلة على هذا النمط من النصوص ما روى من كلام مسيلمـة الكذاب ، فقد نقلحديث إعراسه بسجاح التميمية ، قال : « قال مسيلمـة الكذاب : عثنوا لها » . أي : نحروا من العثان ، وهو الدخان الذي لا لهب له ، والضمير لسجاح المتنبئة قال ذلك حين أراد الإعراس بها »[١١].

ومن المتأخرين ممن عاصروا التابعين عيسى بن عمر ، فقد روى عنـه الحسن ــ رح ــ قوله : « أقبلت مُجْرَ ـنْسِزاً حتى اقْعَنْبيت بين يـديه، فقلت يا أباسعيـد ... »[١٢] . فالكـلام لعيسى والحسن تابعي ، وليس

---

(٨) نفسـه : ٢/٢١٤–٢١٥ .
(٩) نفسـه : ٤/٩٦ (هدد) .
(١٠) الكشاف : ٤/٨١٤ .
(١١) الفائق : ٢/٣٩٤ ــ ٣٩٥ (عثن) .
(١٢) نفسه : ١/٢٠٧ (جرمز) .

النص حديثاً ، ومع ذلك فقد أورده في ضمن نصوصه • ومن ذلك ــ أيضاً ــ قول «عطاء ــ رح ــ لابن جريج » هو كلام[١٣] • وعطاء تابعي ، وابن جريج معاصر لـه •

ولعل الزمخشري يريد أن يحصر الحديث بين جيلـين جيل معـاصر للرسالة المحمدية ؛ واللغة يومئذ لاتزال على فصاحتها ، وقـوة فـاعليتها وهي تعيش في موطنها الأم ــ جزيرة العرب ــ ، والمتكلمون بهـا عـرب أقحاح لم يشب كلامهم شيء من الضعف أو اللحن او الغريب ، فضلاً عن لسان صاحب الرسالة ذي الفصاحة المعجزة والبيان الناصع ، وجيل عـاش على اعقاب الصحابة ، وأخذ عنهم ونقـل كلامهـم الذي سمعوه عن رسـول الأمة ــ ص ــ ، ولم تفسد سلائقهم ولا تغـيرت ألسنتهم ، فكـانوا حلقة الوصل بين عهد متميز بالفصاحة والبيان ، وعهد يوشك أن ينحدر اللسان فيه الى اللحن والضعف ، وهو عهد أواخر أيام الأمويين وأول ايام العباسيين، وهو الذي اطلق عليـه البـاحثون العـرب : «عصـر الاسلاميـين» أو المتقدمين[١٤] ، فان من جاء بعدهم هم «المولدون» وهم الذين عـاشوا في مطلع الدولة العباسية ، ثم في ظلها • فالجاهليون والمخضرمون والاسلاميون يستشهد بكلامهـم ، وأما طبقـة المولدين فلا يستشهد بكـلامهم وينطبق هذا القول على الكلام شعره ونثره • ومن هنا كانت النصوص التي نـص عليها الزمخشري في «فائقه» تعد من الفصيح الأصيل الذي لا غبار عليه •

يتنـاول الزمخشـري الحديـث شاهداً عندما يحتاج الى تأكيد معنى دون لفظ ، ومن ذلك تأكيده لمعنى الحـديث : « ملعـون من غير تخـوم الأرض »[١٥] • فقد أورد الحديث في مادة (تخم) وكان ينبغي أن يـؤكد

---

(١٣) نفسه : ٢٣١/١ (جلجل) •
(١٤) خزانة الادب : البغدادي : ٣/١ •
(١٥) الفائق : ١٤٩/١ (تخم) •

ـ لو أرادالاستشهاد للمادة نفسها ـ حديثه بحديث فيه اللفظة نفسها ، ولكنه، أراد ـ هنا ـ أن يؤكد ـ معنى الظلم الذي يوقعه بعض الناس بالاستيلاء على أرض غيره ، فتقع عليه اللعنة ، فقال « من ظلم جاره شبراً من الأرض طوقه الله يوم القيامة من سبع أرضين » وأكد ـ أيضاً ـ لفظ الحديث الآخر: « ليس لأحد أن يزوّي من حدّ غيره شيئاً » ، أي يظلمه ، فيضم بعض أرضه إليه ، فجاء بالحديث الثاني ليؤكد معنى الحديث الأول ، والفرق بينهما أن الأول أعطى حكم اللعنة على المغيّر الظالم ، والثاني أعطى حكم التطويق يوم القيامة ، من سبع أرضين ، والمراد واحد ، هو أن المغير ظالم ، وان العقاب يقع لـه •

أما الاستشهاد باللفظ لأجل اللفظ ، فكقوله ـ ص ـ من حديث زيد بن ثابت ـ رضي ـ : « ما عندنا شيء ولكن أتبع علينا » ففسر : « أتبع » بـ « أجال » ، ثم قال : « ومنه الحديث : « إذا اتبع أحدكم على مليء فليتّبع » ، أي : إذا أُحيل فليحتل »[16] •

ولما كان الحديث مظنة للسهو ، والخطأ ، والنسيان ، وربما يداخله الوضع أو يكون ضعيفاً ، يرد عليه الضعف من متنه أو سلسلة اسناده ؛ لذلك نجد الزمخشري متنوعاً في عناياته بلفظ الحديث ومتنه ، وصحة روايته ، فمن اختلاف لفظ الحديث بسبب غلط الناقل ، ما رواه عن الامام علي ـ رضي ـ : « أنفضهم نفض القصّاب التراب الوذمة »[17] ، فبعد أن فسر معناه قال : «وقيل : هذا من غلط الناقل ، وأنه مقلوب ، والصواب : الوذام التربة ، وفسر : « الوذام » بأنها جمع « وذمة » ، وهي الحزّة من الكرش او الكبد والكرش نفسها » •

---

(16) نفسه : ١٤٧/١ . وانظر مثله : (تنط) : ١٧٨/١ .
(17) نفسه : ١٥٠/١ (ترب) .

ومن شكه في الرواية ، والقاء التبعة على الراوي باحتمال التصحيف قوله : « في حديث معاوية ــ رضي ــ : «فما أزهف به ، ولاالهب فيه » قال : « الأزهاف : الاستقدام .. ويجوز أن يكون من : أرهف فلان في الحديث ، إذا زاد فيه ، وقال ما ليس بحق ، وقد صحّف من رواه بالسراء »[18] .

ونقل ابن منظور في رواية هذا الحديث بالراء ومعناه : « لا أركب البديهة ولا أقطع القول »[19] .

ومن شكه بتحريف الراوي قوله في : « نشدك الله » : «أما نشدك الله، ففيه شبهة ، لقول سيبويه ، وكان قولك : عمرك الله ، بمنزلة نشدك الله ، وإن لم يتكلم بنشدك ولكن زعم الخليل : أن هذا تمثيل يمثله به . ولعل الراوي قد حرّفه وهو نشدك الله »[20] . ثم حاول الاعتذار للخليل وسيبويه بأنهما لم يطلعا على أصله ، وأعطى في تفسيره وجهين :

أحدهما : أصله نشدتك الله فحذفت التاء استخفافاً .

الثاني : أن يكون بناءً مقتضبا نحو : قعدك .

ومسألة التحريف والتصحيف في لفظ الحديث شغلت بال الزمخشري كثيراً ، ووقف عند بعضها طويلاً ، ولم يتركها حتى أعطى فيها ما يراه صحيحاً نقلا أو دراية ، قال في حديث عائشة ــ رضي ــ : « أتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين في حرّ الظهيرة .. أي : داخلين في الوغرة وهو فورة القيظ وشدته .. »[21] .

فوقف عند لفظ « موغرين » فلم يره مناسباً ، فقال :« مغوّرين من التغوير ، وهو النزول للقائلة ، شديد الطباق لهذا الموضع لولا الرواية ، على

---

(18) الفائق : 1/197 .
(19) اللسان : (رهف) .
(20) الفائق : 3/269 (كفل) . والعين (نشد) .
(21) نفسه : 4/73 (وغر) .

أن تحريف النقلة غير مأمون لترجّل كثير منهم في علم العربية، والاتقان في ضبط الكلم مربوط بالفروسية فيه » .

والزمخشري راسخ في علم العربية مسبر أغوارها ، عارف بدقائقها وخفاياها ولذلك نراه يكثر من إعطاء الاحتمالات والوجوه القريبة من الصحة . قال في حديث الزبير ــ رضي ــ : «رهيش الثرى» ــ بالشين ، بمعنى المنهال أو المنثال من التراب ، وهو من الارتهاش بمعنى الاضطراب . ولو روي الرهيس ــ بالسين ــ من الرهس ، وهو الوطء على هذا المعنى لكان وجهاً ، لأن المنازل يطأ الثرى »[٢٢] . وقال في حديث : لأجزرنّك جزر الضرب .. » : « الضرب العسل الأبيض الغليظ ، وقد استضرب ، وهو يسهل على العاسل استقصاء شوره ، بخلاف الرقيق ، فإنه ينماع ويسيل ، ولو روي :الصرب ــ بالصاد ــ وهو الصمغ الأحمر لجادت روايته »[٢٣] . وقد يقبل الروايات ويعطي لكل منها ما يناسبها من التفسير ، كما فعل في الحديث : « حتى كادت عيناه ترمَصان .. الرمص : معروف ، وان روي : ترمضان فالرمض : الحمى»[٢٤].

ويسنعه الحذر الشديد من أن يحكم على الحديث بالوضع أو الانتحال ، ولذلك نجده يعتمد النقل عن العلماء في اعطاء مثل هذه الاحكام على علماء الحديث واللغة ، فقد روى الحجاج حديثاً فيه : «انك كَتون" لفوف" صيود ــ» يصف امرأة بذلك فنقل عن ابي حاتم (٢٥٥هـ) قال : « ذاكرت الأصمعي (٢١٥هـ) به فقال : « هو حديث موضوع ، ولا اعرف اصل الكتون »[٢٥] .

---

(٢٢) الفائق : ٣٢/٢ (وبب) .
(٢٣) نفسه : ٢١٣/١ . وانظر في اختلاف الروايات : جفر : ٢١٩/١ وجفف وجفا وجفن : ٢٢٠/١ .
(٢٤) نفسه ٢٦٧/١ (حدد) .
(٢٥) ٢٤٧/٣ (كتن) .

وربما يستغل الزمخشري مناسبة بعض مفردات الحديث ، لمعان ، ودلالات اجتماعية وتاريخية فيسردها مع تفسيره تلطيفاً واستئداراً ، ومن ذلك حديثه الذي رواه سالم ــ رح ــ : « أترى الأحول لقعني بعينه » أورده في تفسير مادة «كدن» ، ففسر مفرداته : والكدنة ، والقعقعة ، ولقعني ، فلما انتهى الى لفظ « الأحول » انتقل الى خبر تاريخي أدبي نقل فيه صفة هشام بن عبدالملك ، « وكان أحول ويحكى أنه سهر ذات ليلة فطلب له الشعراء ، ليؤنسوه بالنشيد ، فكان فيمن أنشده أبو النجم ، فلما بلغ من لاميته التي أولها :

الحمدُ لله العليِّ الأجلل

الى قوله :

والشمس قد صارت كعين الأحول

استشاط غيظاً ، وقال أخرجوا هؤلاء عني ، وهذا خاصة »(٢١) .

لقد استعمل الزمخشري الحديث شاهداً على الحديث ، ولغة الحديث يقوي بعضها بعضاً ، وتؤكد دلالاتها ومراميها بعضها بعضاً ، ولذا كان لغة الحديث مثالاً يحتذى في الفصاحة والصحة .

٢ ــ الشاهد القرآني :

لقد رأينا ان نسبة ما ورد من القرآن الكريم في شواهد الزمخشري أقل من الحديث والشعر ، وذلك أن غريب لغة الحديث ليست مقصورة على كلام النبي ــصلىاللهعليهوسلم ــ وانما انضم اليها جملة صالحة من كلام الصحابةومعاصريهم، ثم من كلام من بعدهم من الفقهاء والتابعين ومنعاصرهم من العلماء ، ولغة القرآن لغة منتقاة متخيرة ، لم تتعدد فيها اللهجات تعدد لغة الحديث ، ومن هنا كانت شواهد القرآن الكريم على لغة الحديث

(٢١) نفسه : ٢٤٩/٣ (كدن) .

قليلة نسبياً بالقياس إلى لغة الشعر والامثال ، وأقوال الفصحاء والبلغـاء؛ لأن هذه الشواهد الأخيرة مظنة للهجات المختلفة ، وللضرائر ، والتصـرف الفردي القائم على أساس القدرات والاستعدادات التي يتمتع بها المارسون للحديث باللغة العربيـة .

ومع ذلك حاول الزمخشري الاستفادة من الاعتماد على لغة القرآن تعضيداً للحديث ، وتقوية لمعنى مفرداته ، وربما عضد لغـة القـرآن بلغة الحديث ، ففي مادة (برطم) ، وهي لفظة غريبة لـم يورد الـزمخشري حديثاً في هذه المادة ، بل وجد مجاهداً يفسر قوله تعـالى ــ : « وأنتـم سامدون »[٢٢] : البرطمة ، فقال : « هذا تفسير للسمـود والسامـد : الرافع رأسه تكبراً ، والمبرطم : المتخاوص فـي النظر ، وقيل : المقطب المتَغَضِّب لكبره ، وجـاء في تفسير ابن عبـاس ــ رضي ــ في قوله : (سامدون) متكبرون »[٢٣] ، وبذلك يكون الزمخشري قد عقد باباً لمفردة لم ترد في حديث ، وانما وردت في تفسير مجاهد لـ (سامدون) وعـدّها حديثاً ؛ لأنها قول التابعي ، وفي معكـوس هذه الحـالة ــ وهو الكثير الغـالب ــ يورد حـديثاً فيـه : « يَبُسّـون المدينـة » أي : يسوقون ويطردون »[٢٤] فوجد للبس موقعاً في آي القرآن ، فقال : « وبـه فسر قولـه تعالى ــ [٢٥] : « وبُسَّت الجبال بساً » والمعنى : يسومون بهائمهم سـائرين .. » .

ويحاول الزمخشري التقريب بين لغتي القرآن والحديث لبيين الصلـة بين الكلام المنزل من الله ــ تعالى ــ وكلام نبيـه ، ولا سيما شكل التركيب ، فقـام إلى الصـلاة ، وهو استعمال قـرآني ، وورد في الحـديث نظيره

(٢٢) آية : ٦١ من سورة النجم .
(٢٣) الفائق : ١٠٤/١ (برطم) و ١٩٩/٢ (سمد) و ٢٢٣/٣ (قلع) .
(٢٤) نفسه : ١٠٧/١ .
(٢٥) الواقعة : ٥ .
(٢٦) الفائق : ١٦٥/١ (ثري) و ٢٢٦/٣ (قنت) .

بقولـه ــ ص ــ « ثم قام إلى المغرب •• » فقال الزمخشري[٣٦] : « قـام الى المغرب ، أي : قصدها وتوجه إليها ، وعزم عليها ، وليس المراد : المثول ، وهكذا قوله ــ تعالى ــ « إذا قُمتُمْ إلى الصَّلاة »[٣٧] •

وربما افتتح المؤلف أبواب الكتاب بآية ، وردت على لسان صحابي ، أو تابعي ، أو مفسّر من العلماء المتقدمين ، ومنـه قولـه : « روي عـن أنس ــ رضي ــ أنه قـال في قوله ــ تعالـى ــ : « مثل كلمـة خبيثـة كشجرة خبيثة » : الشريان »[٣٨] • وذكر مع شجر الشريان النبع والشري والشوحط وغيرها •

ومثلما عني الزمخشري بالربط بين لغتـي القـرآن والحـديث عني ــ كذلك ــ ببيان وجوه القراآت واختلاف الأئمة فيها ، وقصد مـن وراء ذلك إظهار دلالة الصيغ والبنيات المختلفة في القراءات • ومن ذلك ايراده قراءة : « بل يداه بسطان » في قوله ــ تعالى ــ « بل يداه مبسوطتان »[٢٩]، وهي قراءة ابن مسعود ــ رضي[٣٠] • وفسر البسط بالجود والانعـام ، لأن قولهم : فلان مبسوط اليد : تعني جواداً ، وذهب الى أن « مبسوطتان » تعني « الجود والانعام من غير تصور يد ولا بسطها » وإنما قال ذلك ؛ لينفي التشخيص والتجسيم عن الله ــ تعالى علواً كبيراً ــ •

وقد ينقـل القراءات عـن غيره من أئمـة المؤلفين في القرآت كمـا نقل عن القراء قراءة قوله ــ تعالى ــ : « والذي تولى كِبْرهُ منهم »[٣١] قال : « قرىء باللّغتين » ، يعني ــ ضمَّ الكاف وكسرها ــ »[٣٢] •

---

(٢٧) المائدة / ٦ .	(٢٨) الفائق : ٢٣٩/٢ (شري) .
(٢٩) المائدة / ٦٤ .
(٣٠) نفسه : ١٠٨/١ (بسط) وانظر قراءة الاعرج لقوله ــ تعالى ــ (فسوف تصليه ناراً) بفتح النون . آية النساء / ٣٠ . الفائق : ٣١٠/٢ (صلى) .
(٣١) آية حديث الافك .
(٣٢) الفائق : ٢١٦/٣ (قفي) .

والاستشهاد بلغة القرآن قد تأتي لتأكيد صحة تركيب لغويّ ورد في الحديث ، ففي قوله ـ ص ـ : « كفى بالرجل إثماً أن يضيع من يقوت أو يقيت »[33] أورد الزمخشري آيتين ، أولاهما من سورة النساء[34] ، وهي قوله ـ تعالى ـ : « وكان الله على كل شيء مُقيتاً » بمعنى : المحافظ والمهيمن ، وثانيتهما : قوله ـ تعالى ـ « واتقوا يوماً لا تجزي ٠٠ » وهي من سورة البقرة[35] ، شاهداً على «حذف الجار والمجرور من الصلة » ويريد: «يقوت له أو عليه» ، و «تجزى فيه» ، فحذف الجار والمجرور من التركيبين.

وقد يرد لفظ الحديث محتملاً لمعانٍ بعيدة عن الغرض ، فيفسره بلفظ القرآن ففي الحديث ، (قام رجل فقال : يا رسول الله ، نشدتك بالله إلا قضيت بيننا بكتاب الله٠٠)[36] ، فكتاب الله في هذا الحديث لا يعني القرآن ـ كما هو ظاهره ـ وانما أراد : بما فرض الله ، ولذلك قال الزمخشري : « بكتاب الله ، أي بما كتبه على عباده ، بمعنى : فرضه ، ومنه قوله ـ تعالى ـ: « كتاب الله عليكم » ولم يرد القرآن ، لأن النفي والرجم لا ذكر فيه لهما » .

إن القرآن الكريم شاهد قوي على صحة لغة الحديث ، وتعضيد لتراكيبه وصيغه وأبنيته ، فضلاً عن أن نصّيهما يشكلان ركيزتين كبريين من ركائز التشريع الاسلامي ، وأحكامه .

٣ ـ الشاهد الشعري :

للشعر في كتب اللغة والنحو مكانة متميزة من سائر الشواهد الأخرى على الرغم من كونه مظنّة للضرائر ، والشذوذ ، والتجويز على اللهجات العربية المختلفة .

---

(٣٣) نفسه : ٢٣٦/٣ (قوت) .
(٣٤) النساء : ٨٥ .
(٣٥) البقرة : ٤٨ .
(٣٦) انظر الحديث في الفائق : ٢٤٦/٣ (كتب) .

ولقد عني اللغويون بالشاهد الشعري المتقدم ، وحرصوا على أن يكون قائله ممن عاشوا في عصر الاحتجاج ، كالعصر الجاهلي ، والمخضرمين، ثم العصر الاسلامي ، وحاذوا الاعتماد على الشعر المتأخر الذي أطلقوا عليه اسم «المولد» وقصدوا به شعر شعراء أواخر العصر الأموي ومطلع العصر العباسي ، كبشار بن برد ومروان بن أبي حفصة .. وأبي نواس ، فقد أسموهم « المولدين » ولم يستشهدوا بأشعارهم .

وبين اللغويين اختلاف في عصر التوليد ، فقد كان بعضهم يعد شعر الفرزدق والكميت - وهما أمويان - ويضم إليهم ذا الرمة - من المولدين[٣٧] . وكان أبو عمرو بن العلاء يعد شعر جرير والفرزدق مولداً « وكان لا يعد الشعر إلا ما كان للمتقدمين ، قال الأصمعي : جلست إليه عشر حجج فما سمعته يحتج ببيت إسلامي »[٣٨] .

غير أن جمهرة اللغويين والنحويين يرون في الطبقات الثلاث : (الجاهلي والمخضرم والاسلامي الأموي) أنه يحتج به ، أما الطبقة الرابعة ، فالغالبية تذهب الى عدم جواز الاحتجاج به ، وبعضهم أجاز الاحتجاج به ، وعلى رأسهم الإمام الزمخشري ، قال البغدادي : « فإنه استشهد بشعر أبي تمام في تفسير أوائل البقرة من الكشاف[٣٩] .. وقال : وهو وإن كان محدثاً لايستشهد بشعره في اللغة ، فهو من علماء العربية ، فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه ، ألا ترى إلى قول العلماء : الدليل عليه بيت الحماسة ، فيقتنعون بذلك ؛ لوثوقهم بروايته واتقانه » .

والذي يشير إليه هنا صاحب الخزانة أكده الزمخشري في (الفائق) فأورد شواهد لشعراء مولدين ، من غير أبي تمام ، بعضهم ذكره باسمه ،

---

(٣٧) خزانة الادب : ٣/١ .

(٣٨) نفسه : ٤/١ .

(٣٩) الكشاف : ٨٦/١ - ٨٧ والبيت هو قول حبيب بن اوس :
هما أظلما حاليَّ ثمت أجليا ظلاميهما عن وجه أمرد اشيب

وبعضهم لم يذكره ، كما تدل بعض الأبيات التي أوردها خلال تفسيره المفردات أنها من نظمه الخاص .

ومن إشارة البغدادي ــ أيضاً ــ نفهم أن عبارة « بيت الحماسة » عند اللغويين تعني صحة الاستشهاد المقطوع به ، الموثوق بأصالته ، وقد حقق الزمخشري ذلك حين استشهد في مادة «وحش»[٤٠] بشعر من الحماسة، قال : « وحَشَّ بها : رمى بها ، ومنه بيت الحماسة :

فذروا السلاح وحَشّوا بالأبرق » .

ولقد استشهد الزمخشري من الشعر المولد ؛ لأبي نواس ، وأبي العتاهية ، ودعبل الخزاعي ، وأبي قطيفة ، وأبي العلاء المعري ، والغريب النصري ، ولنفسه ــ معبراً عنه : لبعض أهل العصر ــ من نحو قوله :

لي في الدنيا سهام ... ليس فيهن ربيح
وأساميهن رفد ... وسفيح ومنيح

وقد أشارت بعض نسخ الفائق المخطوطة الى « أنه للزمخشري »[٤١].

وقد يطلق الزمخشري شواهده المولدة من غير نسبة ، كما ترى في تفسير لفظ : « النقيع ــ بالنون ــ : موضع .. وعن الأصمعي : أن عيسى بن عمر أنشد يوماً :

ليت شعري وأين مني ليت ... أعلى العهد يَلْبَنٌ فَبَرامُ
أم بعهدي البقيع أم غيَّرته ... بعدي المُعْصِرات والأيام

رواها بالباء ، فقال أبو مهدية : إنما هو النقيع ، فقال عيسى صدق والله ، أما إني ولله لم أرَ بيتاً عن أهل الحضر ــ إلا هذا ــ »[٤٢] .

---

(٤٠) الفائق : ٤٧/٤ . (٤١) نفسه : ٣٩١/٣ (منح) .
(٤٢) نفسه : ٦٣/٣ ــ ٦٤ (غرز) والبيتان لأبي قطيفة : الأغاني ٢٨/١ .

ولئن كان الشاهد المذكور قد ورد في ضمن خبر نقله من مصادره ، إنه في بعض شواهد يصرح بكون الشعر مولداً ، فيقول : « في حديث عمر — رضي — : إن طائراً مَرّق عليه ... وقال بعض المولدين :

كأنما يخرج من إهابه[43] .

ومثله في حديث الزهري يفسر « المظّ » : « رمان البر ، وهو بمعنى المماظة وهي ملازمة المنازع ؛ لتضام حبه وتلازمه ، ألا ترى الى قول الاعرابي :

كأزز الرمّانه المحتشية

وقال المولّد :

لا يقدر الرمان يجمع حبّه في جوفه إلا كما نحن

ولهذا سمي رماناً ، فعلان من الرمّ »[44] .

وقد يصرح باسم الشاعر المولد كما هي الحال في استشهاده ببيت لأبي العلاء المعري يردّ على من زعم أن «ضراح» — بالضاد — هي «صراح» بالحاء ، فأورد له بيت أبي العلاء :

وقد بلغ الضراح وساكنيه ثناك وزار من سكن الضريحا

قال : « وأريته كيف قصد الجمع بين الضراح والضريح للتجنيس»[45] . ويبدو أن الزمخشري — هنا — مستشهد ، وليس مستأنساً بكلام أبي العلاء، لأن عبارته الاخيرة تؤكد حرصه على أن يري مناقشه صحة رأيه هو ، وخطل الخصم .

ومن تصريحاته استشهاده ببيت أبي العتاهية :

فإن حفروا بئري حفرت بثارهم وإن بحثوا عني ففيهم مباحث

أورده شاهداً على جمع : بئر : بئار[46] .

---

(٤٣) الفائق : ٣/٣٦٤ (مزق) ، والرجز لأبي نواس ، وصدره :

تراه في الحضر اذا هاها بــه كأنما ...

(٤٤) الفائق : ٣/٣٧٣ (مظط) ، وانظر استشهاده ببيت دعبل ١/١٧٤-١٧٥ .

(٤٥) الفائق : ٢/٣٢٦ (ضرح) .

(٤٦) نفسه : ٤/٩٠ (هيج) . وانظر كذلك : ٤/١٢٠ (هوم) .

وتدلنا بعض عباراته أن استشهاده بمولد من مثل قوله :

« وسمعت بعضهم ينشد :

ألا إن نومات الضّحى تورث الفتى
خبالاً ونَوْمات العُصَيْر جُنون[47]

أما الشواهد غير المولدة ، فتنحصر بين الشعراء الجاهليين والاسلاميين، وهي موزعة بين القريض بأبحره المعروفة ، والرجز .

وأبرز الشعراء الذين استشهد بشعرهم ذو الرمّة ، فقد تكرّر ذكر أبياته المستشهد بها في أربعة وستين موضعاً ، ثم وليه – بفارق كبير – أعشى قيس – وهو جاهلي فذكر له شواهد من شعره في ستة وثلاثين موضعاً،ثم وليه جرير بثلاثين موضعاً،فامرؤ القيس في ستة وعشرين موضعاً ، ثم النابغة الذبياني باثنين وعشرين موضعاً ، فطرفة بن العبد – ومعه الحطيأة والراعي والكميت وهم اسلاميون – ولكل منهم عشرون موضعاً ، ثم وليهم الأخطل الأموي ، ولبيد المخضرم ، ولكل منهما ثمانية عشر موضعاً ، ثم زهير والشماخ ، ولكل منهما سبعة عشر موضعاً ، ثم حسان – رضي – والفرزدق وأوس بن حجر ، ولكل منهم خمسة عشر موضعاً ، ثم ابن مقبل ، وله أربعة عشر موضعاً ، فأبو ذؤيب – وهو إسلامي هذلي ، وله ثلاثة عشر موضعاً بكنيته . وذكر الزمخشري ثلاثة عشر موضعاً منسوباً شاهدها لـ (الهذلي) من غير اسم ولا كنية ، والهذليون جماعة كبيرة ، منهم أبو صخر الهذلي وأبو كبير والبريق وأبو خراش ، فقد صرح بكنى بعض هؤلاء وبأسمائهم ، في مواضع . فقد أورد لأبي خراش الهذلي شاهداً من شعره[48] وآخر لأبي صخر[49] وخمسة أبيات أخرى في مواطن مختلفة لأبي كبير[50] ، وبيتين للبريق الهذلي في موضعين[51] .

---

(47) نفسه : ٢٧٧/٢ (صبح) . (48) انظر : حـ٣/ ص ٣٤ .
(49) انظر : ٤٣/٢ .
(50) انظر : ٣٦٠/١ و ٨٣/٢ – ٣٤٣ و ٣٨/٣ و ٩٠/٤ .
(51) انظر : ١٤٠/١ و ١٧٠ .

ثم يأتي شعر النابغة الجعدي ــ وهو إسلامي ــ فنجد له اثني عشر موضعاً ثم الطرماح وكثير وهما إسلاميان وابن أحمر ــ والنمر بن تولب ــ رضي ــ ولكل منهم عشرة مواضع ، ثم القطامي وعمرو بن معدي كرب و علي بن أبي طالب ــ رضي ــ ولكل منهم تسعة مواضع ، فأمية بن أبي الصلت وله ثمانية مواضع ، فمزرّد وأبو دؤاد ولكل منهما سبعةمواضع، فالحطيئة وحميد بن ثور ولكل منهما ستة مواضع ، ثم عديّ بن زيد وابن هرمة ولكل منهما خمسة مواضع ، وابن هرمة يعد آخر من يستشهد بشعره •

ثم تتراوح أعداد مواضع الاستشهاد للشعراء الآخرين بين البيت الواحد كالسموأل[٥٢] أو موضعين كساعدة بن جؤية وحاتم الطائي[٥٣] ، أو ثلاثة[٥٤]،كحميد الأرقط ، أو أربعة كأبي زبيد الطائي[٥٥] ، ودريد بن الصمة ، وعنترة والبعيث وبشر بن ابي خازم ، وكعب بن مالك ، وتأبط شراً، وجميل بن معمر وعمرو بن كلثوم •

وبذلك يكون لذي الرمّة القدح المعلى في شواهد الفائق الشعرية، ويليه شعر أعشى قيس ثم جرير فامرىء القيس •

ويتضح من كثرة شواهد هؤلاء الشعراء : أنهم مقدّمون في الفصاحة وعلو الكعب في اللغة المختارة عند الزمخشري ، وليس اعتماده ــ هنا ــ على شعر ذي الرمّة بجديد ، بل هو نهج اتبعه في اكثر كتبه ، ولا سيما اللغوية ، فقد ثبت عندي في الدراسة التي أعددتها عن « أساس البلاغة » : انه أفرغ ديوانه على سائر مواد الأساس[٥٦] •

---

(٥٢) انظر : ٣٥١/١ •
(٥٣) انظر بالنسبة لابن جؤية : ٩٩/١ و ٣٤/٣ •
(٥٤) انظر بالنسبة لحميد الارقط : ٢١/١ و ٢٩٦ و ٣٩٧/٢ •
(٥٥) انظر المواضع : ٢١٥/١ و ٢٠٠/٢ و ٢٠٦ و ١٩٥/٣ •
(٥٦) شواهد الزمخشري في أساس البلاغة : الدكتور رشيد العبيدي ــ مجلة المجمع العلمي العراقي : جـ١/م ٤١ ص ٢٩٥ــ٢٩٦ •

أما الرجز فشواهده ظاهرة – أيضاً – وقد يكون بعضه منسوباً الى غير الرجاز ، ممن مرّ ذكرهم من الشعراء ، وأبرز الرجاز : العجاج وابنه رؤبة ، والأغلب العجلي ، ودكين وأبو وجزة السعدي ، وأبو النجم العجلي ، وأبو نخيلة ..

غير أنّ العجاج وابنه رؤبة كانا قد استأثرا بالمقدمة في الموقع ، فقد وردللعجاج خمسة وثلاثون موضعاً ، ووليه رؤبة بأربعة وثلاثين موضعاً ، ثم أبو النجم بخمسة عشر موضعاً ثم الاغلب بتسعة مواضع ، ثم أبو وجزة السعدي بستة مواضع ، فدكين وابو نخيلة بموضعين لكل منهما ، وحظي الباقون منهم بموضع واحد كالزباء[٥٧] وأحمد بن جندل السعدي[٥٨] .. وغيرهما .

يحرص الزمخشري – غالباً – على أن ينسب الشعر الى قائله ، فإن لم ينسبه فهو إما أن يكون معروفاً ، فيكتفي بـ «قال» ويأتي بالبيت الشاهد ، ويكثر مثل هذا الاسلوب مع شعر ذي الرمة الذي يشغل مساحة كبيرة من شواهده الشعرية ، وذلك نحو : « الجدب : العيب والتنقص ،قال :

ومِـنْ وَجْهِهِ تعلّل جاد بِه»[٥٩] .

فأورد شطره الثاني ، وهو بيت معروف لذي الرمة ، وأوله :

فيالك من خدٍّ أسيلٍ ومنطق رخيم ومن خلق تعلل جادبه[٦٠]

والذي يدل على عنايته الواضحة بشعر ذي الرمّة ، أنه قد يدرج بعض ألفاظ أبياته خلال كلامه وتفسيراته من غير إشارة الى كونها من شعر ذي الرمة ، اعتماداً على شهرتها ، ومن ذلك كلامه على معاني : (سفه)

---

(٥٧) انظر : ٢/١٣٠ .

(٥٨) لم ينسبه الزمخشري ١/٤٤٤ وانما رأينا نسبته للسعدي في اللسان (معد) والرجز هو :

هل يروين ذودك نز مه وساقيان سبط وجَعد

(٥٩) الفائق : ١/١٩٥ (جدب) .

(٦٠) ديوان ذي الرمة : ٤٣ .

و (سفيه) و (تسفهت) التي لاتخرج عن الخفة والاضطراب واللعب والهَزْل ، قال : « .. وزمام سفيه وتَسفّت أعاليها مر الرياح .. »[٦١] .

فقوله : « وتسفّهت أعاليها .. » هو جزء من بيت لذي الرمة مشهور على لسان النحويين واللغويين ، أوردوه شاهداً على تأنيث الفعل مع ان فاعله مذكر ، والبيت هو:

مشين كما اهتزت رماح تسفّهت　　　أعاليها مر الرياح النواسم[٦٢]

وأسلوب الجزْء والاقتطاع من الشعر معهود عند الزمخشري ، فهو يكثر من ذكر موطن الشاهد من الشعر ، ومن ذلك قوله : « العين مبدلة من الهمزة في : صدع ، كما قيل : ولله عَنْ يشفيك »[٦٣].

والعبارة الأخيرة هي جزء من بيت شعر ، آخره :

ولله أن[٦٤] يشفيك أغنى وأوسع

والشاهد الشعري في معرض حديث الزمخشري قد ينال عنايات أخرى غير ايراده شاهداً على دلالة لفظ أو تأكيد تركيب أو بناء أو صيغة ، فقد يعنى الزمخشري بمناسبة نظمه ، كما ترى في حديث عثمان ــ رضي ــ يخاطب علياً ــ رضي ــ ويطالبه بمداركة الأمر :

فإن كنتمأكولاً فكن خير آكل　　　وإلا فادّركني ولما أمزّقِ

وقف الزمخشري عليه ، فبين قائله ، وأخبر عن مناسبته ، قال :

« والبيت الذي تمثل به لشاعر من عبدالقيس لقب بالممزق بهذا البيت ، واسمه شأس بن نهار ، ومخاطبه فيه النعمان بن المنذر ، وقبله :

أحقاً أبيت اللعن أنّ ابن فرتنى　　　على غير إحرام بريقي مشرقي[٦٥]

---

(٦١) الفائق : ١٠٤/٤ (هزل) .
(٦٢) انظر : ابن عقيل : ٥٠/٣ (ط : دار الفكر بيروت).
(٦٣) الفائق : ٢٩٠/٢ (صدع) .
(٦٤) بابدال الهمزة : عيناً ، وانظر في العنعنة اللسان :١٦٨/١٧ (عن) .
(٦٥) الفائق : ١٠٣/٢ (زبى) .

والأدلة على حرص الزمخشري على نسبة الشعر الى قائليـه كثيرة من ذلك ان ابن الاعرابي نسب البيتين :

إن تنـاقش يكن نقاشـك يـار ب عذاباً لا طوق لي بالعـذاب
أو تجـاوز فأنـت ربٌ عفـوٌ عـن مسيء ذنوبـه كالتـراب

إلى الحجاج • فعلّق عليهما بقوله : « رواهما ابن الأنباري لمعاوية»[٦٦] ونسب بعض الأبيات لقائليها ، وهي ليست في دواوينهم ، ومن ذلك قـول ذي الرمّة[٦٧] :

كأنـا تغنّى بيننا كل ليلـة جَداجِدُ صَيْف من صرير الأواخر

ونقل عن المازني قوله : « لم يصح عندنا أن الامام عليّاً تكلم من الشعر بشيء إلا هذين البيتين :

تلكم قريش تمنّاني لتقتلني فـلا وربّك ما برّوا وما ظفروا
فإن هلكتُ فرهنٌ ذمّتي بهم بذات وَدْقين لا يعفو لها أثر

وزاد رواية : « بذات روقين » ، وفسرهما[٦٨] •

غير أن الزمخشري نفسه استشهد بكلام منظوم نسبه لعلي ـ رضي ـ غـير هذين البيتين[٦٩] • ونسـب الأبيـات القافية في رثاء عمـر بن الخطاب : ـ رضي ـ :

عليـكَ سـلامٌ مـنْ أمـير وباركـت
يـدُ الله فـي ذاكَ الأديـمِ الممـزقِ

إلى الجن ، جرياً على ما ذكرت بعض مصادره[٧٠] ، والأبيات في اللسـان منسوبة للشماخ[٧١] •

---

(٦٦) نفسـه : ١٦/٤ (نقش) •
(٦٧) نفسـه : ١٩٨/١ ـ ١٩٩ •
(٦٨) نفسـه : ٩١/٢ ـ ٩٢ (روق) •
(٦٩) انظر فيما تقدم الاشارة الى عدد المواضع التي اورد فيها له شعراً •
(٧٠) الفائـق : ١٣٤/١ •
(٧١) اللسـان : ٣٥/١٢ (سوق) •

يسوق الزمخشري الشاهد الشعري لتأكيد صحة دلالة اللفظ ، وربما يسوقه لتأكيد الوجوه الإعرابية ، وأحياناً يورد الشاهد مستفيداً من جملة معناه ، وغرض الشاعر منه ، ومن النوع الأخير تفسيره للفظ «البعل» « هو النخل النابت ، فهو يجتزىء بذلك عن المطر والسقي »[٧٢] . فأراد الزمخشري أن يشير الى كيفية الاجتزاء عن المطر والسقي ، فوجده في شعر النابغة في مجمل بيته :

من الواردات الماء بالقاع تستقي
بأذنابها قبل استقاء الحناجر

فقال : « وإياه أراد النابغة في قوله :»[٧٣] . وليس في بيت النابغة لفظ « البعل » ولكن فيه كيفية شربه الماء .

وأما تأكيد صحة التركيب ، ففي قوله : « بله : من أسماء الأفعال يقال : بلهَ زيداً ، بمعنى : دعه واتركه ، وقد يوضع موضع المصدر فيقال : بله زيدٍ ، كأنه قيل : ترك زيدٍ .. وقد روي بيت كعب بن مالك الأنصاري[٧٤] :

تذر الجماجم ضاحياً هاماتها
بَلْهَ الاكفَّ كأنها لم تخلق[٧٥]

وأما تأكيد صحة دلالة اللفظ ، فقد فسر « مَلَخ » بأسرع ، والملاّخ السريع ، فوجد اللفظ دالاً على هذا المعنى في قول رؤبة :

معتزم التجليخ ملاخ الملق[٧٦]

« أي : سريع الملق » .

---

(٣٢) الفائق : ١/١١٨ (بعل) .

(٧٣) ديوان النابغة : ٤٦ .

(٧٤) ديوانه : ٢٤٥ .

(٧٥) الفائق : ١/١٢٧ (بله) .

٧٦) الفائق : ١/١١٦ ــ ١١٧ .

ومع أن الشاهد الشعري يسرده المؤلف تقويةً أو تأكيداً أو ترجيحاً ، أو توضيحاً لغامض ، أو تصحيحاً لوهم ، فقد برزت عناية أبي القاسم بدراسة الشواهد ، والتعليق عليها ، إذا ما وجد مناسبة تدعو لذلك ، ومن جملة ذلك اهتمامه بمصطلحات العروض والقوافي « كالأقواء »[٧٧] و « المتكاوس » و « المقروء والأقراء » و « العروض والضرب » و«التشطير والجزء وغيرهما» .

ومع ذلك فقد أهمل في بعض المواضع التي كان ينبغي له أن ينبه فيها على سوء النظم ، واختلال الموسيقى ، فقد روى ــ مثلاً ــ خمسة أشطار لكعب بن مالك أولها مرفوعة القافية :

لم يغذها مد ولا نصيف

وآخر مكسورة القافية :

تبيت بين الزرب والكنيف[٧٨]

وأهمل الاشارة الى ما فيها من إقواء . وفعل مثل ذلك في بيتين رواهما لفاطمة بنت النبي ــ ع ــ ، وقع فيهما إقواء ، فأهمل الاشارة اليه[٧٩] .

ولكن الزمخشري يفيض في مواطن أخرى في الايضاح والشرح والتبسيط بشكل يجعلنا نشك أننا نقرأ في كتاب تفسير غريب الحديث ، ومن ذلك قوله ــ بعد ان أورد رجزاً لخالد بن الوليد ــ رضي ــ وهو :

ضرَبْتُ بالمرسب رأس البطريق
بصارمٍ ذي هَبّةٍ فتيق[٨٠]

(٧٧) انظر مثلا : (قرأ) : ١٧٨/٣ و (كوس) : ٢٨٧/٣ .
(٧٨) الفائق : ١١٥/٤ (هنا) .
(٧٩) نفسه: ١١٦/٤ (هنيث) .
(٨٠) نفسه : ٥٦/٢ ــ ٥٧ (رسب) .

« بين ضَربي البيت تعادٍ ؛ لأنّ الضربَ الأول مقطوع مذال وهو قوله : « سلبطريق » نحو : « بلجهال » في قوله :

والخال ثوب من ثياب الجهال

والثاني : مخبون مقطوع ، وهو قوله : « فتيق » .

وكان الخليل لايرى مشطور الرجز ومنهوكه شعراً ، وكان يقول : هي انصاف مسجعة ، ولما ردّوا عليه قوله ، قال : لأحتجنّ عليكم بحجة إن لم تقروا بها كفرتم، فاحتج عليهم بأن رسول الله ــ ص ــ نُزِّه عن قول الشعر وانشاده ، وقد جرى على لسانه :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً
ويأتيك من لم تزوّد بالأخبار

فقد علمنا أن النصف الأول لايكون شعراً إلا بتمام النصف الثاني ، والمشطور مثل ذلك النصف . وقال ــ ص ــ :

هل أنت إلا اصبح دميت وفي سبيل الله ما لقيت

وهو من المشطور ، وقال ــ ص ــ :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبدالمطلب

وهو من المنهوك ، ولو كان شعراً لما جرى على لسانه ــ ص ــ ولما صحّ من مذهب الخليل ، وهو ينبوع العروض . أن المشطور ليس بشعر ، وأنه من قبيل السجع لم يكن ذلك التعادي مطرقاً عليه للزراية » .

مما تقدم يتبين لنا أن الشاهد الشعري عند الزمخشري ــ في فائقه ــ لم يكن دعماً لتفسيراته اللغوية ، وتخريجاته النحوية ، فحسب بل كان بحثاً في العروض والقوافي، وأخبار الأدب والشعر ، وهذا يؤكد لنا موسوعية هذا الكتاب ومنافعه العلمية الجمة .

المثل العربي نصٌ لغوي متميز من سائر نصوص اللغة بظواهر لهجية تجعله ذا خصائص وسمات ، لايمتلكها الشعر العربي ، ولا الفصحاء والبلغاء من أبنـاء اللغـة •

والمثل عبارة مركزة موحية ، تقدم للناس خلاصة تجـارب شعب أو مجتمع ، أو فرد ، ومن البدهي أن تكون هذه العبارة الموحية ذات أسلـوب مسبوك مصوغ صياغة عربية أصيلة ، وبمفردات لها مسـاس بمـوضوع التجربة ، ومن هنا يتضمن المثل « تراكيب » خاصة كما يتضمن « مفردات » أشبه بأن تكون نوادر وغرائب ، تحتاج الى الكشف عن مضمونها بدقة •

فمن التراكيب المتميزة استعمال (وا) الندبة في التعبير عن طلب الشيء والاستزادة منه ، وقد استعملها أبو بكر ـ رضي ـ : « كان يوتر من أول الليل ، ويقول : واحرزا وأبتغي النوافلا »[٨١] ـ قـال الزمخشري « وألف واحرزا ، منقلبة عن ياء الإضافة ، كقولهم : يا غلاما أقبل ، وهذا مثل يضربه الطالب للزيادة على الشيء بعد ظفره به ، فتمثل به لأداء صـلاة الـوتر ، وفراغ قلبه منها ، وتنفله بعد ذلك » •

ومن التراكيب الغريبة المثل المشهور : « عسى الغوير أبؤسـا »[٨٢] ، اذ أدخل « عسى » على الاسم والخبر ، وهما اسمان • والمثل : «مكرهأخاك لا بطل » ، إذ أورد « أخاك » منصوبة وحقها الرفع[٨٣] •

أما مفردات الأمثال ، فيغلب عليها كما سبقت الاشارة غرابة اللفظ ، وندرته في الاستعمال ، ومن ذلك : « اسفل فيك »[٨٤] • و «اكرشي»[٨٥]

---

(٨١) الفائق : ٢٧٤/١ •

(٨٣) نفسـه : ٧٩/٣ (غور) و ٨٠/٣ (غوى) • والمثل في المستقصى : ١٦١/٢ بالرقم : ٥٤٦ وانظر تحليله اللغوي وتفسيره هناك •

(٨٣) شرح ابن جمعة على ابن معط : ٩١١/٢ والمثل في المستقصى : ٣٤٧/٢ « مكره اخوك لا بطل » بالرقم/١٢٧٠ •

(٨٤) الفائق : ٤٢٢/١ (درد) •

(٨٥) الفائق : ٤/٢د ; رسس

و « أعن صبوح ترقّق »[٨٦] • و « العكر » بمعنى : الأصل الرديء[٨٧] ، أو الديدن والعادة ، و « عنيّة »[٨٨] •

استعمل الزمخشري المثل تقوية لدلالة ، أو تأكيداً لورود استعمال في كلام العرب ، أو تصحيح صيغة ، ورد مثلها في الحديث أو الشعر ، أو كلام الناس ، فيأتي المثل شاهداً على مثل ذلك •

فمن تأكيد استعمال الصيغة والمعنى أن الحديث : «لا يَفْضُضِ الله فاك » جاء شاهداً على أن معنى الدرد سقوط الأسنان في داخل الفم ، وهو الذي يراد به فض الفم ، فأردفه بالمثل تأكيداً فقال : « ومثل العرب متى عهدك بأسفل فيك »[٨٩] •

ومن إرادة دلالة المثل والإعتبار بـه ما فعله في تفسير حديث علي — رضي — أنه سافر رجل مع أصحاب له فلم يرجع حين رجعوا ، فاتهم أهلهُ أصحابَه ، فرفعوهم إلى شريح ، فسألهم البيّنة على قتله ، فارتفعوا الى علي — رضي — فأخبروه بقول شريح فقال علي :

أوردها سعـد وسعدٌ مشتمل   يا سعد لا تُروى بهذاك إلا بلْ

ثم قال : « إن أهون السقي التشريع » ثم فرق بينهم ، وسألهم فاختلفوا ثم أقروا بقتله، فقتلهم به »[٩٠] •

قال الزمخشري : « والمثلان مشروحان في كتاب المستقصى والمعنى : كان ينبغي لشريح أن يستقصي في النظر والاستكشاف عن خبر الرجل ، ولا يقتصر على طلب البينة » •

ومن تبيين دلالة المفردة ، وورود لفظ « عَنيّة » في الحديث ، فقال : « هو بول فيه أخلاط تطلى به الإبل الجربى » • فأكد هذه الدلالة بما ورد

---

(٨٦) نفسه : ٧٨/٢ (رقق) .
(٨٧) نفسه : ١٩/٣—٢٠ (عكر) .
(٨٨) نفسه : ٣٥/٢ (عنا) .   (٨٩) الفائق : ٤٢٢/١ (درد) .
(٩٠) الفائق : ٥٤/٤ (ورد) . انظر : المستقصى : ٤٣٠/١ المثل : ١٨٢٦ والمثل الثاني « أهون السقي التشريع » جـ١/٤٤٤/١ المرقم : ١٨٧٩ .

في المثل قال : « ويقال في المثل عنيّة تشفي الجرب »[٩١] .

ومثله قوله في معنى « عكرهم » الـواردة في الحديث ، قـال : « أي : أصلهم الرديء »[٩٢] ، وعضّد هذا المعنى بقوله : « وفي أمثالهم : عادت لعكرها لميس ، ولعترها »[٩٣] وأكد المعنى ببيتين رواهما الأصمعي ، ثم نقل قول أبي عبيدة بأن « العكر : الديدن والعادة » .

و ــ كثيراً ــ ما يورد الزمخشري المثل مستشهداً به ، ويحيـل فـي شرحه وسبب التمثيل به ومضربه على كتابه المستقصى ، من ذلك قوله في حديث عثمان ــ رضي ــ :« كل شيء يُحِب» ولده حتى الحبارى » قال : « خصّها ، لأنها موصوفة بالموق ، وقد شرحت ذلك في كتـاب المستقصى من أمثال العرب »[٩٤] . وقد يشرح معناه بنفسه ، ويعطي مضربه دون الاحالة كما تـرى في قوله : « لكل أناس في جملهم خبر » قال :« ورُوي : في بعيرهم» فأعطى رواية ثانية له ، ثم قال :« وهو مثل يضرب في معرفة القوم بصاحبهم ، ويريد أن قومه لم يسوّدوه إلا لمعرفتهم بشأنه »[٩٥] .

وقد يضيف الى الشـرح ، أول من قال به ، ومناسبته ، والقصة التي واكبت أحـدائه ، ومثل ذلك تفسيره المثل « عسى الغوير أبؤسا » فقد استشهد به عمر ــ رضي ــ . فتناوله الزمخشري بالشرح ، فأعطى معنـى الغوير ، وهو ماء الكلب ، والأبؤس ، ثم قال : « وهذا مثل أول من تكلم به

(٩١) نفسه : ٣٥/٣ (عنا) وجمهرة الأمثال : ٤٩/٢ .
(٩٢) نفسه : ١٩/٣ ــ ٢٠ (عكر) .
(٩٣) مجمع الأمثال : ٣٠٥/١ ، وكذا في المستقصى : ١٥٥/٢ وفي المصدرين : بروايتين .
(٩٤) الفائق : ٢٥٥/١ (حبر) . وينظر المستقصى : ٢٢٧/٢ ، المثل : ٧٦٨ وتتمته : « هي أموق الطير » .
(٩٥) نفسه : ٢٣٣/١ (جمل) و ١ / ٣٩٩ و ١ / ٢٤٠ و ٢ / ٦٤ و ٢٠١/٢ وانظر المثل وتفسيره في المستقصى ٢٩١/٢ .
(٩٦) الفائق : ٧٩/٣ (غور) وانظر : ٨٠/٣ (غوى) . و ٥٩/٢ (رسس) .

الزباء : الملكة ، حين رأت الأبل عليها الصناديق ، فاستنكرت شأن قصير ، إذ أخذ على غير الطريق .. » الخبر[٩٥] .

وبذلك يصبح « المثل » في كتاب الفائق جزءاً مهماً من تركيبته الأدبية الممتعة ، ومصدراً من أهم مصادره التي أمدّته بالمادة اللغوية وتفسيرات الدلالة للمفردات .

٥ ــ أقوال الفصحاء والبلغاء من العرب :

يضم هذا الجانب من كلام العرب نصوص الخطب ، والمحاورات ، وسجع كهانهم ، وأقوال أفراد من قبائلهم المشهود لها بالفصاحة ، كقريش وهذيل وطيء وكنانة وثقيف وسعد ، ففي حديث : « مَنْ سيدكم يا بني سلمة ؟ ورد لفظ « الداءة » ففسرها المؤلف ، ثم عضد القول بكلام بعض الأعراب : « كحلني بما تكحل به العيون الداءة »[٩٧] .

وفي الحديث الآخر ورد لفظ « المشعوف » ، وهو الذي أصيب شعفة قلبه ، وهي رأسه عند معلق النياط ، بحبٍّ أو ذعر أو جنون . قال : « وأهل حجرو ناحيتها يقولون للمجنون مشعوف »[٩٨] .

وقد ينسب القول الى عامة العرب دون أن يخصص قوماً منهم وذلك نحو : « مالي عهد بأهلي مذ عفّار النخل » قال : والأصل قولهم : « مقيته من عُفّر » ، إذ القينة بعد انقطاع اللقاء خمسة عشر يوماً فصاعداً من الليالي العفر ، وهي البيض ، تقول العرب : « ليس عفر الليالي كالدءاديء »[٩٩] .

ومثله قوله في حديث أبي بن كعب ــ رضي ــ قال : « كان على بعير ، وهو يقول : يا حدراها يا حدراها » فوجد الزمخشري قول أبي غريباً ؛ لأنه استعمل الضمير (ها) عائداً على البعير وهو

---

(٩٧) الفائق : ٤٤٤/١ (دوا) .

(٩٨) نفسه : ٨٧/٣ (شعف)ــ .

(٩٩) نفسه : ٧/٣ (عفر) .

مذكر ، فقال : « وأراد بالبعير : الناقة ، وفي كلامهم : حلبت بعيري وصرعتني بعير لي »[١٠٠] • فأشار الى كلام العرب بقولهم « وفي كلامهم »، وربما أشار الى العرب بقوله : « يقولون » أو « قالوا » أو « قولهم » ونحوه قوله : « لاينكف : لاينقطع ، ولا يبلغ آخره ، يقولون : رأينا غيثاً ما نكفه أحد ، سار يوماً ولا يومين »[١٠١] •

ومن الأقوال الفصيحة التي يستفيد منها شاهداً ومثالا سجع الكهنة، وذلك نحو قوله في مادة « كذن » من حديث ابن غزوان — رضي — الذي ورد فيه لفظ «العكاك» فقال : « العكاك جمع عكة ، وهي شدة الحر مع الرمد ، ومنه قول ساجع العرب اذا طلع السماك ذهب العكاك وقل على الماء اللكاك »[١٠٢] •

أما الأفراد الفصحاء فهم جملة كبيرة من مصاقع الخطباء ، وفحول الشعراء والفرسان ممن عرفوا بفصاحة اللسان ونصاعة البيان ، وكثرت لهم أقوال في كتب النحو والصرف والبلاغة ، من أمثال عمرو بن معدي كرب الزبيدي ، والخنساء الشاعرة السلمية والأحنف بن قيس ، وأكثم بن صيفي ، والحجاج بن يوسف وزياد بن أبي سفيان ، وابنة الخُسّ وأمّ الهيثم وسحبان وائل وورقة بن نوفل ، وعبدالملك بن مروان ، ويحيى بن يعمر ، والفريعة بنت همام أم الحجاج ، وأم قتال بن نوفل أخت ورقة ، وفارعة بنت أبي الصلت أخت أمية ، والسائب بن الأقرع ، وغيرهم ممن تضمنهم كتاب الفائق ، واستعان بأقوالهم ، وعضد تفسيراته بها •

(١٠٠) الفائق : ٢٦٥/١ — ٢٦٦ (حدر) وانظر ٢٥٣/٣ (كرش) •

(١٠١) نفسه : ٢٦٤/١ (حدد) •

(١٠٢) نفسه : ٢٥٣/٣ (كذن) •

ومن ذلك استشهاده بقَوْل الخنساء في تفسير « الارتثاث » ، قال : هو « أنْ يُحْمَلَ من المعركة ، وهو ضعيف ، قد أثخنته الجراحات من الرثة ، وهم الضعفاء من الناس » « ومنه قول الخنساء : أترونني تاركةً بني عمّي ، كأنهم عوالي الرماح ، ومرتثّة شيخ بني جشم »[١٠٣]. فدلّت على معنى الضعف والفتور .

وبذلك تكوّن أقوال الفصحاء رافداً ثراً من روافد إمداد الكتاب بالنصوص اللغوية وتفسيرات المواد .

(١٠٣) نفسه : ٣١/٢ (رثيثا) وانظر : حـ٤ ص ٤٥ .

الفصل الثالث
مصادر الكتاب
مصادر الزمخشري في الفائق

ترد خلال التفسيرات اللغوية للزمخشري أسماء كتب في اللغة ومعجماتها ، وفي النحو ، وفي الأمثال والأدب والتاريخ والفقه والعروض، مما يدل على أنه كان يوثق كلامه بأقوال العلماء في مصنفاتهم ، كما يدل على التنوع الذي وسم به كتابه زيادة على أنه كتاب في لغة الحديث .

ويكثر الزمخشري من نسبة الأقوال الى علماء العربية والدين ممن اشتهروا في المصرين ـ البصرة والكوفة ـ فضلاً عن علماء الأمصار الاخرى كبغداد وشمال أفريقيا والأندلس ، ويمكن أن نلاحظ أهمية المصدر ـ خلال الفائق ـ من كثرة مراجعته ، والاعتماد على نصوصه ، والاشارة اليه ، فقد تكررت بعض مصنفات العلماء كثيراً ، كالمعجمات ، وذكر بعضها مرة واحدة أو مرتين .

ويشير الزمخشري ـ صراحة ـ الى قراءته مثل هذه الكتب ، بمثل قوله : « وقرأت في بعض كتب عبدالحميد الكاتب الى جند أرمينية ، وقد اتتفضوا على اليهم وأفسدوا ...»[1] وبنحو قوله : « وكان السّخد على وجهه ، هو الماء الغليظ الأصفر الذي يخرج مع الولد ؛ اذا تنج .. ختم به ثعلب كتاب الفصيح ، قيل : إنه تعريب سخنه »[2] .

ونحو قوله : « ورأيت في تهذيب الأزهري ـ بخطة ـ السين مضمومة في اسم القرية ، والثياب المنسوبة اليها .. » [3] .

---

(1) الفائق : ١٢٠/٤ (هوش) .
(2) نفسه : ١٦٦/٢ (سخد) .
(3) نفسه : ١٥٨/٢-١٥٩ (سحل) .

ونحو : « الركيب : الراكب ، ونظيره ما ذكره سيبويه في قولهم ضريب قراح لضاربها ، وصريم للصارم ، وعريف للعارف في قول طريف بن تميم العنبري :

بعثوا إليّ عريفهم يتوسم »(٤) .

فأمثال هذه النصوص لا تتأتى له بتل هذا الضبط ، إلا بالرجوع الى مصنفات علماء اللغة والأدب والتاريخ : لينقل عنهم ، نقلاً أميناً موثوقاً كما هو شأنه في كتبه الأخرى .

ونودّ فيما يأتي أن نقف مع الزمخشري وهو يستخدم هذه المصادر لنتبين من خلال ذلك، كيف استفاد الزمخشري منها :

أولا : الكتب :

يكثر الزمخشري من ذكر مصادره من الكتب التي رجع اليها في نقل آراء العلماء ومذاهبهم اللغوية ، ولقد برز من بين تلك الكتب ، كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٥هـ) ، وهو يصرّح بنسبته الى الخليل ، مما يدل على عدم شكه في نسبته اليه ، وكتاب سيبويه (١٨٠هـ)، وكتاب مناظر النجوم ،لابن قتيبة : (٢٧٦هـ) ، وكتاب (التكملة) للبشتي الخارزنجي (٣٣٥هـ) وتهذيب اللغة للأزهري : (٣٧٠هـ) والمسائل العسكريات لأبي علي الفارسي (٣٧٧هـ) ، وكتابه (التكملة) وكتاب المسائل القصريات ، وكتاب المقامات للبديع الهمداني (٣٩٦ هـ) وكتاب المقامات ــ أيضاً ــ للحريري (٥١٦هـ) .

وهذه الكتب المختلفة الموضوعات ، تكون زاده المعرفي والثقافي في كتابه الفائق .

أما كتب اللغة ، ككتاب العين ، وكتاب الأزهري ــ التهذيب ــ فيشكلان ركيزتين مهمتين من الركائز المعتمدة في الفائق ، فكثيراً ما يعوّل

(٤) نفسه ٢:/٨٠ (ركب) .

عليهما في تحقيق دلالة الالفاظ ، وضبط صيغها ، ويليهما في التعويـل والاعتماد كتاب سيبويه ، وسنـورد بعض أمثلة ذلك ، فيمـا سيأتي من المبحـث .

وترد نقول عن أئمة اشتهرت لهم كتب ، في اللغـة وغـريب الحديث بأسمائهم دون ذكر اسم الكتاب ، ومن ذلك :

قال : « اغترقها .. ومن رواه ــ بالعين ، فقد ذهب الى قـولهم: عرق الرجل الأرض عروقاً ، إذا ذهب ، وقد رواه ابن دريد ــ بالعـين ــ ذاهبـاً الى أنها تسبق العين ، فلا تقدر على استيفاء محاسنها ، ونسـب ذلك الى التصحيف ، فقال فيه المفجع :

ألست قدمـا جعلـت تعترق الطـرف بجهل مكـان تغتـــرق

وقلت : كأنّ الخباء من أدم وهو جبـاء يهـدي ويصطـدق[٥]

ومعجم ابن دريد اللغوي (٣٢١هـ) هو الجمهرة ، فلم يصرح به .

ونقل ــ أيضاً ــ عن الحيوان للجاحظ (٢٥٥هـ) ، فيما يتصـل بالابل وطبائعها وصفاتها ولم يصرح باسم الكتاب ، وكلامه من الحيوان[٦] .

وعلى الرغم من انه يقرن بين اسم المؤلف والكتـاب في مواطن كثيرة من الفائق ، نراه يكتفي في مواضع أخرى بذكر المؤلف حسب ــ كما نرى في النقل عن الخليل في أن (الطرف لا يثنى ولا يجمع)[٧] والنقل عن القتيبي في (غض الاطراف)[٨] .

---

(٥) الفائـق : ٥٩/٣ (غرق) والجمهرة (عرق) . وانظـر : المزهـر : ٣٦٦/٢ وسمط اللآلىء : ٤٢٢ ، وانظر ــ أيضا ــ الفائق : ٢٩/٢ عـن ابن الكلبي وابن دريد .

(٦) انظر : الفائق : ٣١/٣ (عنن) .

(٧) الفائق : ١٧٠/٢ .

(٨) نفسه : ١٠٧/٢ و ١٧٠ .

وربما ذكر بعض الشخصيات اللغوية ، لم تعرف إلا من طـريق كتب لغوية تداولها الناس كالعين أو التهذيب أو الصحاح ، من مثـل الليث بن المظفر ، وأبي الدقيش ، وشمر ، وأبـي عمرو الشيبانـي ، فنحو قوله : في الحديث : « أُتي بوشيقة يابسة .. قال الليث : الوشيق : لحـم يقدد حتى يقبّ ، أي ييبس ، وتذهب نُدُوَّته ، وقد وشَقْتُ اللحم أشقُـه وَشْقاً .. »[٩] . هو من العين ؛ لأن الليث هو الذي روى هذا المعجم .

وأهم الكتب التي اعتمد على مادتها اللغوية :

١ ـ كتاب العين : يذكره مرة باسم «العين» فيقول : « وفي كتاب العين: النخلة تعقر ، أي :يقطع رأسها فلا يخرج من ساقهـا شيء أبداً حتى تيبس فذلك العقر .. »[١٠] .

ويذكره في أحيان اخرى بقوله : « قال صاحب العين :القيروان دخيل معرب ، وهو معظم القافلة ، يعني : أنّه تعريب : كاروان ، وقد جـاء في الشعر القديم قال امرؤ القيس :

وغـــارة ذات قـــيروان   كأنّ أســـرابها الرعـــال

فيجوز أن يكون عربياً .. »[١١] .

واعتماد الزمخشري على كتاب العـين يدل على توثقه منه ، واعتقاده صحة ما أورد من تفسير للمواد ، بل يدل ـ اكثـر من ذلك ـ على صحة نسبة الكتاب الى الخليل ، على الرغم من أنّ ثمة شـكاً في نسبـة هـذا الكتاب اليه ، جملة أو أجزاء منه .

(٩) الفائق : ٦١/٤ (وشق) و ٣٤٥/٣ (هجر) .

(١٠) نفسه : ١٢/٣ عقر ، ٣٣/٣ (عنن) و ١٠٨/٣ (فرسـك)و ٦٠/٣ (غرقد) و ١٣٧/٢ (زهو) .

(١١) نفسه : ٢٤٠/٣ (قير) و ٢٠٣/٣ و ٩٢/٢ (روق) .

٢ ــ تهذيب اللغة للأزهري : يعتمد الزمخشري على التهذيب بشكل واضح ــ كثيراً ــ فيذكر التهذيب في بعض تقوله ، وربما يكتفي بـ « قال الأزهـري » •

ومما يدلُّ على اعجابه الكبير بمادة التهذيب أنه يكتفـي في الكثير بتفسير الأزهري دون أن ينقل معــه نصوصاً أخرى من تفسيرات اللغويين الآخرين ، ومن ذلك الحديث : « تجدون الناس كالابل المئة ليست فيهـا راحلة » • قال الأزهري : الراحلة البعير الذي يرتحله الرجـل جملاً كان أو ناقــة »[١٢] •

وكذلك في نحو الحديث : « الظهم الخلق : قـال الأزهــري : ولم أسمعه إلا في هذا الحديث »[١٣]. واكتفى بهذه العبارة ولم يعلق بشيء •

٣ ــ كتاب سيبويه : أكثر النقل من كتاب سيبويــه في موضوعات « البنى » و « الصيغ » ، كالمصادر والمشتقات ، و « التراكيب النحويــة ، وقواعد اللغة » • ومن ذلك قوله في صيغة « فُعَيْلِي » ــ مثقلة العين ــ: « جاء بها سيبويه في أبنية كتابه مع الخليطي والبُتَيْرَى »[١٤] •

وقوله : « وفي كتاب سيبويه : وتقول لمَنْ زكن أنه يريد مكة : مكةَ والله • وقال قعنب بن أم صاحب :

ولن يراجع قلبي ودّهــم أبـداً زكنت منهم على مثل الذي زكنوا

ضمَّنَ « زكن » معنى : « اطّلع » فعداه بتعديته »[١٥] •

٤ ــكتبه : ومن مصادره التي استقى منهـا قضايا اللغــة والنحو والأمثال كتابه : « المفصل » ، وهو كتاب في النحو والصرف ، وكتابه: « المستقصى » في أمثال العرب •

---

(١٢) الفائق : ٤٨/٢ (رحل) . والحديث في التهذيب : (رحل) : في تقليب (ح ل ر) .
(١٣) الفائق : ٣٨٣/٢ (ظهم) . وانظر : ٤٠٧/٣ (نجف) و ٤١٠/٣ (نجد) .
(١٤) الفائق : ٣٢٢/٣ (لغز) . وانظر : ٨٠/٢ (ركب) و ٩١/٢ (زوج) .
(١٥) نفسه : ١١٩/٢ (زكن) .

أما كتابه المفصل فقد أشار اليه في الكثير من المواضع التي عني فيها بمسائل النحو ، ومن ذلك قوله في (شَذَرَ مَذَر) : « أي : متفرقاً ، هما اسمان جعلا اسماً واحداً : شذر من التشذر ، ومذر ميمه بدل من باء ، من التبذير ، وهذا ونظائره متوفر عليها في كتاب المفصل »[١٦] .

وكما أحال على المفصل ، فقد أحال على المستقصى ، وذلك حين يروي مثلاً ، ويفسر جزءاً منه ، أو يقتضب الحديث فيه ، فهو يحيل على المستقصى للتزود والاستفاضة ، ومن ذلك قوله في المثل : « صدقني سن بكرة » : « أصله مذكور في المستقصى »[١٧] وقوله – بعد أن ذكر قصة الفريعة بنت حمام ، أم الحجاج ، وهي القائلة :

هل من سبيل الى خمر فأشربها ... أم من سبيل الى نصر بن حجاج

قال : « وقصتها مستقصاة في كتاب المستقصى »[١٨] .

٥ – كتب متفرقة وفي فنون متنوعة :

ذكر الزمخشري خلال عرض مواد الفائق كتباً متنوعة ، مختلفة المعارف والفنون ، ومن هذه الكتب « المغازي » والسير[١٩] ، ومناظر النجوم لابن قتيبة[٢٠] ، والأنساب لابن الكلبي[٢١] ، وفصيح ثعلب[٢٢] ، والمقامات ولم ينسبه[٢٣] ، و « المسائل القصْريات » لأبي علي الفارسي[٢٤] ، و « التكملة » وقد ذكره بعبارة « أثبت صاحب التكملة » وهو نص لغوي

(١٦) نفسه : ١١٦/٢ (زفل) وانظر : ٢٢١/٢ (سلح) .
(١٧) نفسه : ٢٣٧/٣ (قهز) .
(١٨) نفسه : ٣٩١/٣ (منى) وانظر : ٢٨٤/٣ (كوم) و ١١٩/٢ و ٣٠٨/٢ (صك) .
(١٩) انظر مادة (نطو) :٤٤٣/٣ .
(٢٠) مادة (عوه) : ٣٧/٣ .
(٢١) الفائق : ١٢٩/٢ (زور) .
(٢٢) نفسه : ٣٧/٢ (صقب) و (سخد : ١٦٦/٢) .
(٢٣) نفسه : ٢٢٥/٣ (قمع) .
(٢٤) نفسه : ٢٥١/٣ (كذب) .

يغلب أن يكون من تكملة الخارزنجي[٢٥] • وقد نكتفي بعبارة : « قرأت في رسائل ••» و « قرأت في بعض كتب التواريخ ••»[٣٦] •

ولو تحرينا العلوم التي تضمنتها هذه المؤلفات لرأيناهـا في مختلف المعارف اللغوية والتاريخية والأدبية مما يؤكد الظاهرة الموسوعيـة لكتاب الفائـق •

ثانيا : الشخصيـات :

الاعلام الذين يتردد ذكرهم خلال الفائق كثيرون يعدون بالمئـات ، غير أن نسبة الاعتماد عليهم تتفـاوت قلة وكثرة بحسب أهمية النصوص المنقولة عنهم ، وصلتها بالمادة المفسرة •

وهـذه النصوص المنقولة مختلفة المناحي والاتجاهات ، والفـوائد العلمية ، فمنها : في الفقه ، ومنها : في اللغة ، ومنها: في التأريخ ، ومنها : في الآداب ، وفي القراءات والحديث والتفسير وغيرها •

فنحو قوله : « وعن السدّي في تفسير هذه الآية ••»[٣٧] يدلنا النص على أنه اعتمد على كتاب تفسير له • وفي نحو : « وقـد ذكر الـزبير بن بكار من ولد معد بن عدنان : نزار وقضاعة وعبيـد الـرمّاح وقنصا ، وقناصة •••» • نستدل به على أنه استمد مادته من كتاب له في تاريخ[٣٨] الأنساب •

ونحـو قوله : « أبو عبيـد ، قال في الحديث : التسمـير بمعنى الأرسال » : « المعروف في العربية ــ بالشين ــ من شمـرت السفينـة

(٢٥) نفسـه : ١٧١/٢ (قرم) •
(٢٦) نفسـه : ٣٤٠/٢ (ليث) و ١٢٠/٤ (هوش) •
(٢٧) نفسـه : ١٧٦/٣ (قرقر) •
(٢٨) الفائق : ٩٣/٢ (سلح) •

وغيرها »[٢٩] : ان كلامه من كتاب « غريب الحديث » • وقوله :« هكذا فسر القتيبي » يعني به أنّه من كتابه : « غريب الحديث »[٣٠] •

وربما كان ورود الأعلام خلال تفسيراته مما لم يقصد اليـه ، وانما يردون خلال النصوص التي ينقلها من مصادره ، فنحو قولـه : « أثبت صاحب التكملة قرم البعير فهو قرم ، اذا استقرم •• » هي عبارة البشتي الخارزنجـي من تكملته ولكنـه حين قال : « واحتج لصحتـه بقـول سيبويه •• »[٣١] أورد اسم سيبويه خلال نصه من التكملة ، ومثل هـذا كثـير ، وحين يورد الزمخشري اسم العلم من غير أن ينسب كـلامه الى مصنف من مصنّفاته يبقى الاحتمال بين أمرين • أولهما : أنه نقلـه من تصنيف قريب من موضوعه ، وهو غريب الحـديث ، أو من كتاب لغوي معنيّ بعامة اللغة ، والاحتمال الثاني هو الأرجح ، ففي العين والتهذيب ، والجيم ، والبارع ، والمحيط ، والمحكم وغيرها من المعجمات التي سبقت عصر الزمخشري حشد كبير من النصوص والتفسيرات لدلالات المفردات ، في القرآن والحديث والشعـر وكلام العرب ، وهي متـوفرة بين أيدي المؤلفين ، ومن هنا يكثر نحو : « قال ابن الأعرابي : البطاقة ، الـورقة ، ورووي : النطاقـة ــ بالنــون ــ وقال شمر : هي كلمـة مبتذلة بمصر ، وما والاها ، يدعون بها الرقعة الصغيرة المنوطة بالثوب التـي فيهـا رقم ثمنــه •• »[٣٢] •

ونحوه : « قال أبو حاتم : التنور ليس بعربي صحيـح ، ولم تعرف العرب لهاسماً غيره ، فلذلك جاء في التنزيل ، لأنهم خوطبوا بما عرفـوا ،

---

(٢٩) الفائق : ١٩٨/٢ (سمر) •

(٣٠) نفسـه : ١٠٧/٢ (سجد) و ١٧٠/٢ (سدد) •

(٣١) نفسـه : ١٧١/٣ (قرم) •

(٣٢) نفسـه : ١١٧/١ (بطق) •

١٦٦/١ (ثغم) • و ١٧٨/١ (ثنط) •

وقال أبو الفتح الهمداني : كان الأصل فيه : نوّور ، فاجتمع وأوان وضمة وتشديد ، فاستثقل ذلك فقلبوا عين الفعل الى فائه ، فصار ونوّر ، فأبدلوا من الواو تاءً ، كقولهم : « تولج » في : « وولج »[٣٣] .

ومثل ذلك يقال في ورود اسم (النضر بن شميل) أو (المازني) أو (المبرد) أو (الجرمي) أو (الأصمعي) أو (يعقوب) او (ابي عبيد) أو (أبي عبيدة) أو (أبي زيد) او (قطرب) من اللغويين ، واسم (الشافعي) و (أبي حنيفة) و (محمد بن الحسن) و (مجاهد) و (الشعبي) و (الهروي) و (مالك) و (السدي) و (البخاري) وغيرهم من الفقهاء والمفسرين والمحدثين .

ولعلنا نستطيع أن نبرز أهمية هؤلاء الأعلام — في مختلف اختصاصاتهم — فيما قدّموا لكتاب « الفائق » من مشاركات بالآراء والمذاهب ، والمداخلات التي تضمنها ، بالكشف عن مقدار اعتماد المؤلف أبي القاسم عليهم ، من خلال الرصد الآتي لعدد المواضع التي ذكروا فيها .

ففي مقدمة اللغويين نجد الأصمعي عبدالملك بن قريب (٢١٦ هـ) قد احتل مكاناً كبيراً ، فبلغ ما نقل عنه من نصوص وتفسيرات لغوية مئة وأربعة وثلاثين موضعاً ، تلاه من بعده أبو عبدالله محمد بن زياد الأعرابي (٢٣١هـ) ، ثم سعيد بن أوس أبو زيد الأنصاري (٢١٠ هـ) ، فقد كان لابن الاعرابي سبعة وثمانون موضعاً ، وكان للأنصاري سبعة وسبعون موضعاً .

وتنخفض نسبة ورود الاعلام الآخرين الى مقدار الربع من نصوص الأصمعي كالذي نجده من نصوص منسوبة الى النضر بن شميل (٢٠٣ هـ) فقد بلغت ستة وثلاثين نصاً تزاد عليها خمسة نصوص تحت اسم « ابن

(٣٣) نفسه : ١٥٦/١ (تنر) وانظر قولا لأبي زيد وآخر لابن الاعرابي :
(٣٤) انظر : ٥٥/٤ و ١٢٤ من الفائق (ورك) و (هيج) .

شميل» ، ثم سيبويه (١٨٠هـ) في خمسة وثلاثين نصاً ، فالأزهري محمد بن أحمد أبي منصور (٣٧٠ هـ) في أربعة وثلاثين نصاً فأبي عمرو (١٥٤ هـ) ، ويريد به ابن العلاء ــ في ثلاثة وثلاثين نصاً ، وباسم (أبي عمرو بن العلاء ــ في ستة نصوص اخرى ، فالمبرد محمد بن يزيد بن عبدالأكبر الثمالي أبي العباس (٢٨٥ هـ) في واحد وثلاثين نصاً ، فأبي عبيده معمر بن المثنى الشيباني (٢١٣هـ) وتلميذه أبي عبيد القاسم بن سلام الهروي (٢٢٤هـ) ولكل منهما تسعة وعشرون نصاً ، وأضاف : أربعةعشرنصاً نسبها الى الهروي ، ولعله أراد به : أبا عبيد أحمد بن محمد بن عبدالرحمن المؤدب الباشاني الهروي صاحب الغريبين ، المتوفى سنة (٤٠١هـ) وهو الأمر الأرجح .

ثم يبرز موقع « مجاهد » المفسر الراوية ، وله ثمانية وعشرون موضعاً وأكثر النقل عنه في التفسير والفقه[٣٤] ، فالفراء يحيى بن زياد أبي زكريا (٢٠٧هـ) وله خمسة وعشرون موضعاً مختلفة الفوائد من لغة وتفسير وإعراب ودلالات كلمات ، ثم يعقوب ــ مطلقاً ــ ويريد به (ابن السكيت) المتوفى سنة : (٢٤٤ هـ) وكل النقول عنه لغوية دلالية ، يليه (الجاحظ) أبو عثمان عمرو بن بحر (٢٥٥هـ) بستة عشر موضعاً ، فالكسائي علي بن حمزة (١٨٩هـ) بخمسة عشر موضعاً في القراءات واللغة ، ثم يليه أبو حاتم السجستاني سهل بن محمد : (٢٥٥ هـ) بأربعة عشر موضعاً ، ومعظمها في التفسيرات اللغوية ، ومن ذلك قوله : « قال أبو حاتم : لم يدر الأصمعي ما الزلف ، ولكن بلغني عن غيره : أن الزلف الاجاجين الخضر »[٣٥] ، ويضاهيه بهذا العدد (الهروي) المذكور آنفاً ، ثم يأتي ثعلب أبو العباس أحمد بن يحيى (٢٠٠هـ ــ ٢٩١هـ) بثلاثة عشر موضعاً وغالبها في قضايا الدلالات ، وفصاحة اللفظ[٣٦] .

(٣٥) الفائق : ٨/٤ (نعف) .

(٣٦) أنظر : ٤/ص : ١١٢ (همى) .

أما ابو سعيد الضرير : (١٩٥هـ) ، والقتيبي ـ ويريد به عبدالله بن مسلم بن قتيبة ـ (٢٧٦هـ) فقد ورد لكل منهما اثنا عشر موضعاً .

ثم كان لكل من : أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي (١٥٠هـ) والشافعي محمد بن ادريس (٢٠٤هـ) وأبي عثمان المازني بكر بن محمد بن بقية (٢٤٨هـ) ، ومحمد بن المستنير قطرب (٢٠٤هـ) ، وعلي بن حازم اللحياني (٢١٠هـ) تسعة مواضع مختلفة الفوائد بحسب تخصصاتهم في اللغة والنحو والفقه ، ثم وليهم محمد بن القاسم أبو بكر ابن الأنباري (٣٢٨هـ) بثمانية مواضع ، ثم الخطابي أبو سليمان أحمد بن محمد بن ابراهيم (٣٨٨هـ) صاحب « معالم السنن »[٣٧] ثم عيسى بن عمر (١٤٩هـ) النحوي ،والليث بن المظفر (أواخر القرن الثاني) ، ولكل منهما ستة مواضع ، ثم الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٠هـ) وابن جني أبو الفتح عثمان الموصلي (٣٩٥هـ) ، وأبو علي الفارسي (٣٧٧هـ) نسب اليه أربعة أقوال باسم (أبي علي) وقولاً واحداً باسم (الفارسي)[٣٨] .

ثم ذكر أربعة أقوال ليحيى بن يعمر : (١١٧هـ) ، وثلاثة أقوال لأبي عمرو الشيباني ، اثنان منها تحت اسم : « الشيباني : ٢١٣هـ » والثالث تحت اسم أبي عمرو الشيباني ، ولست آمَنْ أن تكون بعض أقواله قد اندرجت تحت اسم : « أبي عمرو » ثم ذكر لجملة من اللغويين ، وعلماء الفقه والشريعة قولاً واحداً ، كيونس بن حبيب (١٨٠هـ) ، ثم لأبي عمر الجرمي : (٢٢٩هـ) قولين أحدهما باسم (الجرمي) والثاني باسم « أبي عمر الجرمي » ولأبي عمر الزاهد : (٣٤٥هـ) قولين أحدهما باسم (أبي عمر) والثاني باسم : (الزاهد) .

(٣٧) كشف الظنون : ١٠٠٥/٢ .
(٣٨) الفائق : ٢٣٦/٢ .

ومما تقدّم يمكن الخلوص الى ما يأتي :

١ – إن أكثر نقوله ومصادره هم رجال اللغة كالأصمعي وأبي زيد والنضر وابن الاعرابي وسيبويه والأزهري وأبي عمرو بن العلاء وغيرهم .

٢ – إن معظم المتقدمين ممن عوّل عليهم هم من رجال البصـرة ، والقليل منهم كوفيون .

٣ – إنه رجع الى كتب الفقهاء ، والمحدثين فاستعان بها على الأمور الفقهية والشرعيـة .

الفصل الرابع
الظواهر العلمية
في الفائق
الموسوعة العلمية والمعرفية

لقد أشرت في أكثر من موضع من هذا البحث أن المؤلف لم يكد يجعل كتابه في تفسير لغة الحديث ، ويقف عند هذا الغرض ، بل تعدى هذه المهمة الى التنويع، وحشد الفوائد المختلفة ، وأشهر هذه الفوائد التي تضمنها الكتاب هي :

١ ــ الفقه ، واحكام الشرع :

يعرض الزمخشري لمذاهب علماء الحنفية الذين يعنيهم بقوله ــ أحياناً ــ بلفظ : « أصحابنا » ، من نحو قوله : « ألغى طلاق المكره »: أي : أبطله ، وجعله لغواً ، وهذا مما يعضد مذهب الشافعي ــ رح ــ وعند أصحابنا يقع طلاقه ، واعتمدوا حديث صفوان بن عمرو الطائي وامرأته »[1] .

ومثلما استقصى المؤلف أمثلته وشواهده ، ورواياته في تفسير المفردات حاول في أعطاء المذاهب والآراء الفقهية أن يستقصيها برواياتها ، ومن ذلك ما ذكره حول اتخاذ سن من ذهب بديلاً عن السن الناغضة ، فقد ورد في حديثعرفجة بن سعد ــ رضي ــ أنه « أصيب أنفه يوم الكلاب في الجاهلية، فاتخذ انفاً من ورق ، فأنتن عليه ، فأمره النبي ــ ص ــ أن يتخذ أنفاً من ذهب » فاتخذ المجيزون اتخاذ السن من الذهب هذا الحديث

(١) الفائق : ٣٢٢/٣ (لفا) . وانظر : ١٠٨/٢ (زرم) «في بول الغلام» .

حجة ، قال « استشهد به محمد ـ رحمه الله ـ على جواز شد .. وعن أبي حنيفة ـ رح ـ في الذهب روايتان ... وعن عمر بن عبدالعزيز ـ رح ـ أنه كتب في اليد إذا قطعت أن تحسم بالذهب و ..»[٣] .

وربما ذهب مذهب المصر دون أن ينسب القول الى فقيه ، ومن ذلك ما قاله في نفل الغنائم : « والتنفيل إنما يصح باجماع من أهل العراق والحجاز ، قبل : القسمة ، فإذا أحرزت الأضباط سقط ، وأهل الشام يجوزونه بعد الإحراز ، وأما التنفيل من الخمس فلا كلام في جوازه»[٣] .

والفقهاء يحتجون بأحاديث النبي ـ ص ـ فإذا وجد المؤلف مناسبة لذكر الحديث المحتج به نبّه عليه ، وعلى من احتج به من الفقهاء ، ومثل ذلك كثير ومنه حديث أبي هريرة ـ رضي ـ : « صلّ العشاء إذا غاب الشفق وادلامّ الليل من هنا ما بينك وبين ثلث الليل ..» قال : « من هنا ، أي : من قبل المغرب ، وهذا الحديث حجة لأبي حنيفة ـ رحمه الله ـ في اعتبار الشفق الأبيض »[٤] .

ويحرص الزمخشري على التفصيل في مذاهب الفقهاء وبيان وجهات نظرهم ، ففي حديث عمر ـ رضي ـ ذكر « الربّى » وهي الناقة التي في البيت لأجلبنها ، أو هي التي تكون حديثة النتاج ، هل عليها صدقة ، قال : « هذا بعضد مذهب زفر ومالك رحمهما الله ـ تعالى ـ ؛ لأنهما موجبان في الحملان ما في الكبار .

وعند أبي يوسف والشافعي ـ رحمهما الله ـ تعالى ـ ، فيها واحدة منها أما أبو حنيفة ومحمد رحمهما الله ـ تعالى ـ فلا يريان فيها شيئاً ..»[٥] .

---

(٢) نفسه : ٢٧٥/٣ (كلب) وانظر : ٧٧/٢ ـ ٧٨ و ١٠٧ ـ ١٠٨ و «قضية مهر المراة » : ٦٥/٤ ـ ٦٦ .

(٤) الفائق : ٤٣/١ (دلم) .

(٥) نفسه : ٥٧/٣ (غذا) وانظر : ٢٤٥/٣ (كبر ـ في عدد السجدات) .

غير أنه في مواضع كثيرة من الكتاب يكتفي بالحكم العام ، أو بإعطاء رأيه الذي يوافق ــ غالباً ــ الأحناف ، ومن ذلك قوله في « العمرى والرقبى » « واعلم أن من ملك ذاك في حياته ، فهو لورثته من بعده »[٦] . أو ينسبه الى الأصحاب ، فيقول : « وحمل أصحابنا النصح على الصب" وبالصب" يطّهر عندهم »[٧] .

وأخيراً فإن من منهج الزمخشري أن يــورد مــع الحديث الحجة تفسيرات لغوية ، وبيان مناسبة قول الحديث ، وتعضيده بأحــاديث أخرى حتى يتبين من خلال ذلك الحكم الشرعي المترتب على النصوص المــروية ، ومن ذلك حديث القصر في الصلاة ، ومسافة الأرض التي يجــوز فيهــا ذلك ، فقد ذكر حديث ابن عباس حين سأله أبو خيرةَ : « أقصر الصــلاة إلى الأبلّة » . قال له ابن عباس : « تذهب وترجع من يومك » قال أبــو خيرة « نعم » قال ابن عباس : « لا إلا يوماً متاحاً » . فقــال الزمخشري مفسراً « أي : لاتقصر إلا في مسيرة يوم طويل ، وكأنه أراد اليــوم مــع ليلته ، وهذه سفرة مالك .

وعن الشافعي : أربعة برد ، والبريد أربعة فراسخ ، ونحوه ما رووا عن ابن عباس أنه قال : يا أهل مكة لا تقصروا في أدنى من أربعــة بــرد من مكة الى عسفان . وعند السفر تقدر بثلاثة ايام ولياليها .

وعن أبي حنيفة ــ رح ــ : يومان ، وأكثر اليوم الثالث في روايــة الحسن بن زياد اللؤلؤي ــ رح ــ »[٨] .

لقد حرص المؤلف على الوقوف بشكل دقيق على الأمور الفقهيــة وأحكام المعاملات والعبادات والسلوك فبينها ــ جميعاً ــ ونسب كل قول

---

(٦) نفسه : ٢٥/٣ ــ ٢٦ (عمر) و ٩٠/٣ (فجر) .
(٧) نفسه : ١٠٧/٢ ــ ١٠٨ (رذم) .
(٨) الفائق : ٣٤٤/٣ (متح) .

أو رأي الى صاحبه ، ولم ينس أن يعطي رأيه في بعضها ، ولذلك جاء كتابه مظنة لأمور الشرع مبينة واضحة ، ومسندة الى ما يقويها ويؤكدهـا من الأحاديث والآثار •

٢ ــ الأنساب والرجال :

من الفوائد التي يضيفها المؤلف الى كتابه عنايته بالرجال من محدثين ، أو علماء لغة ، أو أصحاب مواقف ، في السياسة والاجتماع والتربيـة ، فيشير الى جهودهم ، ويحقق في أنسابهم ، ويعنى بقبائلهـم وعشائرهـم وأفخاذهم ، ويعلّل أسباب شهرتهم وبروزهم •

وهذا الجانب من منهج المؤلف يمثل جزءاً مهماً من موسوعـة المعارف التي اتصف بهـا الفائق •

والذي يدعو المؤلف الى الاهتمام بمثل هذه الأمور أنه يستثمر المناسبة اللغوية ذات الصلة بالاسم العلم ، فمادة (فطم) ــ مثلاً ــ تفرض عليـه نوعاً من العناية بسرد اسماء « الفواطم » ، فإن لم ترد مناسبة في المـادة ، عرض لها في مادة أخرى يجد لها مناسبة مؤاتية ، كما ترى في مادة (سير) ، لورودها في قوله ــ ص ــ : « إجعله خمراً أو أقسمه بين الفواطم »[٩] قال : « الفواطم : فاطمة الزهراء البتول ــ ع ــ •• وفاطمة بنت أسـد بن هاشم زوج أبي طالب ــ رضي الله عنها ــ أم علي وجعفر وعقيل وطالب ــع ــ وهي أول هاشمية ولدت لهاشميٍّ ، وفاطمة أم أسماء بنت حمزة ــ رضي ــ •• وفاطمة بنت عتبة بن ربيعة وكانت قد هاجرت ، وأما فاطمة المخزوميـة جدة النبي ــ ص ــ لأبيه ، وفاطمة بنت الأصم أم خديجة ــ ع ــ فمـا أدركتا الوقت الذي قال فيه لعلي ــ رضي ــ ذلك »[١٠] •

---

(٩) الفائق : ٢١٤/٢ (سير) •

(١٠) نفسه : ٢١٥/٢ (سير) •

ولكنه في « مادة : عتك » وجد المناسبة قريبة لذكر « العـواتك » فذكرهن، وذكر مع كل واحدة منهن نسبها، وما تميـزت بـه مـن صفات وسلوك[11].

ولقد أعطى الزمخشري طبقات الناس وانتماءاتهم، فقسم العـرب على ست طبقات، قال: « والعرب على ست طبقات، شعـب كمضـر، وقبيلة ككنانة، وعمارة كقريش، وبطن كقصي، وفخذ كهاشم، وفصيلة كالعباس »[12] وهذه الطبقات تبدأ بالتناسل من الأجداد الأوائـل كمضر حتى تنتهي الى الابناء الذين يكوّنون فصائل كالعباس ومنه « العباسيون »، فمن صغر شأن العرب ولم ير لهم فضلاً على غيرهم » فهو الشعوبي[13].

وتتنوع عناية الزمخشري في الأنساب، بين نسبة أصول القبائل، أو نسبة رجالها، فمن القبائل ـ مثلاً ـ قوله: « رعل وذكوان: قبيلتـان من قبائل مسلم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان »[14].

ومن الرجال قوله في الحديث: « سلط عليهم فتى ثقيف ... » قال: « يعني الحجاج، وهو الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيـل بـن مسعود بن عامر بن معتب بن مالك بن كعب من الأحلاف من ثقيف »[15].

أما عنايته بصفات الشخصيات، فقد عرّف بالكثير منهم، وأشار الى ما عرفوا به من الألقاب والكنى، والانتساب، وهؤلاء جملة ممـن عنـي بهم:

---

(11) نفسـه: ٣٩٠/٢ (عتك).

(12) نفسـه: ٢٥٢/٢ (شعب). وانظر الكشاف في تفسير قوله ـ تعالى ـ: « يا ايها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعـوباً وقبائـل لتعارفوا » الحجرات: الآية/١٣، فقد ذكر هناك ما فسره هنا.

(13) نفسـه: ٢٥٣/٢ (شعب). وانظر: اساس البلاغة (شعب).

(14) الفائق: ٢٢٧/١٣ (قنت). و ١١٥/٣ (فزع).

(15) نفسـه: ١١٠/٣ (فتى).

- تعريفه بـ « عبدالمطلب » : « اسم عبدالمطلب : عامر ، وانما قيل له : شيبة الحمد لشيبة كانت في رأسه حين ولد • وعبدالمطلب ، لأن هاشماً ••• الخ»[١٦] •
- أبو كبشة : « هورجل من خزاعة خالف قريشاً في ترك الأوثان ، وعبادة الشعرى العبور ••»[١٧] •
- قيل للحارث الحميري : الرائش ؛ لأنه أول من غزا فراش الناس بالغنائم •• »[١٨] •
- « كان يقال لبشار : المرعّث ، والرَّعْثة والرَّعَثَة : القرط ••»[١٩] •
- « الزِّنْيَة ـ بفتح الزاي وكسرها : آخر ولد الرجل ، ويقال لبني مالك بن ثعلبة : بنو الزنية من هذا »[٢٠] •
- في حديث قراءة الأشعري :« لحبَّرْتُها » : أي : حسَّنْتُ القراءة • « والتحبير : التحسين ، وكان طفيل الغنوي في الجاهلية يدعى : المحبّر لتحسينه الشعر »[٢١] •
- وقال في ابن الأعرابي اللغوي : « وعندي أنها مما رواه ابن الأعرابي ـ وهو الثقة المأمون ـ قال ـ »[٢٢] •

بمثل هذه الأقوال ، والتقويسات ، والإضافات يُقدِّم الزمخشري لقرائه جملة من الفوائد والمعلومات القيمة في الرجال والأنساب ، وصفاتهم وخصالهم •

---

(١٦) نفسه : ١٦١/٣ (فحل) •
(١٧) نفسه : ٣٢/٣ (عنتر) •
(١٨) نفسه : ٦٠/٢ (رشا) •
(١٩) نفسه : ٦٥/٢ (رعث) •
(٢٠) نفسه : ١٢٥/٢ (زنى) •
(٢١) نفسه : ١٢٣/٢ (زمر) •
(٢٢) نفسه : ٣٣٣/٢ (ضحى) •

٣ ـ الفوائد التاريخية والعلمية والجغرافية :

من الاهتمامات الظاهرة في الفائق إشاراتـه الـى الأخبار والأحداث التاريخية والمواضع والبلدان والتعريف بها ، والاضافات العلمية النافعة .

ترد مثل هذه الإشارات في مواضعها المناسبة للمادة اللغوية المفسرة، ويستطرد ـ أحياناً ـ في التفسير ، فيضيف فائدة الى فائدة ، ومن ذلك ورود لفظ « وجّ » في حديث عمر بن عبدالعزيز في مادة «جبن»[٢٣] فبعد أن فسر الحديث ، واستشهد له بحديث آخر وبشعر عربي ، فسّر (وج) بأنه وادي الطائف ، واستشهد له بقول الشاعر :

يا سقـي وج وجنــــوب وج واحتلّـه غيـث دراك الثَّجِّ

قال :« والمراد غزاة حنين » .

فاستطرد منه الى تفسير (حنـين) قـال : «وحنين وادٍ قِبَـيـل وج لأنها آخر غزاة أوقع بها رسول الله ـ ص ـ على المشركـين ، وأما غـزوتا الطائف وتبوك فلم يكن فيهما قتال ، ووجه عطف هذا الكلام على ما سبقه التأسف على مفارقة أولاده ، لقرب وفاته ؛ لأن غزوة حنين في شوال سنة ثمان ووفاته في شهر ربيع الأول من سنة إحدى عشرة ..»[٢٤] .

فالمتأمل فيما أوردناه يجد المؤلف قد استطرد في عبارته ، وأضـاف فائدة عن « حنين » الموضع ، وحنين الغزوة ، والاختلاف بينهما وبين غزوتي « الطائف وتبـوك » ، ثم رجع الى عبارة الحديث فبين سبـب تأسف النبي ـ ص ـ عن مفارقة ريحانتيـه الحسن والحسين ـ ع ـ ثم أعطى تاريخ سنة وقوع غزوة حنين ، وسنة وفاته ـ ص ـ . وهذه كلها فوائد يجدها المرء في كتب التاريخ والسيرة ، ولكن المؤلف حـريص على أن يعطي كل شيء حقه ، وأن يضع الأمور في نصابها .

---

(٢٣) الفائق : ١٨٥/١ .

(٢٤) الفائق : ١٨٦/١ (حبن) .

وصفة المزج بين الفائدة العلمية ، والخبر التاريخي ، والحدث الاجتماعي والتربوي هي صفة منهجية مسيطرة على كل تفسيرات المواد ، ومن هذه المنهجية قوله في مادة (عظل) : في وصف عمر ــ رضي ــ لزهير الشاعر : « لم يعاظل بين القول »[٢٥] . « هو من تعاظل الجراد ، وهو تراكبه ، ويوم العُظالى ــ بالضم ــ يوم لبني تميم ، لأنه ركب الأثنين والثلاثة الدابّة الواحدة » .

وقوله في الحديث : « أَنزَلْتُ عليك كتاباً لا يغسله الماء ، تقرؤه نائماً ويقظان » ، وهو حديث قدسيّ ، فسره الزمخشري ، وقدّم فيه فائدة تاريخية وعلمية تخص الكتب السماوية ــ غير القرآن ــ : « إن محيه ــ يعني القرآن ــ بالماء لم يذهبْ من الصدور ، بخلاف الكتب المتقدمة فإنها لم تكن محفوظة ، ومن ثم قالت اليهود الفريْيَةَ في عزير ، تعجّباً منه حين استدرك التوراة حفظاً ، وأملاه على بني الابن عن ظهر قلبه بعد ما درست في عهد بخت نصر »[٢٦].

ومن الأخبار القديمة التي عنيت بها كتب التاريخ قوله في مادة (قنطر) « قنطورا : جارية كانت لإبراهيم ــ ع ــ ولَدَتْ له أولاداً ، الترك منهم »[٢٧] .

أما الأخبار الاسلامية ، فالوقائع والأحداث والوصايا ، كثيرة ، ينتقي منها المؤلف ما يناسب مواده اللغوية ، ويضعها في أماكنها الملائمة . ولعل أحسن مثال نورده ــ هنا ــ على الوقائع الإسلامية ، نقله لوصية الرشيد لأبنائه ، وحثه «على» أن لايتعاطوا الغريب في محاورتهم ولا يحملوا ألسنتهم على الحوشيّ من الكلام ، ولا يعودوها الغريب المستبشع ، ولا

(٢٥) الفائق : ٣/٣ (عظل) .
(٢٦) الفائق : ١٧٦/٣ ــ ١٧٧ (قرم) .
(٢٧) نفسه : ٢٣٠/٣ (قنطر) .

السفساف المتضع ، واعتمدوا سهولة الكلام ، ما ارتفع عن طبقات العامة ، وانخفض عن درجة المتشدقين وتمثل ببيت الخطفى جدّ جرير :

إذا نلت إنسيّ المقالة فَلْيكُنْ به طَهْرُ وَحْشيّ الكلام مُحرَّما»[٢٨]

ومن الفوائد العلمية التاريخية إشارته الى نوع من الخط المسند اسمه : « الجزم » قال : «وهو ضرب من الكتابة اسمه (جـزم) ؛ لأنـه جزم من المسند وهو خط حمير ، أي : قطع عنه وأخذ منه »[٢٩] .

مما تقدم يتبيّن لنا أن كتاب الفائق متنوع الفوائـد ، يتوفر على الخبر والعبرة والمتعة ، وان قراءته تحمل على التزوّد بكل طريف نافع .

٤ ــ القواعد اللغوية (النحو والصرف) :

بني كتاب الفائق على أساس لغويّ صرف ، وضم الى الجانب اللغوي جوانب مختلفة من متممات البحث اللغوي ، كالنحو والصرف والبـلاغة ، ولذا جاء هذا الكتاب متكامل الأبحاث اللغوية ، لايستغني عنـه طـالب النحو والصرف ، كما لايستغني عنه طالب دلالة الألفاظ ، ومعاني غـريب الحـديث .

ومن المعروف أنّ النحو العربي تمثل في اتجاهين كبيرين هما الاتجاه البصري القياسي ، والاتجاه الكوفي السماعي ، وأن ثمة مواقف فـردية تميل تارة مع البصريين وتارة مع الكوفيين ، وأحياناً تجمع بينهمـا فتخرج بمذهب ملفّق مركب يطلقون عليه المذهب البغدادي[٣٠] أو تتخـذ لنفسها مذهباً خاصاً مبنياً على اجتهاد فردي .

---

(٢٨) نفسـه : ٤/٣ (عظل) .

(٢٩) نفسه : ٢١٢/١ (جزم) .

(٣٠) الخصائص : ١٣/١ مقدمـة المحققـين وابـو عثمان المازني :١٦٤ والاقتراح : ٤٢ .

يستفيد المؤلف من قواعد اللغة العربية ؛ ليتوصل من خلالها الى الغرض الذي رمى اليه الحديث ، أو ليعرف ما تؤديه المفردة من معنى بموقعها الأعرابي ، ومثل هذا يمكن ملاحظته في قوله يفسر الحديث : « بئس لعمر الله ولي اليتيم هذا » . قال : « اللام في اليتيم ، لتعريف الجنس ، لا للعهد لإسناد « بئس » الى المضاف اليه ، لأنه لا يسند إلا الى ما فيه اللام الجنس ، أو الى ما أضيف اليه . والذي جوز الفصل بين « بئس » و « فاعله » بالقسم ، انه تأكيد لمضمون الجملة فليس بأجنبي عنها »[٣١] .

و ـ غالباً ـ تكون الاحاديث مظنة للاستعمالات القليلة في اللغة؛ لأنها كما سبقت الاشارة تمثل صورة من اللهجات العربية المختلفة ولذلك يقف الباحث على بعض التراكيب اللهجية التي يجهد علماء النحو أنفسهم في تخريجها ، ومن ذلك قوله : في الحديث « إذا عقي حرمت عليه وما ولدت » : « عطف على الضمير المستتر في (حرمت) من غير أن يؤكده ، وهو مستقبح ، لولا أنه فصل بينه وبين المعطوف[٣٢] . ومنه قول علي ـ رضي ـ [٣٣] :

أنا الذي سمَّتني أُمِّي حَيْدَرَهْ
كليث غابات كريه المنظره
أوفيهم بالصاع كيل السندره

« وجه الكلام : أنا الذي سمته ، يرجع الضمير من الصلة الى الموصول ولكنه ذهب الى المعنى ؛ لأن خبر المبتدأ : (هو) أعني : ان الذي هو أنا في المعنى ، فرد اليه الضمير على لفظ مردود الى « أنا » كأنه قال : أنا سمتني»[٣٤] .

---

(٣١) الفائق : ١٧٣/١ (بئس) . وانظر ـ أيضا ـ ١٢٦/٣ ـ ١٢٨ (فطر) .
(٣٢) نفسه : ١٦/٣ (عقى) .
(٣٣) نفسه : ٢٦٦/١ ـ ٢٦٧ (حدر) .
(٣٤) الفائق : ٢٦٧/١ .

وقوله في الكاف : « أقيموا صفوفكم لا يتخللكم كأولاد الحذف » كأولاد : الكاف فيه محل الرفع على الفاعلية[٣٥] ، ومثله الكاف في قول الأعشى[٣٦] :

هـل تَنْتَهـونَ ولـن ينهـى ذَوِي شَطَطٍ
كالطَّعْنِ يَذْهَـبُ فيه الـزَّيْتُ والفتـلُ[٣٧]

ومن الخلاف اللهجي قوله في الحديث : « ما مصلى لأمرأةٍ أفضل عن أشد مكان في بيتها ظلمة ـ » قال : « أفضل : إما أن يكون منصوباً على لغة أهل الحجاز ، او يرفع على لغة بني تميم »[٣٨] .

ومن عادة الزمخشري أن يستقصي الوجوه الاعرابية للتراكيب ويمثل لها بما يناسبها ، ومن ذلك قوله في حديث عائشة ـ رضي ـ : « قد بلغت منا البِلَغِين »[٣٩] ، قال هو كقوله : « البرحين » . والتحقيق فيهما أن يقال : كأنه قيل خطب بِلَغ ، أي : بليغ ، وأمر بِرَح ، أي : مُبرح ، كقولهم : لحم زيم ومكان سوى ، و « ديناً قِيَماً » ، ثم جمعا جمع السلامة .

وفي إعراب نحو هذا طريقان : أحدهما : أن يجري الإعراب على النون ويقر ما قبلها ياء . والثاني : أن يفتح النون ـ أبداً ـ ويعرب ما قبلها ، فيقول : هذه البِلَغون ، ولقيت البِلَغين ، وأعوذ بالله من البِلَغين »[٣٩] .

ولقد عني الزمخشري في عرض آراء البصريين والكوفيين ، وآراء أفرادهم ومن ذلك قوله[٤٠] : « الجديد : يوصف به المؤنث بغير علامة ، فيقال ملحفة جديد ، وعند الكوفيين : فعيل بمعنى مفعول ، فهو في حكم

(٣٥) انظر : مغني اللبيب ٦٨١/١ .
(٣) ديوان الاعشى : ٦٣ .
(٣٧) الفائق : ٢٦٩/١ ـ ٢٧٠ (حذف) .
(٣٨) الفائق : ١١٩/١ و ٣٢٣/٣ .
(٣٩) نفسه : ١٣٠/١ (بلغين) .

قولهم : إمرأة قتيل ، ودابّةٌ عقير ، وعند البصريين بمعنى فاعل : كعزيز وذليل ؛ لأنك تقول : جد الثوب فهو جديد ، كعزّ وذلّ ، والكن قيل في المؤنث : جديد ، كما قال الله ـ تعالى ـ «إن رحمة الله قريب من المحسنين»[٤١] ، ونحو قوله : « التوراة : أصله وورية فوعلة من ورى عند البصريين ، فأبدلت الواو تاء ، وقلبت الياء ألفا .. فتأنيثها للتأنيث بدليل انقلابها في الوقف هاء ، وتأنيثها نحو تأنيث الصحيفة والمجلة » [٤٢] .

ولم يورد الزمخشري في تفسيرها مذهب الكوفيين ، الذين يرون أن زنة (التوراة) هو : تفعلة ، وهو قول الفراء في كتابه « المصادر » فهي مصدر : ورّيت » تورية ـ وعلى لغة طيء تقلب الياء فيها ألفاً ، فيقولون توراة ،كما يقولون في التوصية : توصاة ، والجارية : جاراة[٤٣] .

وقد يكتفي بذكر الشخصيات النحوية ، وينسب اليهم آراءهم الخاصة ، ومن ذلك قوله : « الصيرة ـ على مذهب الأخفش ـ لا تكون إلا من الياء ، وسيبويه يجوز الأمرين ، فإن كانت من الياء ، فهي من الصيرورة ؛ لأن الدواب تأوي إليها وتصير ، وان كانت من الواو ، فلأنها تصار اليها ، أي : تمال رواحا[٤٤] .

ويلاحظ أن الزمخشري في مواطن التفسيرات النحوية والصرفية يلتزم إيراد شواهد النحويين أنفسهم ، مما يوثق الصلة بين ما يطرحه من قضايا النحو والصرف ، وكتب النحو الأخرى ، ففي قصيدة أبي طالب يعاتب قريشاً في رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ[٤٥] :

---

(٤٠) نفسه : ٣١٠/٢ (صلصل) .
(٤١) الاعراف / ٥٦ وانظر : ابو عثمان المازني : د. رشيد العبيدي : ٥٠ ـ ٥١ .
(٤٢) الفائق : ٢٣٦/٢ (شرم) .
(٤٣) اللسان : (وري) .
(٤٤) الفائق : ٣٢٤/٢ (صير) ، وانظر ٣٤٩/٢ (ضنيء) .
(٤٥) ديوان ابي طالب : ١١٠ .

كـذبتم وبيت الله يـبزى محمـد   ولما نُطاعِنْ دونَه ونقاتِلِ

قال : أي : لا يبزى ، فحذفه ، لأنه لايلبس ، ومثله :

فَقُلْتُ : يمينُ اللهِ أبْرَحُ قـاعدا

وقـولـه :

آليت حب العـراق الدهـر أطعمـه[٤٦]

والشاهدان اللذان ذكرهما ، هما من شواهد النحويين ، وهمـا في مواضعهمـا من مباحث النحو ، فالأول لامرىء القيس ، وقـد أنشده الزمخشري نفسه في المفصل[٤٧] وذكره صاحب الخزانـة في ضمن شواهد (كان وأخواتها)[٤٨] ، وأما الثاني فهو من شواهدهم في باب تعدي الفعل ولزومه ، وقد نسبوه للمتلمس ، وتتمة الأول :

ولـو قطعوا رأسـي لديـك وأوصـالي

أمّا تتمة الثاني فهو :

والحبُّ يأكُلُه في القَرْيَةِ السُّوسُ[٤٩]

ولقد استعمل الزمخشري مصطلحات النحويين المألوفة ، ولكنه انفرد ببعض المصطلحات التي أزعم أنها من اجتهاده الخاص ، وذلك نحو تسمية الضمير بـ (الراجع)[٥٠] وتسمية المفردات بـ (الـوحدان)[٥١] والمترادفات بـ (الأخوات)[٥٢] .. وغيرها .

---

(٤٦) الفائق : ١٠٥/١ (بزى) .

(٤٧) المفصل للزمخشري (كان وأخواتها) : ١١١ .

(٤٨) خزانة الأدب : ١٣/٢ .

(٤٩) انظر : الكتاب لسيبويه : ١٧/١ وأمالي ابن الشجـري و تخليـص الشواهد ، ابن هشـام : ٥٠٤ والمغنـي : ٩٩ و ٢٤٥ و ٥٩٠ و ٦٠٠ والعيني : ٥٤٨/٢ وشرح التصريح : ٣١٢/١ وشرح شواهد المغنـي : السيوطي : ١٠٢ وشرح الاشموني : ٩٠/٢ .

(٥٠) الفائق : ١٢٨/٣ .

(٥١) نفسـه : ٣٢٢/٣ .

(٥٢) نفسـه : ٩/٣ و ١٦ .

إن كتاب الفائق محشو بمسائل النحو والصرف ، وهـذه الموضوعات تمثل ظاهرة بارزة يمكن أن تقدم بدراسة منهجية علمية ذات نفع كبير ، يستطيع الباحث أن يستخرج من خلالها منهج الزمخشري في معالجاته النحوية والصرفية ، وأسس تفكيره اللغوي .

٥ ـ الأعجمي والمعرب :

دخل الى العربية في تاريخها الطويل مفردات أعجمية ، من لغات غير عربية ، وهذه سنة معروفة في تاريخ اللغات في العالم ، فليس من لغة تبقى نقية خالصة دون أن يشوبها شيء من لغات غيرها من الأمم ، وقد تنبه العلماء على هذه الظاهرة ، فقال الأزهري (٣٧٠)[٥٣] : « إن الاسم قد يكون أعجمياً فتعربه العرب فيصير عربياً » . وكذلك كان مذهب الرازي[٥٤] ، ولكن العرب حين استخدمت مثل هذه المفردات ، ووردت في كتاب الله المعجز ــ اللسان العربي المبين ــ ولاكتها ألسنة العرب ، ودارت في أشداقهم أصبحت عربية ، وقد ذهب أبو عبيدة معمر بن المثنى (٢١٣هـ): الى أنه : « من زعم انّ في القرآن لساناً سوى العربية . فقد أعظم على الله القول»[٥٥] . وهو مذهب الأكثرين من علماء اللغة . غير أن أبا عبيد (٢٢٤هـ)روى عن مجاهد وابن عباس وعكرمة وغيرهم في أحرف كثيرة : أنه من غير لسان العرب ، مثل « سجيل » و « المشكاة »و«اليم» و « الطور » و « أباريق » و « استبرق » وغير ذلك[٥٦] .

ويبدو أن الجواليقي أراد أن يقف بين هذين الرأيين ، فلا يغلّب واحداً على آخر ، لأنه عدّ : كليهما مصيباً ، فخرج برأي ملفّق بينهما فقال : « ان هذه الحروف بغير لسان العرب في الأصل ، فقال أولئك على

---

(٥٣) تهذيب اللغة : ٢٣٣/١ (عرب) .

(٥٤) التفسير الكبير : ٦٥٨/٦ .

(٥٥) المعرب : ٤ .

(٥٦) نفسه : ٥ .

الأصل ،ثم لفظت به العرب بألسنتها ، فعربته ، فصار عربيا بتعريبهـا إياه ، فهي عربية في هذه الحال ، أعجمية الأصل »[٥٧] •

والحق أن ما استعمله العرب في جاهليتها ، وجاء به شعرهم وآدابهم ثم نطق به القرآن الكريم ، وحديث النبي — ص — عربي لا غبار عليه ، ذلك أن القرآن تحدى العرب بلغتهم ، وطالبهم بأن يأتوا بمثله ، ولا يمكن أن تتحدى العـرب إلا بما يمتلكون من قـدرات واستعدادات ، ولغـة العرب سليقة واستعداد فطري متأصل في نفوسهم ، ومن هنا كانت العربية جزءاً من كيانهم ، ومقوّماً من أهم مقومات تواصلهم وتآلفهم وانتمائهـم وانما نزل القرآن بهذا اللسان العربي المبين : « لسان الـذي يلحدون إليه أعجمي ، وهذا لسان عربي مبين » •

ولئن كان ثمة مفردات يدل ظاهرها على أنها من الدخيل على اللغة بما حصل فيها من تغيير « بإبدال حرف من حرف ، أو زيادة حـرف ، أو نقصان حرف، أو إبدال حركة بحركة ، أو إسكان متحرك ، أو تحـريك ساكن »[٥٨] • كما يشير الجواليقي ، إن ذلك ينظر اليه من ناحيتين :

احداهما : أن هذا الدخيل شيء قليل بالقياس الى أصـل اللغـة العربية ، ومشتقاتها ، وقياساتها وطرق التوليد فيها ، ووسائل الاتساع والنماء ، يدل على ذلك كثرة المترادف والمشترك ، والأبنية المختلفة من المصادر والجموع والمشتقات بأنواعها •

الثانية : أن كثيراً مما عدّ دخيلاً أو معرباً هو مما اشتركت فيـه اللغات أو مما كان عربياً في الأصل ، واستعارته اللغات الأخرى •

ومن هنا فإن الدخيل في العربية اذا ما قيس الى ما استعارته اللغات غير العربيـة من العربية يصبح شيئاً محدوداً — جداً — فضـلاً عـن أن

---

(٥٧) نفسه : ص : ٥ •

(٥٨) المعرب : ص : ٦ •

موضوع تقارض اللغات بعضها من بعض هو ناموس طبيعي بينها ، ولا يمكن للغة أن تعيش بعيداً عن الاحتكاك والتعامل مع غيرها .

ولقد تنبّه الزمخشري على الكثير من المفردات التي تكلمت العرب بها قديماً ، فأشار الى استعمالهم إياها في كلامهم وأشعارهم فقال : « النيزك نحو من المزراق : عجمي معرب ، وقد تكلمت العرب به قديماً ، واشتقت منه ، قال ذو الرمّة[٥٩] :

فيا من لقلب لايزال كأنه ... من الوجد شكّته صدور النيازك

قال الزمخشري ، مثبتاً ظاهرة الاشتقاق من (نزك) : « يقال نزكه ينزكه نزكاً اذا زرق — أي : طعنه — ومنه نزكه إذا عابه ووقع فيه »[٦٠] .

ومما استعملته العرب قديماً — أيضاً — وهو غير عربي ، ما ورد في الحديث: « أني بلؤلؤ بهرج •• وروي نبهرج» .

قال : « وهما الباطل الرديء •• كلمة فارسية قد استعملتها العرب وتصرفوا فيها قال :

محارمُ الليل لهن بهرج »[٦١] .

وعني المؤلف بإرجاع بعض المعربات الى أصولها الأعجمية ، بدرايته أو بالنقل عن علماء اللغة ، وذلك نحو :

— « الطازجة : الصحاح النقاء ، تعريب تازة — بالفارسية »[٦٢] .

— الباذق : هو تعريب باذة ، ومعناها : «الخمر»[٦٣] وفسرها الجواليقي بمعنى « باق » وهو تفسير غريب لم يرتضه اللغويون[٦٤] .

---

(٥٩) ديوان ذي الرمة : ٤١٦ .
(٦٠) الفائق : ٣٤/٣ (عنش) .
(٦١) الفائق : ١٤١/١ (بهرج) .
(٦٢) نفسه : ١٩٥/٢ (قسا) .
(٦٣) نفسه : ٩٠/١ (بذق) .
(٦٤) المعرب : ٨١ . أنظر اللسان : بذق .

- البريد في الأصل : البغل ، وهي كلمة فارسية ، أصلها : بريده دم أي : محذوف الذنب ؛ لأنّ بغالَ البريد كانت محذوفة الأذناب ، فعربت الكلمة وخففت ، ثم سمّي الرسول الذي يركبه بريداً ، والمسافة التي بين السكتين بريداً »[٦٥] .

والذي يبدو لي أن لفظ « البريد » ليس أعجمياً كما فسّر الزمخشري ، ففي العربية جذر المادة (ب ر د) ولها معانٍ مختلفة ، ومنها : «أبردت اليه بريداً وهو الرسول المستعجل » ، و « برد مضجعه إذا سافر» ، أو «استبردت عليه لساني أرسلته عليه كالمبرد » .. الخ[٦٦] وقال ابن فارس : « بَرَدَ لي على فلانٍ كذا من المال ، أي : ثبت .. والبريد معروف .. »[٦٧] ، ولم يشر أحد منهم الى أنها أعجمية ، ولم يدرجها الجواليقي في المعربات من كتابه ، وجاءت عرضاً في تفسير كلمة (الفُرانِق) .. وهو سبع يصيح بين يدي الأسد ، كأنه ينذر الناس به .. ويقال له : فرانق الأسد ، قال أبو حاتم : ويقال : إنه الوعوع ، ومنه فرانق البريد »[٦٨] ، وأورد الدميري في حياة الحيوان لفظ « البريد » عرضاً - أيضاً - مدرجة ، في ضمن تفسير لفظ « الببر » وهو ضرب من الحيوان يعادي الأسد .. قال « ويقال له البريد ويقال له الفرانق .. وهو هندي معرب شبيه بابن آوى »[٦٩] ، وأراد « بالهندي المعرب » لفظ « البير » كما إن لفظ « فرانق » : « فارسي معرب » كما نقل ابن دريد (٣٢١ هـ)[٧٠] .

---

(٦٥) الفائق : ٩٢/١ (برد) .
(٦٦) الاساس : (برد) : ٤٠-٤١ .
(٦٧) المحمل : ١٢٤/١ (برد) .
(٦٨) المعرب : ٢٣٨ .
(٦٩) حياة الحيوان : ١٤١/١ .
(٧٠) الجمهرة : ٣٩١/٣ .

وأما ابن منظور (٧١١هـ) فقد نقل عبارة النهاية ، وهي بتمامها منقولة عن الزمخشري في (فائقه) ، لأن صاحب النهاية ابن الأثير قد اعتمد على الزمخشري في أغلب تفسيرات المواد . ونقل عبارة الجوهري (٣٩٨هـ) من الصحاح ، وهي : « البريد المرتب ، يقال حمل فلان على البريد وقال امرؤ القيس :

على كل مقصوص الذنابى معاودٍ بريد السرى بالليل من خيل بربرا

وقال مزرّد أخو الشماخ يمدح عَرابة الأوسي :

فدتك عرابَ اليوم أمّي وخالتي وناقتيَ النّاجي اليك بريدها

أيْ : سيرُها في البريد ، وصاحب البريد قد أبْرد إلى الأمير فهو مُبرد ، والرسول : بريد ، ويقال للفرانق : بريد ؛ لأنه يُنْذر قدام الاسد »[(٧١)] ، فليس في الكلام الدائر حول (البريد) ما يدل على أعجميته ، إلا عبارة الزمخشري التي نقلها ابن الأثير في النهاية ، ونسبها الى الزمخشري ، ثم آلت الى « اللسان » لكون النهاية أحد المصادر الخمسة التي أفرغها ابن منظور في معجمه ، ولذلك وقف أمر أعجمية البريد على الزمخشري ــ وحده ــ وهو أمر يحتاج الى التحقيق والتثبت ، ولو كان أعجمياً لما فات الجواليقي !؟

ومن العجيب أن الزمخشري يهمل الإشارة الى مفردات أخرى يغلب عليها أن تكون معربة ، ولكنّه يعدّها من أصل اللغة ، كما قال في « الجص والقص » : « تقصيص القبور » .. « والقصة : الجَصّة ، وليس أحد الحرفين بدلاً من صاحبه ، لاستواء التصرف ، ولكن الفصحاء على القاف »[(٧٢)] .

---

(٧١) اللسان : ٥٣/٤ (برد) .

(٧٢) الفائق : ١٩٩/٣ ــ ٢٠٠ (قصص) .

وعبارته هذه تدل على عربية اللفظين في حين ذكر ابن دريد : أن « الجص : معروف ، وليس بعربي صحيح »(٧٣) وقال في مكان آخر من جمهرته : « فأما الجص ففارسي معرب »(٧٤) ونقل الجواليقي عبارة ابن دريد الأولى بنصها(٧٥) • وعلل سبب أعجميتها باجتماع الصاد والجيم ، وهما حرفان يمتنع اجتماعها في العربية(٧٦)

واللغويون يعتقدون أن ثمة إبدالاً بين الجيم والقاف ، وبعضهم يعبّر عنه بالكاف « الكص » ، ولقد نقل ابن منظور أن « لغة أهل الحجاز في الجص : القَص »(٧٧) وعمّم ابن فارس القول بالقاف على العرب فقال : « والعرب تسميه القصة »(٧٨) •

فاللفظ ـ إذن ـ مشكوك في عربيته ، ونسبه ابنُ دريد الى الفارسية، وأهمل الزمخشري الإشارة الى شيء من ذلك •

وفي إشارات أخرى يبدي شكّه في المفردات ، كما ترى في قوله في (البدج) : « هو البد ، كأنها كلمة أعجمية »(٧٩) • وقد ينسب اللفظ الى الأعجمية لاختلاف زنته عن العربية قال في « الانجيل » : « إفعيل من نجل ، إذا أثار ، واستخرج ؛ لأن به ما يستخرج من علم الحلال والحرام ، ونحوهما • وقيل هو أعجمي ، وتعضده قراءة الحسن ـ بفتح الهمزة ـ ؛ لأنّ هذه الزنة ليست في لسان العرب »(٨٠) • وقول الزمخشري : «وقيل» ظاهره أنه لغيره والغالب أنه له ؛ لأنه سرد معه القراءة التي تعضده ، وهي قراءة الحسن ، وتعليل سبب أعجمية البناء ، لخلو لسان العرب منها •

(٧٣) الجمهرة : ٥٢/١ .
(٧٤) نفسه : ٧٥/٢ .
(٧٥) المعرب : ٩٥ .
(٧٦) نفسه : ١١ .
(٧٧) لسان العرب : (جص) ١٧٥/٨ .
(٧٨) المجمل : ١٧٢/١ (جص) و ٧٢٨/٣ (قص) .
(٧٩) الفائق : ٨٨/١ (بدج) .
(٨٠) نفسه : ٢/٢ (شمل) .

وعكس الجواليقي الأمر فقدّم أعجمية اللفظ ، وعقّب عليه ، بقال بعضهم : « إن كان عربياً فاشتقاقه من النجل ، وهو ظهور الماء على وجه الأرض واتساعه ونجلتُ الشيء اذا استخرجته وأظهرته ، فالأنجيل مستخرج به علوم وحكم ، وقيل : هو إفعيل من النجل ، وهو الأصل ، فالأنجيل أصل لعلوم وحكم »[٨١] .

والزمخشري ــ ينسب ــ غالباً ــ اللفظ الى لغته ، وربما فسّر أصل تركيبه في تلك اللغة ، قال : « الأسبدون : كلمة أعجمية • معناها عبدة الفرس وكانوا يعبدون فرساً ، والفرس ــ بالفارسية ــ أشب »[٨٢] ، وقال : « كان طالوت أيابا » أي : سقاءً ، وهي فارسية »[٨٣] .

وقال في حديث ــ علي رضي ــ : « قالون » : « أي : أصبت بالرومية ، أو هذا جواب جيد صالح » وأكد الحديث بحديث ابن عمر ــ رضي ــ ، باللفظ نفسه[٨٤] .

وقد تتفق العربية مع اللغات الاخرى في ألفاظ ، يدل على ذلك وجود أصل اشتقاقي في العربية كما هي الحال في « زور » بالعربية ، و « زور » بالفارسية بمعنى : القوة ، وادّعى الجواليقي أن «زور» أعجمية أبدلت العرب حركتها من الفتح الى الضم[٨٥] ، واستعملها العرب قديماً بمعنى القوة والحسن ، وعدّها الزمخشري عربية فنقل فيها قولين لأبي زيد ولابن الاعرابي ، وهما قول أبي زيد « كلام مزور ومزوق : أي : محسّن ،

---

(٨١) المعرب : ٢٣ ــ ٢٤ .
(٨٢) الفائق : ٤٣/١ و ١٢٦/١ .
(٨٣) نفسه : ٦٨/١ ــ ٦٩ و ٧٢ .
(٨٤) نفسه : ٢٢٢/٣ (قلن) .
(٨٥) انظر في أعجميتها : المعرب : ٨ و ١٦٥ ــ ١٦٦ .
(٨٦) الفائق : ١٣١/٢ (زور) .

وهو من قولهم للزينة : الزّون والزّور » ، « وقيل : مهيأ مقوى من قول ابن الاعرابي : الزور : القوة ، وليس له زور وصيّور ، أي : قوة رأي »[٨٦] .

ومن إشاراته الى ما اشتركت فيه العربية مع غيرها من اللغات قوله في حديث عائشة – رضي – : ورُمي برسنك » قال : « الرسن مما وافقت فيه العربية العجمية ومنه المرسن ، وهو موضع الرسن من الدابة ، ثم كثر حتى قيل مِرْسن الانسان .. » قال العجاج يصف أنفه :

وفاحما ومَرْسِنا مسرّجا

وعن النضر : قد أرسن المهر ، اذا انقاد وأذعن ، وهو من الرسن على سبيل الكناية »[٨٧] . في حين عدّ الجواليقي اللفظ فارسياً ، وهو مما أخذته العربية من الفارسية قديماً ، قال : « الرسن – بالفارسية – إلا أنه قد أُعْرِبَ في الجاهلية ، قال الأعشى :

ويكثر فيهم هبى واقدمي ومرسونُ خيلٍ وأعْطالُها

ومنه سمي الأنف المرْسَن ، أي : موضع الرَّسَن من الدّواب»[٨٨] . وزَعْمُ الجواليقي في « الرسن » باطل من وجوه ، أولها : أن أحداً من اللغويين لم يتفق معه في كونه أعجمياً دخيلاً على العربية . وثانيها : انه ربما يكون مما اخذته اللغات الأخرى من العربية ، لأنّ اللفظة خاصة بالخيول والدواب مما شاع استعماله في الجزيرة العربية . وثالثها : أنه جانب قول من قال هو مما اشتركت فيه العربية مع غيرها ، فضلاً عن ان الزمخشري – نفسه – قد فسره في مادة « رسن » من الأساس . ولم يدّع فيه غير العربية [٨٩] .

---

(٨٧) نفسه ٢/٥٨ (رسن) .
(٨٨) المعرب : ١٦٤ .
(٨٩) الاساس : (رسن) ٣٤٠ .

و ـ قليلاً ما ـ يذكر الزمخشري اللفظ الأعجمي غير منسوب الى لغته ولكنه يعطي أصله الاعجمي كما ترى في « المستقة : فرو طويل الكمين ـ تفتح وتضم تاؤه ، هو تعريب : مُشْته »[٩٠] .

وبهذه الصور من العروض للدخيل يقدم الزمخشري جملة صالحة من المفردات منبهاً عليها ، ويعبر الزمخشري عن موقفه الشكي بألفاظ وعبارات تتكرر خلال كلامه ، من مثل « كأن الصحيح » او « لعله » أو « لا آمن أن يكون » أو «إن صح ذلك » ، وقد مرّ معنا قبل قليل شكه في حديث « التفشغ » الذي رواه عن عمر ـ رضي ـ عبارة « لا آمن ـ »، ومن ذلك ـ أيضاً ـ قوله في « بدج » : قال : « هو اللبد ، كأنها كلمة أعجمية »[٩١] ، فعبرّ عن عدم تأكده من أعجميتها بـ « كأنها » .

ولفظ (بدج) ورد في حديث ابن الزبير بصيغة (أبدوج سرجه) يعني : لبْدَه»[٩٢] ، وقال ابن الأثير : « قال الخطابي : هكذا فسره أحد رواته ، قال : ولست أدري ما صِحّتُه » ، ونقل ابن منظور هذا اللفظ من ابن الأثير ، مع تفسيره[٩٣] ، ولم يشر الى أعجميته .

ولعلي لا أبعد عن الحقّ اذا قلت : « إن شك الزمخشري في محله ، ذلك ان هذه المفردة غائبة عن اكثر المعجمات العربية ولم ترد في المعرب للجواليقي (٤٦٥هـ ـ ٥٤٠هـ) ـ كذلك ـ :في حين ذكر الجواليقي لفظ (البذج)[٩٤] ـ بفتح الباء والذال : الحمل ، قال : « فارسي معرّب ، وقد تكلمت به‌العرب ، وجمعه بذْجان »[٩٥] .

---

(٩٠) الفائق : ٣/٣٦٧ (متق) .
(٩١) الفائق : ١/٨٨ (بدج) .
(٩٢) النهاية : ١/٢١١ (بدج) . والفائق : ١/٨٨ .
(٩٣) لسان‌العرب (بدج) .
(٩٣) لسان العرب (بدج ٥/٣٣ .
(٩٤) المعرب : ٥٨ .
(٩٥) انظر : الجمهرة : ٣/٥١٢ .

وأشار الزمخشري الى أعجمية (بذج)من دون شك ، بعبارة قريبة من عبارة الجواليقي ، وزاد : « وهو أضعف ما يكون من الحملان »[96] .

إن الشك في صحة اللفظ المروي ، والتثبت من النص المنقول ، كفل للزمخشري غايتين مهمتين هما :

أ ـ تحقيق صحة المروي من حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

ب ـ تهذيب لغة الحديث مما داخلها من التحريف والتصحيف والمولد والملحون والأجنبي ، والتنبيه عليه إن وجد .

٦ ـ في الأصوات اللغوية :

من الظواهر اللغوية التي نالت عناية الزمخشري موضوع الأصوات اللغوية ، وعلاقتها بالدلالة ، وتأثير الأصوات بعضها في بعض مما يؤدي الى تبدلها ، تخلصاً من الثقل ، أو طلباً للخفة .

ومن التبدلات التي تؤدي الى التغير الجزئي في الدلالة قوله في « القث والحث : واحد ، إلا أنه بالقاف أبطؤهما »[97] .

وأراد بلفظ « أبطؤهما » أن الحث لمعنى السرعة ، والقث هو الحث البطيء .

ومثل ذلك ـ أيضاً ـ « غلط في كل شيء ، وغلت في الحساب خاصة »[98] .

غير أن الزمخشري ـ في مواطن كثيرة من الفائق ـ مولع بجمع المفردات المشتركة في صوتين ، واختلاف ثالثهما ، ويهمل في مثل هذه المواطن الإشارة الى الاختلاف الدلالي الذي يجلبه الصوت الثالث . ومن

---

(٩٦) الفائق : ٩٠/١ (بذج) .
(٩٧) الفائق : ١٥٨/٣ (قث) .
(٩٨) نفسه : ٧٥/٣ (غلث) .

ذلك قوله : « الكرد والطرْد أخوان ، ويقال : كرد عنقه : قطعهـا وحردها مثله[99] • وقوله : « ألظ وألط ، وألث ، وألبّ والَحَّ : » اخوات في معنى اللزوم والدوام »[100] •

وهذه الصورة من مواد اللغة مرتبطة ــ حتماً ــ بتغير دلالات كـل مادة ، مادام الصـوت الثالث قد تغـير من واحـدة الى أخرى ، ولكن الزمخشري لم يحاول تتبع هذا التغير الدلالي ، إلا قليلاً كما رأينـاه في « غلت وغلط ، وحتّ وقتّ » •

ولقد سبق الى هذه الظاهرة علماء لغة عنوا بالإشارة الى هذا التغير الدلالي ، كابن جني في « خصائصه »[101] وغيره ، وسمّوا هذا النـوع « بالاشتقـاق الأكبر »[102]• ومثلوا لهذه الظاهرة اللغويـة الصوتيـة بـ « قط ، وقطر ، وقطـع ، وقطف ، وقطل ، وقطم ، وقطن ،وقطب •• » و « نعب ، ونعر ، ونعق ، ونهق ، ونعق •• » • والأمثلـة على هذا النمط من التغير الصوتي المتبوع بتغير دلالي كثيرة مبثوثة في كتب اللغـة العامة والخاصة • ولقدوعى الزمخشري معنى أن تكون الدلالة العامة في الصوتين، ويخصصها الصوت الثالث حين قال : « وما وقعت من العربية فاؤه فاء وعينه قاف فله دال على معنى الشق والفتح •• » وفسر عدة مفردات على وفـق هذا التصور الدقيق •

وعلى الرغم من أن بعض التبدلات الصوتية في العربية ، تحدث في لهجات القبائل العربية على أنها ظواهر لهجية تتميز بها قبائل العرب بعضهـا

(99) نفسه : ٢٥٧/٣ (كرد) وانظر : ٢٥٩/٢ و ٢٨٢ و ٢٨٨ •
(100) نفسه : ٣١٧/٣ (لظ) وانظر : ٢٤٢/٢ و ٣٣١ و١٣٤/٣ (فقه)•
(101) الخصائص : ١٤١/٢ وانظر : الكامل للمبرد : ٥٧٨/٢ •
(102) أبحاث ونصوص : د. رشيد العبيدي : ٢٧١ •

من بعض ، يظل هذا التغير محكوماً بقوانين التبدلات الصوتية في اللغة ، كالإقتصاد في الجهد ، أو طلب الخفة والسهولة ، وتجنباً للثقل على لسان المتكلم[١٠٣] .

وبسبب هذه القوانين يحصل ما يعرف ، بتأثير الصوت في الصوت ، تأثيراً تخلفياً ــ ويُسمّى رَجْعياً ــ ، أو تأثيراً تقدميا أي : تأثير السابق في اللاحق ، وذلك نحو : إخراج صوت الذال طاءً بتأثير صوت القاف في نحو : « الأذقان »[١٠٤] . وهو ما يعرف بالتأثير التراجعي ــ الرجعي ــ .

أما نحو : « أزدهر » و « أظطعن » فالتأثير تقدمي ، أي : اثرت « الزاي والظاء » في التاء المهموسة ، فالزاي مجهورة ، والظاء مطبقة مستعْلية[١٠٥] فتحولت الى « الدّال » في « ازدهر » و « الطاء » في « اظطعن » .

ومن الصور التي قدمها الزمخشري لمثل هذين النوعين من التأثير قوله في : « دمّة الغنم » : « قلب نون الدمنة : لوقوعها بعد الميم ميماً ، أدغمت الأولى في الثانية ، وذلك لتقاربهما ، واتفاقهما في الغنة والهواء .. قال سيبويه : حتى انك تسمع الميم كالنون ، والنون كالميم حتى تبين الموضع ، ولهذا جمعوا بينهما في القوافي في كثير من الشعر »[١٠٦] . وقوله في ما حصل « ليظن » عند صياغته على «يفتعل» ، : « يظّنّ ، أي : يتهم من الظنّة ، وكان الأصل : يَظْتَنّ ، ثم يظطن ، بقلب التاء طاءً ، لأجل الظاء ، ثم قلبت الظاء طاءً ، فأدغمت فيها ، ويجوز قلب الظاء طاءً ، وادغام الظاء فيما ، وأن يقال : يظّنّ »[١٠٧] .

(١٠٣) البحث اللغوي عند العرب : د. احمد مختار عمر ــ ط : ١٩٧٦م : ص ٨٣ .
(١٠٤) النشر ٢١٨/١ .
(١٠٥) النشر ٢١٨/١ .
(١٠٦) الفائق ٤٤٠/١ (دمن) .
(١٠٧) نفسه ٣٨١/٢ (ظن) .

وظاهرة الإدغام ظاهرة صوتية تحصل عند تقارب الأصوات في المخرج أو من تبديل صوت الحرف الى ما يناسبه أو يكون من مخرجه ، فيـدغم الصوت في الصوت ، تخفيفاً وتيسيراً على النطق كما إن المخالفة بين الأصوات هو طريق آخر للتيسير والخفة في اللسان ، ومن هنا يشير الزمخشري الى مثل هذا التخفيف والتيسير في كثير من المواضع التي يعرض فيها لتفسير ظاهرة التبدل الصوتي ، من ذلك قوله : « التدهدي : أصله : التدهده ، فقلبت الهاء ياء لاستثقال التضعيف ، كما قيل : تقضي البازي ، وهو التَدَحْرُج»(١٠٨) .

وقد يكون التعاقب بين الصوتين أنهما من صفة واحدة ، و أنهما متقاربا المخرج ، أو مخرجهما واحد ، كما عبر عن ذلك بقوله : « البـرثمة: البرثنة ، واحد البراثن ، وهي المخالب •• فأبدل من النون ميماً ، لتعاقبهما ، ولتزاوج الجرثمة ، كالغدايا والعشايا »(١٠٩) .

وقـال في قراءة ابـن مسعود ــ رضي ــ : « عتّى حين » ، « أن قريشاً وجميع العرب إلا هذيلاً وثقيفاً يقولان : « عتّى » •

ونقل عن أبـي عبيدة : أن هـذيلاً تقول « أتّى وعتّى » ، قـال « ومن معاقبة العين الحاء قولهم : الدعداع والدحداح ، والعفضاج في الحفضاج ــ أي : الضخم ــ وتصوّع في تصوّح ، أي : يبس ــ وجيء به من عسّك وحسّك والعثالة في الحثالة •

وبين العين والحاء من القرب لولا بحة في الحـاء لكانت عيناً ، كما أنه لولا إطباق في الصاد ، لكانت سيناً ، ولولا اطبـاق في الظـاء لكانت ذالاً » (١١٠) .

---

(١٠٨) الفائق : ١٧٢/١ (دهده) .

(١٠٩) نفسه : ٩٣/١ (برثم) .

(١١٠) نفسه : ٣٩٩١/٢ ــ ٣٩٢ . و ٣٩٣/٢ (عثر) .

ويستمر الزمخشري في تأكيد علاقة اللفظ بالدلالة ؛ حين يتحدث عن « القلب المكاني » ، وهو الذي عرفه الباحثون العرب (بالاشتقاق الكبير)[111] فيورد أمثلة عليه من نحو : « امتلخه وامتلهه ، والتمعه ، بمعنى : إختلسه ، والمع به : مثلها »[112] ، وقد أشار الى هذه الظاهرة في كلام العرب ، بقوله : « كل قعبري ٠٠٠٠ أرى انه قلب عبقري ٠٠ وقد جاء القلب في كلامهم مجيئاً صالحاً ، يقولون كعبره بالسيف وبعكره وتقرطب على قفاه وتبرقط ، وسحاب مكفهر ومكرهف ، واضمحل ، وامضحل ، ولعمري ورعملي ، وعصافير القتب وعراصيفه »[113] .

٧ ـ الحقيقة والمجاز :

عرف الزمخشري بعنايته المتميزة بالمعاني والبيان ، وتمييز معاني المفردات بين الحقيقة والمجاز ، ولقد اتضح ذلك في تفسيره الكشاف ، كما اتضح في كتابه « أساس البلاغة » الذي حاول فيه أن يعطي الدلالة الأساسية للفظ ، وما تولد عنها من دلالات مجازية عن طريق الاستعارة والكناية وأنواع المجازات الأخرى[114] .

ولقد ظلت هذه العناية ملازمة أعماله اللغوية ، فكان كتابه «الفائق» يمثل صورة أخرى من صور الاهتمام باللفظ ، وتغير دلالاته في الاستعمال المجازي .

والحديث النبوي الشريف مظنة للاستعمالات البلاغية والبيانية العالية والذي يريد أن يعرف حقيقة هذا الأمر يمكنه أن يقف على ما صنعه الشريف

---

(١١١) ابحاث ونصوص : د. رشيد العبيدي : ٢٧٢ .

(١١٣) الفائق : ٣/٢١٢-٢١٣ (قعبر) .

(١١٤) انظر ـ مثلا ـ في اساس البلاغة المواد ا جزز) ١٢٢ (ومعنى جزازات) و (جزل) : ١٢٣ ومعنى (رجل جزل) (جسر) : ١٢٤ ومعنى (جعل طاعته جسراً الى نجاته) و (جسم) : ١٢٥ ومعنى (امر جسيم) و (جهل) : ١٢٥ ومعنى (استجهلت الريح الفصن) ..الخ.

الرضي في كتابه « المجازات النبوية » ، وما وقفت عليه كتب شروح الحديث.
والزمخشري لا يقل اهتماماً بهذا الجانب عن المعنيين باستخراج المجازات الحديثية ، بل ربما زاد على أولئك بأنه ربط بين الدلالة المجازية والحكم المترتب عليها من الحديث ، وفتش عن العلل والأسباب التي أدّت الى الاستعمال المجازي ، ومن ذلك ــ مثلاً ــ قوله في الحديث : « خمس فواسق في الحلّ والحرم : الفأرة والعقرب والحدأة ، والغراب ، والكلب العقور »[115] .

قال : « وانما سميت هذه الحيوانات : فواسق ، على سبيل الاستعارة؛ لخبثهن ، وقيل : لخروجهن من الحرمة ، بقوله : خمس لا حرمة لهن » .
وقوله ــ من حديث عمر ــ رضي ــ : «إنّ رجلاً آثر قشرتين يلبسهما » قال : « يقال للباس : القشر على سبيل الاستعارة ، وأراد بالقشرتين ، الحلة ؛ لأنها اسم للثوبين : الإزار والرداء ، وهو في هذه الاستعارة محتقر لها ومستصْغِر » »[116] .

ويبين الزمخشري العلاقة بين اللفظ والمعنى ، ووجه المجاز فيه فيقول : « يقال للرجل : أملق ، اذا افتقر ، جارٍ مجرى الكناية ؛ لأنه اذا أخرج ماله من يده ردفه الفقر ، فاستعمل لفظ السبب في موضع المسبب »[117] .

وربما مثل للاستعارة أو الكناية بما هو مسموع من كلام العرب ، تأكيداً للحديث ، فعن عائشة ــ رضي ــ قال : « دخل عليّ رسول الله ــ ص ــ تبرق أكاليل وجهه » . قال : « الاكليل عصابة مزيّنة

(115) الفائق : ١١٦/٣ ــ ١١٧ (فسق) .
(116) نفسه : ١٩٧/٣ (فشر) ، و [illegible] (حجز) . و ١٩٦ (بجر) .
(117) نفسه : ٣٨٧/٣ (ملق)

بالجوهر .. جعلت اوجهه ـ ص ـ أكاليل على سبيل الإستعارة ، كما جعل لبيد للشمال يداً في قوله :

إذا أصبحت بيد الشمال زمامها

وهو نوع من الإستعارة ، لطيف دقيق المسلك [118] .

وموضوع الإستعارة ـ باب واسع ـ عند البلاغيين ـ ووصف الزمخشري له بأنه « لطيف دقيق المسلك » يشير الى إعجابه به ، والى محاولة تفسير المفردات التي خرجت عن معانيها الحقيقية الى الاستعمالات المجازية بشكل متواصل ، وهو في موضع آخر من الكتاب يشير الى أهمية هذا الجانب البلاغي ، ووجوب العناية به ، يقول في تفسير « آضَ يئيض أيضاً » : « وأصل الأيض : العود الى الشيء ، تقول : فعل ذلك ـ أيضاً ـ ، إذا فعله معاوداً ، فاستعير لمعنى الصيرورة ، لالتقائهما في معنى الانتقال .. ومثله استعارتهم النسيان ، للترك ، والرجاء للخوف ، لما في النسيان من معنى الترك ، وفي الرجاء من معنى التوقع ، وباب الاستعارة ، أوسع من أن يُحاط به »[119] .

ويبدو لي أنَّ الزمخشري قد وضع المفردات التي يصطلح عليها البلاغيون من تورية أو استعارة أو كناية أو مجاز بعضها في موضع بعض ، والبلاغيون يفرقون بين الكناية والتعريض والاستعارة والتورية ، والإشارة والتلميح وغيرها من مصطلحاتهم المعروفة [120] .

فالمعروف أن « الاستعارة » تتم بذكر أحد طرفي التشبيه ، ويراد به الطرف الآخر[121] . وعندما نحاول تطبيق هذا التعريف على ما ذكره

(118) الفائق : ٣/٢٧٣ ـ ٢٧٤ (كلل) .

(119) نفسه : ١/٦٨ (أيض) ، و ١/١٣٦ و ١/١٩٦ .

(120) انظر : خزانة الحموي : ٤٢١ والعمدة : ٣٠٣/١ وتحرير التحبير : ١٤٠ .

(121) انظر : مفتاح العلوم : ٥٩٩ والتحرير : ٩٧ وطراز العلوي : ١٩٧/١ .

في تفسير « الأيض » بمعنى الصيرورة ، لالتقائهما في معنى الانتقال نجد أن الحالة ذهنية متصورة خالية من التشبيه الحسي الذي تعنيه الاستعارة عند البلاغيين .

ومثل ذلك يمكن أن يقال في قوله : « استحدّ الرجل ، اذا استعان بالحديد ، وهو استفعل من الحديد ، لأنه استعمل الحديد على طريق الكناية ، والتورية »[١٢٣] . فقد أطلق مصطلحي : « الكناية » و «التورية». وهما مصطلحان متباينان في دلالتيهما ، فالتورية ، هي أن يأتي المتكلم بلفظة مشتركة بين معنيين قريب ، وبعيد ، فيذكر لفظاً يوهم القريب الى أن يجيء بقرينة يظهر بها أن مراده البعيد[١٢٣] . ولفظة « استحد » لم تحمل هذين المعنيين ، ولكنها اشتقت من الحديد ، وجاءت على صيغة استفعل ، كما اشتق العرب من « الفيل » استفيل ومن الحجر : استحجر ، ولا ينطبق — أيضاً — مصطلح الكناية على « استحدّ » ، لأن الكناية بتعريفيها عند علماء البيان والبديع ، تعني : عند الأولين : « الارداف » وهو أن يريد المتكلم معنى مفرداً ، فلا يعبر عنه ، بلفظه الموضوع له ، وانما يعبر عنه بلفظ هو ردفه وتابعه ، كقوله — تعالى — : « واستوت على الجودي»[١٢٤] فهو — والله أعلم — معدول عن معنى : « جلَسَتْ على المكانِ »[١٢٥] .

في حين عرف البديعيون « الكناية » بترك التصريح بذكر الشيء الى ما يلزمه ، كما يقال : « فلان كثير الرماد »[١٢٦] ويريدون : كثرة جوده ، لأنه يطبخ الطعام للأضياف ، فيوقد النار كثيراً ، فيكثر رمادها .

والحقّ أن كثيراً من تفسيراته دقيقة تطابق المصطلح البلاغي وتصلح أن تكون أمثلة تعليمية لمن يريد معرفة علوم البلاغة ، ومن ذلك قوله

(١٢٢) الفائق : ٢٦٤/١ (حدد) .
(١٢٣) انظر : تحرير التحبير : ٢٦٨ والطراز : ٦٢/٢ والتلخيص : ٢٤٨ .
(١٢٤) هود : ٤٤ .
(١٢٥) انظر : بديع القرآن : ابن ابي الاصبع : ٨٣ والخزانة : ٣٧ والمفتاح : ٦٦٨ .
(١٢٦) الطراز : ٣٦٤/١ ونهاية الارب : ٥٩/٧ .

في لفظ « الحِجْز » الوارد في الحديث : « تزوجوا في الحِجْز الصالح ، فإن العرق دساس » فالحجز : هو الأصل والمنبت .. والمناسبة بينه وبين ما كنّي عنه به واضحة ، قال : « سمّي بذلك لأنه يحتجز بهم ، أي : يمتنع .. كناية عن العفة وطيب الأزار »[127] .

وكذلك الحال في تفسيره « بسط اليد » فهو كناية عن الجود والعطاء ، لأننا نقول : « فلان مبسوط اليد » نعني به جواداً وبذلك فسّر قوله ــ تعالى ــ : « بل يداه مبسوطتان » بأنه : « كناية عن الجود .. وإن كان لم يعط منهما شيئاً بيده ولا بسطها البتة »[128] .

ويمكن أن نلمح ذلك في تفسيره للفظ « العَوْد » وهو البعير أو الشاة الكبيرة السنّ ، فقد أشار الى ان الشاعر استعار اللفظ للتعبير عن الطريق القديم ، فقال :

عَوْدٌ على عَوْدٍ لأقوام أوَل   يموت بالترْك ويحيا بالعمل[129]

فالشاعر شبه الطريق بالعود ، ووجه الشبه هو القدم والكبر ، فذكر المشبّه به ، وأراد المشبه .

وقد يطلق المؤلف لفظ المجاز للتعبير عن المعنى المراد دون أن يحدد شكل هذا المجاز ونوعه في المصطلح البلاغي ، وذلك نحو قوله في الحديث : « اللهم غبطا لا هبطا » قال : «ومجاز الكلمة : النيل ورفعة المنزلة ، ألا ترى الى قوله : لا هبطا[130] والمجاز عند البلاغيين تعريفات قد تلتقي مع الزمخشري وقد تنأى عنه[131] .

(١٢٧) الفائق : ٢٦٣/١ (حجز) .

(١٢٨) نفسه : ١٠٨/١ (بسط) .

(١٢٩) الفائق : ٣٦/٣ (عود) وانظر : ٤٧/٣ (غبط) .

(١٣٠) نفسه : ٤٦/٣ (غبط) .

(١٣١) الطراز : العلوي : ٧٢/٣ والتلخيص : ٣٦٨ وخزانة ابن حجة : ٤٣٦ .

واستعارة الألفاظ للتعبير عن المعاني يستتبعها تغيّر في التركيب ، ومتعلقات الفعل ، وهذا النوع أطلق عليه الزمخشري « التضمين » وهو نوع خاص بمعاني النحو ، يختلف عن التضمين ــ عند البلاغيين ــ(١٣٢) .

فلقد استكثر من الإشارات اليه ، ومن ذلك هذه النصوص :

« يقال : افتات فلان على فلان في كذا ، وتفوّت عليه فيه .. هو من الفوت ، بمعنى السبق ، إلا أنه ضمن معنى التغلب ، فعُدي بـ (على) لذلك »(١٣٣) .

« يريد أن يقذعه ، يريد : يقذع له ، لأنه لا يتعدى إلا بحرف ، فقال : « أي : يسمعه ما يشق عليه ، فسماه : قذعا ، وأجراه مجرى : يشتمه ، ويؤذيه ، فلذلك عدّاه بغير لام »(١٣٤) .

وفي الحديث : « مثل المنافق مثل شاة بين ربيضين تعمو الى هذه مرة ، والى هذه مرة ، لاتدري أيهما تتبع » قال : « ضمنه ــ أي الفعل تعمو ــ بمعنى:تعنو وتخضع ــ معنى:ينضوي ويلتجيء،فعداه بـ «إلى»(١٣٥) ومثل ذلك كثير مبثوث في تضاعيف الكتاب .

٨ ــ ظواهر العربية وخصائصها :

مثلما عني الزمخشري ، بنحو اللغة وصرفها ، وبيان وجوه البلاغة فيها والبحث في حقيقة اللفظ ومجازه ، عني كذلك بما امتازت به اللغة من خصائص وصفات ميزتها من سائر اللغات ، كالإعراب ، والاشتقاق وكثرة المترادف ، والمشترك اللفظي ، والتضاد ، وصيغ الأبنية وتنوعها وأبواب

(١٣٢) انظر في تعريفه عندهم : التحرير : ١٤٠ وبديع القرآن : ٥٢ . وبديع ابن المعتز : ١١٤ والعمدة : ٨٤/٢ .

(١٣٣) الفائق : ١٤٧/٣ (فوت) .

(١٣٤) نفسه : ١٦٩/٣ (قذع) .

(١٣٥) نفسه : ٢٤/٢ (ربض) وانظر : ٤٣٩/٢ (عصر) و ١٢٩/٤ (معن).

الأفعال ، والنقص والزيادة في الحروف ، مما يعطي للكتاب أهمية بالغة في البحث اللغوي العربي في القرن السادس الهجري •

ولست أريد — هنا — أن أعقد مباحث لهذه الظواهر ، لأنها تستغرق مساحة كبيرة من هذا البحث ، ولكنني سأشير الى شيء منها ، لتكون امثلة على عنايته الدقيقة بها •

١ — عني بالأضداد ، وهو كون اللفظ يحمل المعنى وضده ، وقد حاول الزمخشري ان ينبّه في كل موضع من كتابه على اللفظ — من الأضداد — مبيّناً نوع الدلالة التي وقع فيها الضد ، ومن ذلك قوله : « الموت الأبيض : — البياض هو خلوه عما يحدثه من لا يغافَص من توبة واستغفار ، وقضاء حقوق لازمة ، وغير ذلك ، من قولهم : بيّضت الإناء،إذا فرّغته ، وهو من الأضداد»[١٣٦] • وقال في « الجونة : »: « الجونة — هنا — البيضاء ، الشديدة البياض ، والجون من الأضداد »[١٣٧] •

وقد يعلل سبب وجود الأضداد ، من نحو قوله : « قيل للمسحور مطبوب على سبيل التفاؤل ، كما قيل للديغ سليم » أي : إنه يطب ويعالج فيبرأ »[١٣٨] • وقوله[١٣٩] : « الشعب من الأضداد ويكون التفرقة والملاءمة، وأصل الباب وما اشتق منه على التفريق ، وكأن الملاءمة منه إنما قيل لها : شعب ؛ لأنها تقع عقيبة التفريق وبعده ، فهي من باب تسمية الشيء باسم ما يجاوره ويدانيه»[١٤٠] • وقد يعتمد في

(١٣٦) الفائق : ١٤٢/١ (بيض) .
(١٣٧) نفسه : ٢٤٨/١ (جون) .
(١٣٨) نفسه : ٣٥٣/٢ (طب) . وانظر : ٢٧١/٢ (شهر) و٢٧٤/٢ (شيم) و ٧/٢ (شوه) .
(١٣٩) نفسه : ٢٥٢/٢ (شعب) .
(١٤٠) وانظر : ٣٤/٢ (رتا)و ٢٣٨/٢ (شرى).

تفسير هذه الظاهرة على غيره من اللغويين ، كما نقل عن أبي زيد في تفسير : « السدفة : الظلمة في لهجة بني تميم » و « الضوء في لغة قيس »[١٤١] .

٣ ـ وعني بالترادف : وهو أن يتفق المعنى ، وتختلف الألفاظ ولقد كان اهتمامه بهذه الظاهرة اكثر بروزاً من ظاهرة الأضداد ، وأطلق عليها مصطلح : « الأخوات او النظائر ، وقد أشار الى اللفظين فصاعدا .

وتتركز أشاراته فيما اتفق فيه صوتان واختلف الثالث من الألفاظ نحو: ـ « الكظم ، والكتم ، والكعم ، والكدم ، والكزم : أخوات في معنى الإمساك وترك الإبداء »[١٤٢] .

فيشير ـ مرة ـ الى الاسماء ـ المصادر أو الصفات أو الذوات ـ كما مثلنا ـ ويشير مرة أخرى ـ الى الأفعال المتفقة ، كقوله : « قرا وقرى وقرش وقرن أخوات في معنى الجمع[١٤٣] .

وقد يتقدم الصوتان المتتاليان أو يتأخران وذلك نحو : « الرمس والدمس والنمس والطمس والغمس أخوات في معنى الكتمان»[١٤٤] .

وقد يشير الى غير الثلاثي من المترادف من نحو : « ارتعج وارتعد، وارتعش ، وارتعص : أخوات »[١٤٥] ، ونحو : « الشرجب والشرحب والشرعب : الطويل »[١٤٦] .

(١٤١) الفائق : ١٢٠/٣ ـ ١٢١ (فشع) .
(١٤٢) نفسه : ١٦٠/٣ (قحل) و ١٦١/٢ (قمل) و ٣٨٨/٣ (عبقر) .
(١٤٤) نفسه : ٨٧/٢ (رمس) .
(١٤٥) نفسه : ٦٧/٢ (رعج) .
(١٤٦) نفسه : ٢٣٩/٢ (شرجب) .

أما إشاراته الى المترادف المختلف الأصوات ، فهو أقل من النـوع الأول ، ولكنه واضح خلال تفسيراته اللغوية ،ومن ذلك قوله : « النبع والشوحط والشريان واحد ، ولكنها تختلف أسماؤها بمنابتها »[١٤٧] .

ومنه قوله : « الجلبان والجربان والقراب : شبه جراب يضع فيه الراكب سيفه مغموراً »[١٤٨] .

ويعبر عن الترادف بألفاظ ، نحو : « أخوات »[١٤٩] او « نظائر » كمـا مـرّ ، أو « مثلـه »[١٥٠] أو « واحــد »[١٥١] او « وادٍ واحــد »[١٥٢] .

٣ ــ الجموع وصيغها : يشير الزمخشري في كل مناسبة يعرض فيها لصيغة من صيغ الجمع في العربية الى نوع الصيغة ، ويورد أمثلـة تؤكد اطرادها أو قلتها او شيوعها او غرابتها ، ويعلل سبب ذلك .

فالسَّراة ــ بفتح السين ــ جمع سريّ ، قال : « وهو غـريب ، لضمة فاء أخواتها ، نحو :غزاة وقضاة »[١٥٣] .

ويبدو لي أنه عدّ « سراة » من باب « فُعَلة » بضـم الفـاء ، لأنه أشار الى ضمة فائه ، والمعروف ان مضموم الفاء جـاء جمعـاً لفاعل من المنقوص ، نحو : قاضٍ وساعٍ ، ورامٍ ، وجانٍ ، وهـادٍ ، فيقال ، قُضاة ، وسُعاة ، ورُماة ، وجُناة ، وهداة ، كلـه بضـم أوّله ، وليس منه جمع « سريّ » . فلو كان من « سارٍ » لقيل فيه

(١٤٧) الفائق : ٢٣٩/٢ (شري) .
(١٤٨) نفسه : ٢٢٧/١ (جلب) .
(١٤٩) نفسه : ١٣/١ (بث) قال : « البث والنث والنثو نظائر » .
(١٥٠) نفسه : ٢٤/١ (اثم) قال : « التجنب للأثم ومثله التحوب والتحرج والتهجد » .
(١٥١) نفسه ١٥٨/٣ قال : « الفث والحث واحد » : (حث) .
(١٥٢) نفسه : ٣٥٨/٣ (حرج) قال : « والخفة والقلق من واد واحد » .
(١٥٣) نفسه : ١٧٤/٢ (سرى) .

«سُراة» بضم الفاء ، أما من « سريّ » فليس منه ، فإشارتـه الـى الغرابة لضمة فاء أخواته ليست صحيحة .

غير أنّ اشارته الى غرابة جمع « سنّ » على « أسنّة» صحيحة ، فقد وجد لها نظائر في العربية ، قال : « الاسنة جمع سنّ ، أي ما تأكلـه الأبل وترعاه ، ونظيرها في الغرابة : أقنة جمع قنّ ، والأسدة والاندية والأنجدة ، في جمع سدّ — وهو العيب ، ونديّ ، ونجد — غرائب مثلها »[١٥٤] .

والجمع الغريب يحكم عليه بالشذوذ ، وان وجد له نظير ، ولكن هذا النظير قليل ، إلا أنه اذا أكدته الرواية الصحيحة عن العرب قبل ، وهذا هو المنهج الذي صرح به حـين نقـل عـن سيبويـه ما جـاء على « فِعـال » جمـع « فُعْلَـة » — بضـم الفـاء وكسرها — مثـل : « قِـذاف جمـع قُـذّفة » قـال : « ونظيرهـا في الجمع على فِعـال : فِقْرة وفقار وبُرْمـة وبـرام ، وجُفْرة وجِفـار ، وبُرْقة وبِراق ، ذكرهـن سيبويه » . ثم روى عن الأصمعـي : « إنما هي قُذَف . » فقال : « اذا صحت الرواية مع وجود النظير فيالعربية ، فقد انسدّ باب الردّ »[١٥٥] .

واشاراته الى الجمع واسم الجمع ، وجمع الجمع ، والجمع غـير القياسي ، وأسماء الجموع الجنسية كثيرة تحتاج الى دراسة خـاصة لا يسع هذا البحث الالمام بها[١٥٦] .

٤ — الفعل—أوزانه وأبوابه — : وعناية الزمخشري بالفعل وأبوابه ، وأوزانه ومعانيه ، وتعديه ولزومه ، ومجرده ومزيده ، تمثل ظاهرة لغـوية

(١٥٤) نفسه : ٧٩/٢ (ركب) وانظر ١٣٠/٢ (زود) .
(١٥٥) الفائق : ١٦٩/٣ (قذف) .
(١٥٦) انظر : ١١٢/٢ (زفن) و ٣١٢/٢ (صفن) و ١٧٢/٢ (سرح) و ٩٦/٢ (رهط) و ١٠٩/٣ (فرق) و ١٤٧/٣ (مجع) و ٩٨/٣ (قرر) و٣٢٧/٢ (ضبر) و ٣٨٥/٢ — ٣٨٦ .

واضحة ، وهي تدخل في ضمن منهجه العام في تفسير مفردات الحديث إلا انه قد يخرج عن مفردات الحديث ليضيف معلومات تأتي من طريق الاستطراد .

ومن عنايته بالفعل إشارته الى الأبواب ، وعلاقة الباب بالمعنى ومن ذلك قوله في الحديث : « فتحوات فإذا هي قد ثبرت .. » قال : « وهذا من باب فعلته ففَعِلَ ، » يريد مفتوح العين في الأول ــ وهو متعدٍ ــ ومكسور العين في الثاني ، ومثل له بقوله : « يقال : ثَبَرَهُ اللهُ فثَبِرَ ، أي : هلك وانقطع »[157] .

وقال : « والشبط من التشَبُّط ، كانفقير من الافتقار ، والقياس في فعلهما : شَبِطَ وفقُر »[158] .

وقد لايشيرالى باب الفعل ، ولكنه يمثل له ، فيعطي بالتمثيل بابه وذلك نحو قوله : « خَنَسَ يخنُسُ ويخنِسُ ، اذا أخّره وغيّبه»[159] .

وباب الفعل ، وحركة عينه مرهونة بدلالة الفعل ، ولذلك بنظر الزمخشري الى لفظ الحديث ومعناه ليقرن ذلك بضبط عين الفعل فيه ، ومن ذلك الحديث : « من أحبّ القرآن فليبشَرْ » ، وروي : فليبشُر »[160] . فالرواية الأولى بفتح العين ، والثانية بضمها . فالتي بالضم معناه : « أن يضمّر نفسه لحفظه ، فإن كثرة الطعام تنسيه إياه من بشر الأديم ، وهو أخذ باطنه بشفرة » .

في حين أعطى معنى الفعل بفتح العين من باب « فعِل يفعَل » ــ الرابع ــ أي كثلج يثلج ، والمعنى : البشارة بالثواب .

(157) 162/1 من الفائق .
(158) 163/1 منه .
(159) 115/1 منه .
(160) الفائق : 110/1 (بشر) .

وعني الزمخشري بمعنى المطاوعة في الفعل ، فأشار الى ما يصاغ من الابنية للمطاوعة ، كانفعل وتفعل ، وافتعل ، ومن ذلك قوله : « أمْرط مطاوع مرط يقال : مرط الشعر والريش إذا نتفه فامْرط ..»(١٦١) • ومثله (انقعر)(١٦٢) و (انجدل)(١٦٣) وغيرها •

وأشار الى شذوذ بعض الصيغ الفعلية المشتقة من « مَفْعَل » نحو تمدرع وتمسكن(١٦٤) • وأكثر الحديث عن صيغة (إفْعالّ وافعلل)(١٦٥) • وتناول في أكثر من موضع الصلة الدلالية بين (فعل وأفعل)(١٦٦) و (تفاعل وتفعل) وثقل التاءات في النطق ، وحذفها عند التخفيف(١٦٧) •

وتحدث عن صيغة « افتعل » من المهموز الفاء مثل « أزر » و « أمن» أو الذي فاؤه « ثاء » نحو : « ثجر » ، قال « واتّجروا على الادغام خطأ ؛ لأن الهمزة لاتدغم في الثاء ، وقد غُلّط من قرأ : « الذي أتُمِنَ » ، وقولهم : « اتّزر » عامي ، والفصحاء على : «إئتزر»(١٦٨) • وأما ما روي أن رجلاً دخل المسجد وقد قضى النبي ــ ص ــ صلاته ، فقال : من يَتّجر فيقوم فيصلي معه ، فوجهه : ــ إن صحت الرواية ــ أن يكون من التجارة ، لأنه يشتري بعمله المثوبة ، وهذا المعنى يعضده مواضع في التنزيل والأثر وكلام العرب •

---

(١٦١) نفسه : ١٦٣/٣ (قحد) .
(١٦٢) نفسه : ٢١٣/٣ (قعر) .
(١٦٣) نفسه : ١٩٣/١ (جدل) وانظر : ٢٢٢/١ (جفل) .
(١٦٤) نفسه : ٤٠٢/٣ (فيط) و ٧٠/١ .
(١٦٥) نفسه : ٣١/٢ (ربب) و ٤٠/٢ (رجس) و ٥٦/٢ .
(١٦٦) نفسه : ١٧١/٢٣ ــ ١٧٢ (قرم) .
(١٦٧) نفسه : ١٥٨/١ (تيع) .
(١٦٨) نفسه : ١/ ٢ ازر .

٥ ــ الزيادة والتجريد : لم يقف تنبيه الزمخشري على الصيغة ودلالتها ، بل عني بالإشارة الى ما كان جذراً ، وما كان زائداً على الجذر ، وعلاقة هذا المزيد بالدلالة ، وحروف الزيادة معروفة عند اللغويين، ــ وقد حصروها بحروف « سألتمونيها »[١٦٩] ، وقد كان المؤلف ألزم نفسه الوقوف على كل حرف يجد فيه حرفاً زائداً فيبيّن وجه الزيادة واطرادها أو شذوذها ، وما توجبه من معنى ، لذلك كان يشير الى مثل : « والالف والنون والياء المشددة المزيدات على «الفيلم» مبالغات في معناه »[١٧٠] . ومثل « الجوّاني : نسبة الى الجو وهو الباطن ، والبراني نسبة الى البر ، وهو الظاهر من قولهم للصحراء البارزة : برٌ وبرّية وللباب الخارج : برّاني ، وزيادة الألف والنون للتأكيد »[١٧١] .

وتزاد (الالف والنون) للنسب كما اوضح المؤلف في « الحلبانة والركبانة » قال زيدتا على الأصل وهو الحلب والركب كما زيدتا على سيف وعيروريع ، فقيل : سيفانة وعيرانة وريعانه ، « لتعطي معنى النسب »[١٧٢] .

وقد تزاد الأحرف لإلحاق بناء ببناء كما قال في زيادة النون في (رجح) فأصبحت (أرجحنّ) لتلحق « باقشعرّ »[١٧٣] .

وللزمخشري أصول وقواعد في معرفة الحرف الزائد ذكرها في أكثر من موضع ، وأهمها معرفة الزائد بالاشتقاق ، وبالعودة الى

(١٦٩) الجمل : الزجاجي : ٣٦٦ والتصريف (المنصف عليه) : ٩٨/١ والمفصل : ٣٥٧ .

(١٧٠) الفائق : ١٢٩/١ وانظر في (الرباني) : ٢٩/٢ (ربب) .

(١٧١) نفسه : ٢٤٧/١ (جوى) وانظر في [ظهران ونفسان وصيدلان) : ٤١/١ زيادة الألف والنون للتأكيد .

(١٧٢) نفسه : ٦٩/٣ (غفل) .

الأصل ، وبالدلالة ، وبوجود النظائر المشابهة للأصل ، ومما يأتي من النصوص يتضح ذلك •

قال[174] : « والنون في البُلَسُن » مزيدة مثلها في خلبن ورعشن، من الخلابة والرعشة » فاستدل على الزيادة بتجرد أصولها منها ، ويؤيد هذا ما قاله في (عنبسة) قال : عنبسة« : الأسد من العبوس، والنون زائدة ، ومثله غسل من العسلان »[175] •

وقال : « رهبوت ، هو بئر أو وادٍ — باليمن — أو اسم بلد فيه هذه البئر • قال : والقياس في تائها : الزيادة ؛ لكونها مزيدة في أخواتها الجائية على أمثالها ، مما عرف اشتقاقه ، كالتربوت والخربوت وغير ذلك»[176] •

فأشار الى نظائرها مما حكم على تاءاتها بالزيادة ، ولذا حكم على تاء « رهبوت » بالزيادة •

وقال في (الكركمة) : « الميم زائدة لقولهم : الكرك : للأحمر • قال أبو دواد :

كركلون التين أحوى يانع   متراكم الاكمام غير صوادي[177]

والزيادة قد تكون تعويضاً عن محذوف ، كما فسر وجود التاء في « عباهلة » و « فرازنة » و « صياقلة » و « زنادقة » لأنها من عباهيل وزناديق وفرازين : « فحذفت الياء وعُوِّضَتْ منها التاء »[178] • ومثل هذه التفسيرات والاحكام مبثوثة في كل مناسبة تعرض له •

(١٧٣) نفسه : ٣١/٢ (ربب) و ٤٠/٢ [رجس) و ٥٦/٢ •
(١٧٤) نفسه : ١٢٨/١ (بلسن) •
(١٧٥) الفائق : ١٦٨/١ •
(١٧٦) نفسه : ١٠١/١ •
(١٧٧) نفسه ٢٥٤/٢ (كرك) وانظر : ١٨٨/٢ « زيادة اللام في سلقد » •
(١٧٨) نفسه : ١٥/١ •

٦ ـ الاطراد والشذوذ : ويكثر الزمخشري من اطلاق حكم المطرد والشاذ والقياس والقليل ، والنادر والغريب على الظواهر اللغوية المختلفة ، ففي « تمسكن وتمدرع وتمندل » قال : « كان القياس تسكّن وتدرّع ، ونظيره شذوذاً : استحوذ عن القياس دون الاستعمال »[١٧٩] .

والتفريق بين القياس والشذوذ وأثرهما في الشيوع على اللسان العربي ، قلة وكثرة ، جانب مهم من جوانب اهتمامات الزمخشري فربما يكون مشهوراً في الاستعمال ضعيفاً في القياس ، وربما يكون العكس ، ولذلك نبّه المؤلف على ذلك في تضاعيف كتابه ، فقولهم[١٨٠] : « اتّغار واثّغار ، وهما لغتان في الافتعال من الثغر » أيهما اشيع في الاستعمال ، قال: « فإما أن تقلب الثاء تاء ، وهو المشهور في الاستعمال ، والقوي في القياس ، وإما أن تقلب التاء ثاء ، ومثل ذلك اتّار وإثّار ، واتّرد»[١٨١] .

والتنبيه على القياسي في الاستعمال هي أمانة علمية حرص المؤلف على أدائها في كل مناسبة ، ومن صور الاشارة اليه قوله : « قيل إطاء في وطاء ، نحو : إعاء في وعاء ، وآطاني في واطاني ، ونحو : وحد في : أحد ، وأناة في وناة ، شيعوا ذلك بقولهم : ابتطأ ، وإلا فالقياس : اتّطأ ، كاتدأ من ودأ . وأما قلبهم الهمزة التي هي لام ألفاً فنحو قوله : لا هناك المرتع ، وليس بقياس[١٨٣] .

(١٧٩) نفسه ٧٠/١ وانظر الشذوذ في الجمع ٩٨/٣ والشذوذ في القلب ١٤٧/٣ (فوت) .
(١٨٠) نفسه ١٦٧/١ (ثغر) .
(١٨١) وانظر : في الافصح والاشهر ١٠٤/٣ (فرق) .
(١٨٢) الفائق : ٦٩/٤ (وطا) .

ويبقى هذا الهاجس معه ينبه على القياس ، ويحذّر من الشذوذ وان كان الشاذ مستعملاً ، يقول في حديث ابن الحنفية — ع — : (كاد يذوّب لمته) أي : يشطها ويضفر ذوائبها .

« والقياس يذأّب ، لأن عين « ذؤابة » همزة ، ومنه قولهم : غلام مذأب ، له ذؤابة ، وأما ذوائب ، فوارد على خلاف القياس ، والقياس ذآئب ، وكأن يذوّب مبني على هذا [١٨٣] » .

ومن الاشارات الى غريب بعض الأحرف قوله : « النتط والنطط » : « هما حرفان غريبان ما جاءا إلا في حديث كعب — رضي — [١٨٤] » .

٧ — صيغ المشتقات ومعانيها : ومن اشاراته الكثيرة الظاهرة موضوع الصيغ والمشتقات ، واختلاف دلالاتها ، فقد ميز بين الاسم والصفة في نحو « البقوى ، قلبت الياء فيها واواً ، وكذلك مثل فعلى ، اذا كانت اسما كالتقوى والرعوى والشروى ، واذا كانت صفة لم تقلب ياؤها ، كقولهم : امرأة صديا وخزيا[١٨٥] » .

وقال في صيغة « مفعل » من الثج وهو السيل والصب الغزير : « وهذا لبناء الآلات ، فاستعمل فيمن يكثر منه الفعل كأنه آلة لذلك ، ومنه محرْب ، وميدْره مصقَع،وفرس مكر مفر[١٨٦] » وصيغة (فعل) — بفتح الفاء وكسرها — تختلف بالحركتين في الدلالة فإذا قلت (عندي عدْل غلامك) بالفتح ، كان المعنى غلاماً مثله واذا كسرت العين ، كان المعنى : قيمته من الدراهم والدنانير[١٨٧] .

---

(١٨٣) نفسه : ١٩/٢ (ذوب) وانظر مذهبه في قياس لام « ذو » أتكون ياء أم واواً ، ١٩/٢ [ذو] .

(١٨٤) نفسه : ١٧٨/١ (ننط) و٩٨/٣ [قرد] .

[١٨٥] نفسه : ١٢٤/١ (بقي) .

(١٨) الفائق : ١٦٣/١ (ثج) وانظر مثله في المكتمل : ٤٣٩/١ [دمل] .

(١٨٧) نفسه : ٣٩٩/٢ [عدل] .

وقال في صيغة « الفِعال » : « هذا البناء لما يفعل بـه كـثـيرا ، كقولك : الرّكاب لما يركب به ، والحِزام لما يحزم بـه ، ونظـائره جمّة »(١٨٨) .

وفي الاتجاه نفسه قال في (فُعال) بضم الفاء : « الخُفـات : ضعف الاستماع من خفوت الصوت ، وانما أخرجه على فعال ؛ لأنـه وزن اسماء الأدواء(١٨٩) » .

ولا ينسى المؤلف الإشارة الى الصيغة القياسية ، والصيغة الشاذة فينبه على استعمالها ، إن كانت شاذة ، فيقول معلّلاً :« المشنيئة : أي: البغيضة عن أبي الحسن اللحياني .

ورجل مشني ـ بالياء ـ والأصل : مشنوٌ ـ بالواو ـ ، وأنشد :
وصوتـك مشنـيّ الـيّ مكلّف .

وهذا شاذ ، لايقال في : مقروء : مقريّ ، ولا فـي مـوطوء : موطيّ ، ووجهه ـ على شذوذه ـ : أنه اذا خففت همزته ، فقيل : شنيء وشني ـ بالياء ـ قيل : مشني ، كمـا تقـول في : رحىً : مرحيّ : استبقيت الياء »(١٩٠) .

وعني ببيان أبنية المصادر ـ كثيراً ـ فقال ـ مثلاً ـ في «مرثية»: « هي في أبنية المصادر ، نحو المغفرة والمعذرة والمعجـزة »(١٩١) .
وقال : « اللائمة مصدر كالعافية والفاضلة ، ويجوز أن يكون صفـة للقالة والأحدوثة التي فيها لوم »(١٩٢) .

(١٨٨) نفسه : ٣٠/١ [ادم) .
(١٨٩) نفسه : ١٧٥/١ [خفت) .
(١٩٠) نفسه : ٢٦٥/٢ [شنأ) ؛ وانظر : ٢٨٢/٢ (صبو) .
(١٩١) نفسه : ٣٦/٢ (رثى) .
(١٩٢) نفسه : ٣٨/٢ (رئم) و٤٩/٢ و ٥٣/٢ (رد) و٢٦٠/٣ (كسا) .

ولست أريد أن أستقصي كل ما أشار اليه من الصيغ والأبنية ومدلولاتها ، لأنها كثيرة جداً ، وما في أوردناه ــ هنا ــ كفاية ، وفيه دلالة على عناية أبي القاسم الزمخشري به .

٨ ــ عني الزمخشري باللهجات ــ على اختلاف أنواعها ــ ، منها لهجات عربية جزرية ومنها لهجات محلية ، ومنها لحن العوام ، ومنها لهجات مذمومة ، وتمثل هذه العناية ظاهرة بارزة في منهج المؤلف ، ويستطيع باحث أن يلمّ بنصوص مختلفة منها ، فيخرج ببحث لغوي نافع متعدد الجوانب اللهجية في العربية . ونودّ أن نشير الى بعض النصوص المختلفة تمثل جانباً من عناية المؤلف .

قال في « حراء » : « من جبال مكة معروف ، ومنهم من يؤنثه ، فلا يصرفه ، وللناس فيه ثلاث لحنات ، يفتحون حاءه ، وهي مكسورة ، ويقصرون ألفه وهي ممدودة ويميلونها ، ولا يسوغ فيها الإمالة ، لأن الراء بلغت الألف مفتوحة ، وهي حرف مكرر ، فقامت مقام الحرف المستعلي ، ومثل : رافع وراشد لايمال »(١٩٣) .

وعني بلهجات القبائل العربية الفصيحة كتميم والحجاز وهذيل وسعد وغيرها ومن ذلك قوله : «آخه وأودِ دْهُ» قال : « ودّه واوددْهُ » ، نحو : عضّه واعضضه ، أي : حبّه ، والادغام تميمي ، والإظهار حجازي »(١٩٤) .

وكذلك عني باللهجات العربية المذمومة ، كالكشكشة والاستنطاء والكسكسة والعنعنة ، والعجعجة ، ومن ذلك قوله : « ولا مانع لما أعطيت .. وروي : لما انطيت ولا منطي لما منعت .. » ثم قال :

(١٩٣) الفائق : ١٧٢/١ [حرا] .

(١٩٤) نفسه : ٦/٤ وانظر : ٣٠٠/٣ [لب] وانظر في لغة هذيل : ٢٢/٣ (علق) و ١٣٥/١ و ١٣٨ .

« الإنطاء : الإعطاء بلغة بني سعد »(١٩٥) ونسبها في موضع آخر الى اليمن (١٩٦) .

ومما ينضوي تحت موضوع اللهجات المذمومة اللهجة القليلة الاستعمال ، كالتي يحصل فيها تبدلات صوتية غير شائعة في الجزيرة كإبدال الحاء عيناً ، أو إبدال الجيم « كافاً » . ومن ذلك قوله : « هو رجل عريض الكبهة .. » قال : « أراد الجبهة فأخرج الجيم بين مخرجها ومخرج الكاف، وهو أحد السبعة التي ذكرها سيبويه: أنها غير مستحسنة ولا كثيرة في لغة من ترتضى عربيته(١٩٧) .

أما اللهجات المحلية فقد حظيت بعناية الزمخشري كثيراً ، وأكثر إشاراته الى اللهجة اليمانية ، واللهجة الشامية ، والبغدادية — أو أهل العراق — والحميرية ، فأما عنايته بلغة اليمن فهي ظاهرة واضحة ، ومن ذلك قوله : « فوهب له معجزة ، فسمي ذا المجزة ، وهي المنطقة بلغة أهل اليمن ، كأنها سميت بذلك لأنها تلي عجز المتنطق »(١٩٨) .

وأما لهجة أهل الشام ، فالإشارة اليها لاتقل عن اشاراته الى لهجة أهل اليمن ، ومن ذلك : « القديديون : هم تباع العسكر من الصناع نحو الشقاب والحداد والبيطار بلغة أهل الشام، كلهم سموا بذلك لتقدد ثيابهم ، ويشتم الرجل فيقال له : يا قديدي ، وهو مبتذل في

[١٩٥] نفسه : ١/١٩٢ — ١٩٣ ، وانظر : ٢/١٩٠ (صدع) و ٤/٧٠(وطد).
(١٩٦) نفسه : ١/١٨ .
(١٩٧) نفسه : ٣/٢٤٥ [كبهه).
(١٩٨) الفائق : ٢/٣٩٧ [عجز) . وانظر : ٢/٣٨٠ و ٢/٣٧٦ و ٤/٤٢ (وثب) . وانظر : ٢/٤٢ قصة زيد بن عبيدالله ووثوبه من أعلى القصر. و١/٤٢٨ (دفأ) .
[١٩٩] الفائق : ٣/١٦٨ (قدد) . وانظر : ٣/٦٠ (غرقد) . و١/١٤٠ (بهر) و ١/١٤٦ . و٢/٥٦ (رسب) .

كلام الفرس ـ أيضاً ـ »[199] . وقوله : « المدماك الصف والحجارة: ساف عند أهل العراق .. »[200] .

وكثرت إشاراته الى اللغات السامية كالحبشية والحميرية والسريانية والعبرية ، ومـن ذلك قوله في المسيح : « هو بالعبرانية مشيحـا ، فعرب . كما قيل في موشي : موسى »[201] . وقـال في (البرسام) : « معناه الموت ، وبِرْ بالسريانية : الابن ، وقد تصرفـت فيـه العرب ، فقالوا بلسام وجرسام »[202] .

وذكر ألفاظاً نسبها الى لغة حمير[203] والحبشة[204] .

أما لحن العامة والتوليد في الالفاظ ، فقد نال قسطاً من عنـايته ، وسمّى بعض اللحن بـ « لحن المحدَّثين »[205] تمييزاً لهم عن « لحن العامـة » وقد يعبر عن الأخـير بقـوله : « أما رُعيف فعاميـة ملحونـة »[206] .

ولم يكتف الزمخشري بالاشارة الى الملحون من التراكيـب أو الأبنية ، بل كان يصحح بعضها ، ومـن ذلك قـوله : « المهاوشـة المخالطة على وجه الأفساد من الهوش . وقول العامة شوشت عليّ إنما هو هوشت ، أي خلطت وأفسدت[*] .

وفي معنى « قرقرة وجهه » نقل عن السدي قولاً في دلالة (قرقرة) بأنها مستعارة من « قرق المرأة ، وهو لباس لها » .

---

(200) الفائق : 1/440 (دمك) .
(201) الفائق : 3/6 [مسح] .
(202) نفسه : 2/144 [سام] و 2/389 (صحن) .
(203) نفسه : 2/199 [سمد] .
(204) نفسه : 2/215 [سيم] و 276 (طير) .
(205) نفسه : 2/42 (رجس) .
(206) نفسه : 2/5 و 12 .
(*) نفسه : 4/32 (هوش) .

فقال الزمخشري : «ولا أرى القرقر بمعنى اللباس مسموعاً عن الموثوق بعربيتهم ، ولا واقعاً في كلام المأخوذ بفصاحتهم وانما يقع في كلام المولدين نحْو قول أبي نواس :

وغـادة هـاروت فـي طرفهـا والشمس في قرقرها جانحـه

وقيل : الصحيح هو : القرقل ، والوجه العربـي ما قدمته ، والتـاء للتخصيص مثلها في عَسَلَةٍ ونبيذةٍ »[٢٠٧] .

٩ ـ الصوت والدلالة : ومن الموضوعات التي لم يغفـل الإشـارة اليها ، والالمام ببعض ظواهرها قضية الصوت ، وتبدلاته ، وعلاقة ذلك بالمعنى، ثم ما يحصل في أصوات المادة من قلب مكاني .

ولقد سبقت الإشارة الى هذا الجانب بشكل أكثر إفاضة ، ولكننـا ـ هنا ـ وددنا التنبيه على الموضوعات التي تناولها بشكل موسوعي، فأتحف كتابه الممتع بها ، ونكتفي ببعض النصوص ننقلها مـن خـلال تفسيراته للسواد .

ـ قال : « في الحديث : فمَنْ تطتَنُّ ؟ قلب تاء الأفتعال من « ظنّ » طاء لاطباق الظاء روماً للتناسب ثم أدغمت الظاء في الطاء ، كقولك: أطّلم ، ويجوز قلب الطاء ظاء ثم الادغام ، كقولهم : اظّلم والبيـان كقولهم : اظطلم ، وجاء في بيت زهير :

ويظلـم أحياناً فيظلّـم

الأوجه الثلاثة ، وهو مشروح في كتاب «المفصل مع نظائره»[٢٠٨] .

والشاهد الذي أورده هو لزهير ، وتمامه :

هو الجواد الذي يعطيك نائلـه عفواً ويظلم أحياناً فيظلّم[٢٠٩]

ـ قال : « اللام في سلقد محكوم بزيادتهـا ، مثلها في كلصـم بمعنى

(٢٠٧) الفائق : ١٧٦/١ (قرقر) .
(٢٠٨) نفسه : ٢٤٣/٢ (ظلم) . وشرح المفصل : ٤٧/١٠ .
(٢٠٩) ديوان زهير : ١٥٢ .

كصم ، إذا فرّ ونفر ، ولعل الدال في هذا التركيب معاقب للطاء ؛ لأنّ التضمير إسقاط لبعض السمن ، إلا أن الدال جعلت لها خصوصية بهذا الضرب من الاسقاط »[٢١٠].

وأراد أن الدال في سلقد تعاقب الطاء ، فيقال : سلقط ، وهو مأخوذ من « سقط » واسقاط السمن بمعنى التضعيف ،ولكن للدال خصوصية في إعطاء الدلالة في هذا التركيب ، فسلقد ، تعني : ضمّر ، وضعّف.

ومن أمثلة التبدل الصوتي ، والقلب المكاني قوله : « له آدى شيء وأعدُه » ويجوز أن يكون الأصل : آيدَ شيء وأعتده،فقيل :آدى على القلب كقولهم : شاكٍ في شائك ، وأعدّ على الادغام كقولهم ودّ في وتد »[٢١١] . وقوله في لفظ (تشتر) الذي يعني : تجتر ، « وقلبت جيم تجتر شينا لتقاربهما »[٢١٢] .

١٠ ــ تعدد اللغات : ونعني به اختلاف لهجات العرب الفصحاء في ضبط المفردات وحركتها ــ كالفعل ، نحو : « لم يرح رائحة الجنة » : « فيه ثلاث لغات :راح يريح كباع يبيع ، وراح يراح ، كخاف يخاف، وأراح يريح ، اذا وجد الرائحة ، وقد جاءت الرواية بهن جميعا »[٢١٣]. وقال في الفعل (عُدْتَ) : « وللعرب في عُدْتَ يا مريض : ثلاث لغات الكسر والضم الخالصان ، والاشمام »[٢١٤] .

وقال في « غمص وغمط » : « لغتان ، فَعَل يَفْعُل وفعِل يفعِل »[٢١٥] .

---

(٢١٠) الفائق : ١٨٨/٢ .
(٢١١) الفائق : ٣١/١ [آدى) وانظر : ٦٧/١ و ٩٣ .
(٢١٢) نفسه : ١١٣/١ وانظر : ١٥٧/١ .
(٢١٣) نفسه : ٨٩/٢ (روح) .
(٢١٤) نفسه : ١٧١/٢ (سد) .
(٢١٥) نفسه : ٢٨٢/٢ (سمه) .

يريد من البابين الأول والسادس : « نصر ينصر وحسب يحسب »

ومن اللغات في الاسماء قوله : « حَيْري دهر » أي : أبداً ، وفيه ثلاث لغات : حيريّ دهر ، وحيريَ دهر بياء ساكنة ، وحَيْـريَ دهر بياء مخففة »[٢١٦] ، ومثله : « السِّقْط : الولد يسقط قبل تمامه، وفي حركة فائه ثلاث لغات[٢١٧] ، ويريد الضم والفتح والكسر .

١١ ـ تعليل تسمية الاشياء :

من الظواهر العلمية اللغوية ، محاولة المؤلف تعليل تسمية الاشياء بالاسماء المختلفة ، وهذه الظاهرة طاغية على المباحث اللغوية في تضاعيف الفائق ، والنصوص الآتية تعطينا صورة واضحة عن ذلك ، ومن ذلك قوله[٢١٨] : « طلقوا لي غمري ـ » : « هو القدح الصغير سمي بذلك ؛ لأنه مغمور بين سائر الأقداح ، ومنه تغمرت الابل إذا شربت قليلاً » .

وقوله : « الحزرات جمع حزْرة ، وهي خيار مال الرجل يحزره في نفسه ، كأنها سميت بالمرة من الحزر ؛ ولهذا المعنى أضيفت الى الأنفس ، والشارف : الناقة المسنة ، وهي بينة الشروف سميت لعلو سنها .. »[٢١٩] .

واستعمل هذا الأسلوب في بيان سبب تسمية الأعلام مثل «قريش» و « القدادين » و « مجمع » .. وغير ذلك[٢٢٠] .

---

(٢١٦) نفسه ٢/٣٥٨ .

(٢١٧) الفائق ٢/١٨١ [سقط] .

(٢١٨) نفسه : ٣/٧٥ [غمر] .

(٢١٩) الفائق ١/٢٨ (حزر) .

(٢٢٠) انظر من الفائق ٣/١٦٨ (قدد) و ٣/١٨٣-١٨٤ (قرش) . و٣/٨٨ و ٩٨ .

كلمة أخيرة

كتاب الفائق موسوعة لغوية ، وعلمية ، وتشريعية ، لما تميز به من تفسير لظواهر اللغة المتنوعة ، وما جاء به من إضاءات علمية وفوائد معرفية متنوعة تدل على سعة علم الزمخشري ، واطلاعه الجم على المعارف والثقافات العربيــة والاسلاميــة ، فضلاً عن أن الكتاب وضعه المؤلف أصــلاً لتفسير مفردات غريب الحديث والغرض منه ، ولا سيما الأمور الشرعيـة ، في العبادات والمعاملات .

وخلال قراءة الكتاب لاحظت أن ثمة أموراً قليلة ، يمكن أن يكــون الزمخشري قد اشتط فيها ، أو لم يعطها حقها من العناية ، وهي أمور قليلة جدا ، بحيث لا يستبين لها أثر واضح في جنب الكثير الذي قدّمه لقــراء الفائق ، وسنشير الى بعض ذلك .

لقد أعطى الزمخشــري كل شيء حقّه من البحــث والاستقصــاء والاستقراء والتتبع ، فقد مثل لكلّ ظاهرة بما يناسبهــا من الشــواهد والأمثلة المصنوعة ، وبالغ ـ أحياناً ـ فاستقرى الأمثلة والنظائر : ونوّع أبحاثه وموضوعاته فجعلها تتنقل من درس الى درس بشكل استطــرادي جميل يحمل بين طياته فوائد علمية مختلفة .

وأدلى بآرائه المختلفة في موضوعات اللغــة ، والديــن ، وناقش رجالهمـا مناقشــة تدلّ على طول باع ومكنة علمية ومعرفيــة دقيقــة وأصيلــة .

لقــد وجّه الزمخشري بعض عباراته الناقدة لآراء اللغويين واتجاهاتهم ، كما فعل مع الأصمعي في ردّه على سيبويه ، في حين أخــذ بــرأي ابن الأعرابي في تفسيره بعض مفردات اللغة ، وفي روايته لكلام العرب ، وعدّه :

« الثقة المأمون » وأشاد بالخليل بن أحمد وعلمه في أكثر من موضع وقد أشرنا الى ذلك كله خلال البحث .

واجتهادات المؤلف كثيرة ــ في تضاعيف الفائق ــ وهي اجتهادات يحتملها الموضع ــ في بعض الأحيان ــ مثل قوله في حديث الزبير ــ رضي ــ « رهيش الثرى » بالشين ، بمعنى المنهال او المنثال من التراب وهو من الارتهاش بمعنى الأضطراب . قال : « ولو روي : الرهيس ــ بالسين ــ من الرهس وهو الوطء على هذا المعنى لكان وجهاً ،لأن النازل يطأ الثرى »[(١)] .

فالرواية التي اجتهد فيها لم ترد على ألسنة المحدّثين ، ولا تكلم بها أحد غيره ، ولكنه تمنى لو أنها رويت بهذه الصيغة ، لناسبت المعنى الذي ذهب اليه ، وعلى ذلك ــ أيضاً ــ . ومثل هذه الافتراضات ظاهرة واضحة في منهج المؤلف ، ومثلها اقتراحه كون « موغرين » في حديث عائشة : « مغوّرين » من التغوير ، وهو النزول للقائلة ، قال : لأن هذا المعنى « شديد الطباق لهذاالموضع ، لولا الرواية » . ثم أنحى باللائمة على «تحريف النقلة» قال : « ان تحريف النقلة غير مأمون لترجل كثير منهم في علم العربية ، والاتقان في ضبط الكلم مربوط بالفروسية فيه »[(٢)] . ولذلك لايرى بأساً من تلحينهم في بعض مواقفه كما فعل في قوله : « المهى أ المحدّد ، وهو من المهي ، مقلوب ورواه المحدّثون : مهم الناب بسيمين ، وقدلحنوا »[(٣)] .

وكما أخذ الزمخشري على اللغويين والمحدّثين بعض المآخذ نرى أنه لم يخل في بعض مواقفه من الهفوة التي يؤاخذ عليها ، فمثل قوله في « العيبّة » يفسر حالاتها التي انتقلت من خلالها الى هذا اللفظ ، أكانت من « العباب » أو من « عباه » بمعنى هيأه ؟ فقد تداخلت عباراته ، ثم ترك

(١) الفائق : ٣٢/٢ (ربب) .
(٢) نفسه : ٧٣/٤ (وغر) .
(٣) نفسه : ٤٢/٢ (رحس) .

الكلام عائماً دون أن يقف على تفسير معين ، وربطها بلفظ « الأبية »

وافترض لها أصلين ـ أيضاً ـ وهما « الاباب » و « الإباء » [4]، ومثل ذلك قوله : « بأرض عزوبة » قال : «العزوبة : البعيدة المضرب الـى الكلأ، فعولة من « عزب » ، إذا بعد ، ودخول التاء ، نحو دخولها في « امـرأة فروقة وملولة » ، أعني المبالغة لا للتأنيث ؛ لأنّ فعُولاً يستوي فيـه المذكر والمؤنث ، كقولك : شكور وصبور ، لهما • ويصـدق أن دخـولها للمبالغة قولهم للرحل فروقة وملولة »[5] •

فقد عدّ « التاء » في امرأة «ملولة» للمبالغة ، وأكد ذلك بأنها دخلت كذلك على المذكر ، فقيل : « رجل ملولة » ويصدق قوله في المذكر ، ولكنه في المؤنث هي للتأنيث تأكيداً • ومن ذلك قول الشاعر[6] :

فتاتـان أما منهمـا فشبيهـة ... هلالاً والأخرى منهما تشبه البدرا

فتاؤها كتاء شبيهة .• وأورد «ملولة» في «أساس البلاغة» فقـال : « ورجل ملول وملولة »[7] • وفسر ابن فـارس « فروقـة » بشحـم الكليتيـن[8] •

ومما رأيته قد اشتط فيه عن الجادة تشبيهه زيادة الهمزة في «أهراق» بزيادة « السين » في « استطاع »[9] ، وليس بينهما أي وجه للتشبيه ، ففي « إهراق » همزة فريدة ، وهمزة منقلبة هاء ، لأن الاصل : « أراق » وأما استطاع ، فالهمزة والسين والتاء فيها مزيدة على (طوع) ، واذا كـان المراد « اسطاع » فربما كانت السين مزيـدة على (أطـاع) ، أو أن التاء

(٤) انظر : الفائق ٣٨٤/٢ (عيب) .

(٥) الفائق : ٤٢٤/٢ (عزب) .

(٦) انظر : شرح ابن الناظم : ١٦٤ وشرح العمدة : ٦٨ .

(٧) أساس البلاغة : «ملل» : ٩١٥ .

(٨) المجمل : ٧١٨/٣ (فرق) وفي اللسان خص المبالغة والتكثير بالمذكـر : ١٨٠/١٢ (فـرق) .

(٩) الفائق : ١/٢ (سهل) .

حذفت من (اســتطاع) تخفيفاً ، ولــذا نرى أن لا وجــه للتشبيه بــين الزيادتــين .

وأخيراً فإن الترتيب الذي نهجه الزمخشري في وضــع عنوان الباب هو ذكر الحرف الأول من المادة ثم الحرف الثاني ، نحــو باب « النــون والبــاء » مثل : « نبر » و « نبح » ، و « نبز » ..الخ ، ولكنه قــدّم العين على الفاء في الباب في موضع واحد ، فقال في باب « العين والطــاء » : « باب الطاء والعين » وردج في ضمنــه : « عطــاء ــ عطــل ــ عطــب عطف»[10] ، ولعل ذلك قد وقع سهواً منه ، أو خطأ مطبعياً . ثم هو بعــد ذلك لايلتزم ما بعد الحرف الثاني فقد يأتي ما بعده حرفاً متقدماً وقد يكون متأخراً ، كما ترى في : شرح ــ شره ــ شرم ــ شرف . فجعل الحاء ثــم الهاء ثم الميم ثم الفاء ، وذلك كله لم ينتظمه الترتيب الألفبائي .

* * *

(١٠) نفسه : ٤٤٦/٢ .

المصـادر والمراجـع

- القرآن الكريم .
- أبحاث ونصوص في فقه اللغة العربية ـ الدكتور رشيد العبيدي ـ طبعة وزارة التعليم . بغداد : ١٩٨٨م .
- اتحاف فضلاء البشر في قراءات الأربعة عشر : للشيخ أحمد بن محمد بن أحمد الدمياطـي الشافعي المعروف بالبنـاء (١١١٧ هـ) : ـ مصر : ١٣٥٩هـ .
- الأحاجي النحوية : أبو القاسم الزمخشري : تح : مصطفـى الحدري ـ ط : مكتبة الغزالي : ١٩٦٩ حماة .
- أخبار النحويين البصريين : أبو سعيد الحسـن بن عبدالله السيرافي (٣٦٨ هـ) ـ ط : الكاثوليكية ـ بيروت : ١٩٣٦م .
- أساس البلاغة ـ الزمخشري ـ ط ـ الشعب ـ مصر .
- أسرار البلاغة : عبدالقاهر الجرجاني (٤٧١هـ) ـ الاستقامة ١٣٦٩هـ ـ مصر .
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب : ابن عبدالبرّ القرطبي (٤٦٣هـ) ـ هامش كتاب الإصابة ـ مصر : ١٣٢٣هـ .
- الأشباه والنظائر : للسيوطي (٩١١هـ) ـ ط : ٢ ـ حيـدر آباد ـ ١٣٥٩هـ و ١٣٦١هـ .
- الأضداد : ابن الآنباري (٣٢٨هـ) تح : أبو الفضل . ط : الكويت : ١٩٦٠م .

ـ الأضداد في كلام العرب : أبو الطيب اللغوي (٣٥١هـ) تح : عزة حسن ـ دمشق : ١٣٨٢هـ / ١٩٦٣م .

ـ الاعلام : الزركلي ـ ط : ٢ دار إحياء الكتب العربية ـ ١٩٥٧م .

ـ الأغاني : أبو الفرج الأصفهاني (٣٥٦هـ) ـ ط الساسي ـ و ط : دار الكتب : ١٩٥٦ـ مصر .

ـ الآمالي : ابن الشجري (٥٤٢ هـ) : ط : حيدر آباد الدكن : ١٣٤٠هـ .

ـ الآمالي : ابن الشجري (٥٤٢هـ) : ط : حيدر آباد الدكن : ١٣٤٤هـ/١٩٢٦م .

ـ أمالي : المرتضى علي بن الحسين (٤٣٦هـ) : تح : أبو الفضل ط : ٢: ١٩٦٧م ـ بيروت .

ـ الأمثال : لأبي فيد مؤرج بن عمرو السدوسي : (١٥٩هـ) : تح : رمضان عبدالتواب ـ ط : الهيأة المصرية : ١٣٩١هـ : ١٩٧١م .

ـ أنباه الرواة : القفطي : (٦٤٦هـ) : تح : أبو الفضل ـ ط : دار الكتب : ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠ .

ـ الانصاف في مسائل الخلاف : الأنباري (٥٧٧هـ) تح : محمد محيي الدين : ١٣٨٠هـ ـ مصر .

ـ أوضح المسالك : ابن هشام (٧٦١هـ) : تح : محمد محيي الدين : ١٩٦٦م ـ بيروت .

ـ ايضاح المكنون : اسماعيل باشا البغدادي : ١٣٣٥هـ .

ـ البحر المحيط : ابو حيان : (٧٤٥هـ) : ط : السعادة : ١٣٢٨هـ . مصر .

ـ البداية والنهاية : ابن كثير : (٧٧٤هـ) : ط : السعادة : ١٣٥٨هـ • مصر : ١٩٦٦م •
ـ بديع القرآن : ابن أبي الأصبع : (٦٥٠هـ) تح : مغني محمد شرف ـ ط : مصر •
ـ بغية الوعاة : السيوطي (٩١١هـ) : تح : أبو الفضل : ط : ١ ، عيسى البابي : ١٩٨٤هـ : ١٦٩٤م ـ مصر •
ـ البلغة في تاريخ أئمة اللغة : الفيروز : (٨١٧هـ) : تح : محمد المصري : ١٩٧٢م ـ ط : دمشق •
ـ تأويل مشكل القرآن : ابن قتيبة (٢٧٦هـ) : تح : سيد صقر : ١٣٧٣هـ ـ مصر•
ـ تحرير التحبير : ابن أبي الأصبع : تح : حفني محمد شرف ـ ط : مصر•
ـ تخليص الشواهد : ابن هشام (٧٦١هـ) : تح : ده عباس مصطفى الصالحي : المكتبة العربية ـ بيروت •
ـ تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد : ابن مالك (٦٧٢هـ) : تح : محمد كامل بركات : ١٣٨٧هـ : ١٩٦٧م ـ مصر •
ـ التصحيف والتحريف : العسكري : (٣٨٢هـ) : تح : عبدالعزيز أحمد : سنة : ١٣٨٣هـ ـ مصر •
ـ التنبيه على غلط الجاهل والنبيه : ابن كمال باشا (٩٤١هـ) تح : الدكتور رشيد العبيدي ـ مجلة المورد : العدد الخاص بالقرن الخامس عشر الهجري: عام ١٤٠١هـ : بغداد ـ وزارة الاعلام •
ـ تهذيب اللغة : الأزهري (٣٧٠هـ) : تحقيق عبدالسلام هرون وجماعة : ١٣٨٤هـ ـ ١٣٨٧هـ ـ مصر •

- تهذيب اللغة : الأزهري (الجزء المستدرك على : ٧ ، ٨ ، ٩) تح : الدكتور رشيد العبيدي : ط : الهيأة العامة ١٩٧٥ ــ مصر •
- تيسير الوصول إلى جامع الأصول من حديث الرسول : عبدالرحمن بن علي (ابن الديبع الزبيدي : ٩٤٤هـ) ،• ط : دار الاتحاد العربي • ١٩٦٨م ــ القاهرة •
- جمهرة الأمثال : العسكري (٣٩٥هـ) : تح : أبو الفضل وعبدالمجيد قطامش ــ الأولى ١٩٦٤ ــ مصر •
- جمهرة اللغة : ابن دريد (٣٢١هـ) : تح : كرنكو ــ ط : حيدر آباد ــ الدكن ــ ١٣٤٥هـ •
- حماسة أبي تمام (٢٣١هـ) : بشرح المرزوقي (٤٢١هـ) : نشــر : أحمد أمين ، وعبدالسلام هارون ــ ط : ١ ــ ١٩٥١م : القاهرة •
- الحيوان : الجاحظ (٢٥٥هـ) تح : هرون ــ ١٣٥٧هـ ــ مصر •
- خزانة الأدب : البغدادي (١٠٩٣م) ط : ١ ــ ط : الأميرية ــ بولاق ــ مصــر •
- خزانة الأدب ــ ابن حجة الحموي (٨٣٧هـ) ــ ط : مصر •
- الخصائص : ابن جني (٣٩٢هـ) : ط دار الكتب ــ تح : النجــار : ١٣٧١هـ ــ ١٣٧٦هـ ــ مصر •
- الدرر اللوامع : الشنقيطي ــ ١٣٢٨ ــ مصر •
- ديوان ابراهيــم بن هرمة : تح : المعيبد ــ ط : الآداب ــ النجف ١٩٦٩م •
- ديوان الأعشى : تح : محمد حسين ــ القاهرة ــ النموذجية •
- ديوان الحطيأة : تح : نعمان أمين طه ــ مصطفى البابي ــ مصر •

- ديوان ذي الرمة :تصحيح : كارليل هنـري هيس ـ ط : كمبرج ١٩١٩م .
- ديوان رؤبة بن العجاج : تح : وليم بن انورد : لايبسك : ١٩٠٣م .
- ديوان زيد الخيل : صنعة د. نوري القيسي ـ ط : النعمان ـ النجف .
- ديوان العجاج : تح : عزة حسن ـ ط : دار الشرق ـ بيروت ١٩٧١م.
- ديوان النابغة : تح : د. شكري فيصل ـ دار الفكر ـ بيروت .
- ديوان الهذليين ـ الدار القومية للطباعة والنشر ـ ١٩٦٥ ـ القاهرة .
- الروض المعطار في خبر الأقطار : أبو عبدالله الحميري (٧٢٧هـ) ـ تح : د. إحسان عباس ـ ط مؤسسة ناصر للثقافة : ط ١٩٧٥ .
- سر الفصاحة : ابن سنان الخفاجي الحلبي (٤٦٦هـ) : تح : علـي فودة ـ ط : ١ : ١٩٣٢م ـ مط : الرحمانية ـ مصر .
- شذرات الذهب : ابن العماد الحنبلي (١٠٨٩هـ) : بيروت ـ ط : المكتب التجاري .
- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك : علي بن محمد (٩٢٩هـ) ـ ط : دار إحياء الكتب العربية .
- شرح شذور الذهب : ابن هشام (٧٦١هـ) : تح : محمد محيالدين ط : ١٩٦٥ ـ السعادة ـ مصر .
- شرح شواهد المغني : السيوطي ـ ط : دمشق : ١٩٦٦ .
- شرح ابن عقيل (٧٦٩هـ) على ألفية ابن مالك : (٦٧٢هـ) تح : محمد محيالدين ـ ط : سنة ١٩٥٦م ـ السعادة ـ مصر .
- شرح الكافية : الرضي الاستراباذي (٦٨٦هـ) ـ دار الكتب العلمية ـ بـيروت .

- شرح المفصل : ابن يعيش (٦٤٣هـ) ـ المطبعة المنيرية ـ مصر .
- شرح ابن الناظم بدرالدين بن مالك (٦٨٦هـ) ـ بيروت : ١٣١٢هـ .
- كتاب الصناعتين : أبو هلال العسكري : (٣٩٥هـ) ـ تح : البجاوي وأبو الفضل ـ ط : ١ : ١٩٥٢م ـ عيسى البابي .
- طبقات النحاة واللغويين : ابن قاضي شهبة : (٨٥١هـ) تح : د. محسن غياض ـ النعمان بالنجف : ١٩٧٤م .
- طبقات النحويين واللغويين : أبو بكر الزبيدي (٣٧٩هـ) : تح : أبو الفضل ـ دار المعارف ١٩٧٣ ـ مصر .
- الطراز : يحيى بن علي العلوي (٧٤٩هـ) : ط : القاهرة .
- أبو عثمان المازني ومذاهبه في الصرف والنحو : رشيد عبدالرحمن العبيدي ـ مط : سلمان الأعظمي ـ بغداد : ١٩٦٩م .
- العمدة : ابن رشيق : (٤٥٦هـ) : تح : محمد محي‌الدين ـ ط : ٤ : ١٩٧٢ ـ بيروت .
- عمدة الحافظ وعدة اللافظ : ابن مالك : (٦٧٢هـ) : تح : عدنان الدوري ـ مط : العاني ـ بغداد .
- الفائق في غريب الحديث : الزمخشري : تح : البجاوي وأبو الفضل : ١٩٤٥ ـ ١٩٤٨ ـ ط : عيسى البابي ـ مصر .
- الفهرست : ابن النديم (٣٧٨هـ) ـ ط : لايبزك .
- فوات الوفيات : ابن شاكر الكتبي (٧٦٤هـ) : تح : محمد محي‌الدين ـ مط : السعادة ـ ١٩٥٩ ـ مصر .
- القاموس المحيط : الفيروز آبادي (٨١٧هـ) ـ مؤسسة الطباعة ـ ١٩١٣م ـ مصر .

- كتاب سيبويه (١٨٠هـ) ـ ط : الأميرية ببولاق : ١٣١٦هـ : مصر •
- الكشاف : الزمخشري • ط : دار الكتاب العربي ، بيروت ـ لبنان •
- كشف الظنون : حاجي خليفة (١٠٦٧هـ) ط : استانبول : ١٩٤١م •
- اللباب : ابن الأثير (٦٣٠هـ) ـ تصوير مكتبة المثنى ـ بغداد •
- لحن العوام : أبو بكر الاشبيلي (٣٧٩هـ) : تح : د• رمضان عبدالتواب : ط : ١ ـ ١٩٦٤ ـ مط : الكمالية •
- لسان العرب : ابن منظور (٧١١هـ) ـ ط : بولاق • مصر •
- مجمع الأمثال :الميداني (٥١٨هـ) : تح : محمد محي‌الدين ـ السعادة ـ مصر : ١٩٥٩م •
- المجمل : ابن فارس (٣٩٥هـ) : تح : زهير عبدالمحسن سلطان : ط : بيروت •
- المختار من صحاح اللغة : ابو بكر الرازي (بعد سنة : ٦٦٦هـ ط : دار الرسالة : الكويت •
- مرآة الجنان : أبو محمد اليافعي اليمني المكي (٧٦٨هـ) : ط : ١ ـ مط :دار المعارف ـ حيدر آباد الدكن ١٣٣٩هـ •
- المزهر : السيوطي : تح : جادالمولى والبجاوي ، وأبو الفضل • مط : عيسى البابي ـ مصر •
- المستقصى : الزمخشري : تصح : محمد عبدالرحمن ـ ط : حيدر آباد ـ الدكن : ١٣٨١هـ / ١٩٦٢م •
- معجم الأدباء : ياقوت الحموي (٦٢٦هـ) ـ مط : هندية بالموسكي ـ مصر ـ تح : مار جليوث / الثانية •

- معجم البلدان ـ ياقوت ـ دار صادر ـ بيروت : ١٩٥٦م •
- المعرب : الجواليقي (٥٤٠هـ) : تح : أحمد محمد شاكر ـ ط : دار الكتب : ١٩٦٩م : مصر •
- مغني اللبيب : ابن هشام : تح : محمد محي الدين ـ مط : المدني ـ القاهرة •
- مفاتيح العلوم: أبو عبدالله الخوارزمي (٦٢٦هـ) : مط : المنيرية ـ ط : ١ : ١٣٤٢هـ • مصر •
- المفصل : الزمخشري : تح : محمد محي الدين ـ مط : حجازي بالقاهرة•
- المقاصد النحوية ـ بدرالدين محمود العيني (٨٥٥هـ) ـ هامش الخزانة •
- مقاييس اللغة : ابن فارس : (٣٩٥هـ) : تحقيق : هرون ـ مصر •
- وفيات الأعيان : ابن خلكان : (٦٨١هـ) : ط : محمد محي الدين ـ مصر•

* * *



الفهـرس الكشـاف

يضم الاعلام والمواضع والبلدان ، والمصطلحات العلمية واللغويـة ، والمصنفات مرتبة على الألفباء • ولم نشر إلى اسم الزمخشري ولا كتـابه الفائق لترددهما في معظم صفحات الكتاب •

(الهمـزة)

(البــاء)

(التـاء)

(الثـاء)

(الجيــم)

(الحـاء)

(الخـاء)

(الـدال)

(الـذال)

(الـراء)

(الـزاي)

(السين)

(الشين)

(الصاد)

(الضــاد)

(الطــاء)

(العين)

(الغين)

(الفـاء)

(القــاف)

(الكاف)

(اللام)

(الميم)

(النـون)

(الهـاء)

(الــواو)

(اليـاء)

فهرس آيات القرآن الكريم

فهرس الأحاديث

فهـرس الشعـر

الأقوال والنصوص الفصيحة

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع





٩٢٤١ر١

ع ٢٩٤ العبيدي ، رشيد عبدالرحمن

الزمخشري اللغوي وكتابه الفائق /

رشيد عبدالرحمن العبيدي . ـ بغداد :

المجمع العلمي ، ٢٠٠١

ص ؛ ٢٤سم .

١ ـ الزمخشري ، محمود بن عمر بن احمد

م . و (عالم لغوي) أ. العنوان

٢٠٠١/٣٣٣

المكتبة الوطنية (الفهرسة اثناء النشر)

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٣٣٣) لسنة ٢٠٠١